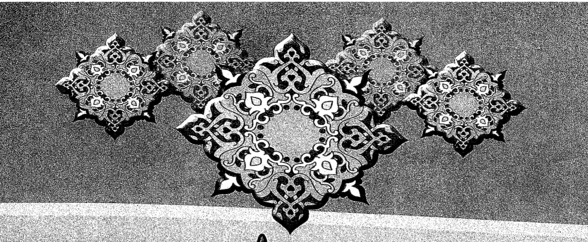


تعقبات

الشيخ العلامة سليمان بن سحمان (رحمه الله)

على بعض تعليقات الشيخ رشيد رضا (رحمه الله)

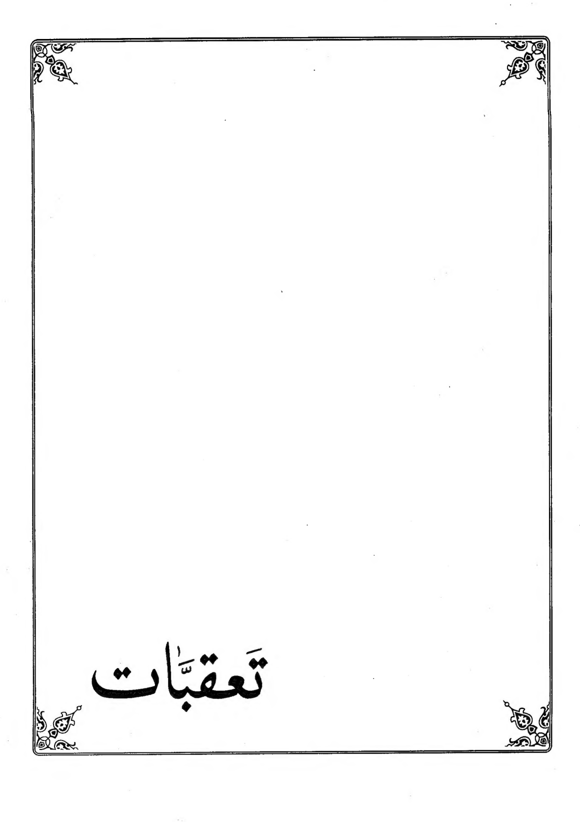
على كتب أئمة الدعوة

اعتنى بها

سليمان بن صالح الخراشي

دار الصميعي
للنشر والتوزيع





تَعقّبَات

ح دار الصميعي للنشر والتوزيع ، ١٤٢٩ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
سحمان ، سليمان
تعقبات على بعض تعليقات الشيخ رشيد... / سليمان سحمان ، سليمان بن صالح الخراشي ـ الرياض ، ١٤٢٩هـ
... ص ؛ .. سم
ردمك : ٩٧٨-٩٩٦٠-٨٦٩-٨٥-٨
١ – رضا ، محمد رشيد ، ت ١٢٥٤ هـ ٢ – الدعوة السلفية ـ السعودية أ ـ الخراشي ، سليمان بن صالح (مترجم) ب ـ العنوان
ديوي ٩٢٢,١١٧ ٦٥٢٥ / ١٤٢٩

رقم الإيداع : ٦٥٢٥ / ١٤٢٩
ردمك : ٩٧٨-٩٩٦٠-٨٦٩-٨٥-٨

دار الصميعي للنشر والتوزيع /
المملكة العربية السعودية
الرياض ص. ب : ٤٩٦٧
الرمز البريدي ١١٤١٢
المركز الرئيسي : الرياض ـ السويدي ـ
شارع السويدي العام
هاتف : ٤٢٦٢٩٤٥ – ٤٢٥١٤٥٩ ،
فاكس : ٤٢٤٥٣٤١
فرع القصيم : عنيزة – أمام الجامع الكبير
هاتف: ٣٦٢٤٤٢٨ تلفاكس : ٣٦٢١٧٢٨
الموزع في المنطقة الغربية والجنوبية
/ جوال ٠٥٠٩٧٧١٥٦٨
مدير التسويق ٠٥٥٥١٦٩٠٥١
البريد الالكتروني :
daralsomaie@hotmail.com

الطبعة الأولى
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

الصف والإخراج الفني
بدار الصميعي





تعقبات

الشيخ العلامة سليمان بن سحمان (رحمه الله)

على بعض تعليقات الشيخ رشيد رضا (رحمه الله)

على كتب أئمة الدعوة

اعتنى بها

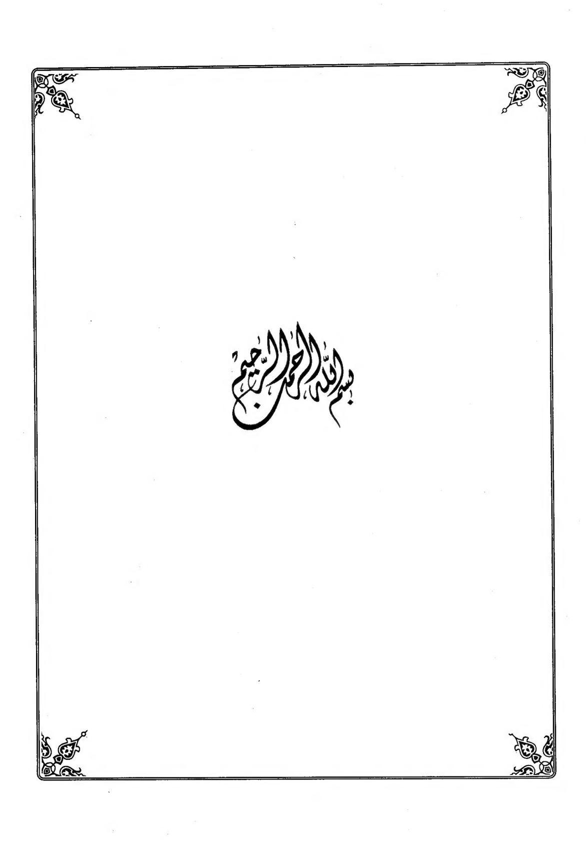
سليمان بن صالح الخراشي

دار الصميعي

للنشر والتوزيع






بسم الله الرحمن الرحيم

مقـدّمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد؛ فهذه رسالة نادرة للشيخ سليمان بن سحمان ـ رحمه الله ـ، تعقب فيها بعض تعليقات الشيخ محمد رشيد رضا ـ رحمه الله ـ، التي كان يُحشيها على كتب علماء الدعوة السلفية النجدية، عندما كان يقوم بطبعها في مطبعته، ويشرف عليها، مركزاً فيها على التعليقات التي يستدرك بها الشيخ رشيد على العلماء، أو يخالفهم، دون مراجعة منه لهم ـ عفى الله عنه ـ.

وقد قدمتُ لها بترجمة للشيخ رشيد ـ رحمه الله ـ، وتدرجاته من الصوفية إلى السلفية، مروراً بمدرسة شيخه محمد عبده، التي أثرت فيه تأثيراً، بقيت أثارة منه إلى حين وفاته.

ثم حديث عن علاقته بالدعوة السلفية في هذه البلاد، مناصرةً وتعاوناً، ثم تلقيه شيئاً من الانتقادات من بعض علمائها، ومنها انتقاد تعليقاته السابقة على كتبهم.

مع ترجمة مختصرة للشيخ سليمان بن سحمان ـ رحمه الله ـ. والله الموفق.

كتبه/ سليمان بن صالح الخراشي

alkarashi1@hotmail.com

ترجمة الشيخ: محمّد رَشيد رضَا[(١)]

هو محمد رشيد بن علي بن رضا بن محمد شمس الدين بن السيد بهاء الدين بن السيد منلا علي خليفة البغدادي.

ويحرص رشيد رضا في كل مناسبة أن يؤكد أنه ينتسب إلى بيت الرسول ﷺ. فنراه يقول عن علي ـ رضي الله عنه ـ: «جدنا المرتضى عليه السلام»[(٢)] ويقول: «جدنا الحسين عليه السلام»[(٣)] ويقول: «جدنا الإمام جعفر الصادق عليه السلام».[(٤)]

أما والدة رشيد فاسمها فاطمة، وتنتسب إلى البيت النبوي من جهة الأب والأم، حيث يقول رشيد عنها: «فاطمة أم رشيد حسنية الأب والأم»[(٥)] .

---

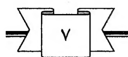
(١) ترجمته مشهورة معلومة؛ من أهمها: كتاب «رشيد رضا، صاحب المنار: عصره وحياته ومصادر ثقافته» للدكتور أحمد الشرباصي، و «رشيد رضا، أو إخاء أربعين سنة» لشكيب أرسلان. وأنقل الترجمة ـ بتصرف يسير ـ من كتاب الدكتور فهد الرومي: «منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير» (ص ١٧٠-١٨٧).

(٢) مجلة المنار، المجلد ١٣ ص١٣٢.

(٣) المرجع السابق، المجلد ١٥ ص٧٨.

(٤) تفسير المنار جـ١ ص٥١ وجـ١١ ص٤٩.

(٥) مجلة المنار، المجلد ٣٢ ص٧٣.



وقد حقق الدكتور حسيب السامرائي نسب رشيد رضا هذا، وهو في القاهرة، فاتصل بعائلة السيد طالباً منهم التوضيح، فلم يجد شيئاً جديداً، ثم عَرّج نحو النجف، وفتش كتب النسب ـ والنسب الحسيني في النجف ـ كما يقول ـ له قيمته الدينية والقيادية؛ لأن خُمُس الخمس، وحق الإمام لا يُدفع إلا لمن كان حسينياً، قال: «فلم أجد أثراً للعائلة، ولا يوجد اسم منلا علي خليفة البغدادي، فقلت: إذن لم يكن المنلا علي خليفة البغدادي شيعياً، ولعله من أهل السنة والجماعة، ولابد أن يكون النسب في بغداد، فذهبت إلى نقيب الأشراف، وقَلَّبت الأنساب لعلي أحظى باسم منلا علي خليفة البغدادي، فلم أحظ بشيء». [١]

ولا يهمنا نحن ـ كثيراً ـ إن صحت نسبته إلى آل البيت أو لم تصح، بقدر ما يهمنا إدراك الغرض من التأكيد على انتسابه إلى آل البيت ـ رضي الله عنهم ـ.

أحسبُ أن الغرض من هذا التأكيد على هذا النسب، مع عدم ثبوته؛ أن يكون حصانةً له من أذى الدولة، أو استخفاف الخصوم، ولهذا يذكر الدكتور أحمد الشرباصي أنّ حرص رشيد على ذكر هذا النسب خَفَّ حينما خفّ ما سماه «كابوس الطغيان العثماني» من جهة، وسطع نجم رشيد رضا من جهةٍ أخرى. [٢]

---

(١) رشيد رضا، المفسر: حسيب السامرائي، ص٢٨٣.

(٢) رشيد رضا، صاحب المنار: أحمد الشرباصي، ص١٠٦-١٠٧.

مولده ونشأته :

ولد يوم الأربعاء ٢٧ جمادى الأولى ١٢٨٢ هـ الموافق ١٨ تشرين الأول ١٨٦٥، في قرية «قلمون»، على شاطئ البحر جنوب طرابلس الشام، على بعد ثلاثة أميال، نشأ بها ودخل في كتّابها، وتعلم فيه قراءة القرآن الكريم والخط وقواعد الحساب، ثم دخل المدرسة الرشدية بطرابلس الشام، وهي ابتدائية تابعة للدولة العثمانية، والتعليم فيها بالتركية؛ لأنها تُعد خريجها لتولي الوظائف الحكومية، وتركها بعد عام، والتحق بالمدرسة الوطنية الإسلامية بطرابلس سنة ١٢٩٩هـ ـ١٨٨٢م، وكان التعليم فيها بالعربية، وتُدَرَّس بها اللغتان التركية والفرنسية، وكان الشيخ حسين الجسر هو المنشئ لهذه المدرسة، وهو أحد علماء الشام الأفذاذ، ولم يطل عمر هذه المدرسة، فأُغلقت وتفرق طلبتها، والتحق رشيد بالمدارس الدينية بطرابلس، ومع هذا فلم يقطع صلته بأستاذه حسين الجسر، فظل ينهل الكثير من المدرسة ومن الشيخ، حتى نال الشهادة العالية من المدرسة، ونال الإجازة في التدريس من شيخه، وكان رشيد مقدماً عند أستاذه، وزادت ثقته فيه حتى صار يطلب رأيه في مؤلفاته، وكان رشيد لا يهاب إبداء رأيه، وظل رشيد موضع تقدير أستاذه الذي أتاح له الكتابة في الصحف، وكان لهذا التوجيه من أستاذه أثرٌ كبيرٌ في حياته، وكان له أساتذة آخرون أخذ عنهم علم الحديث والفقه والأدب والبلاغة، ولم يكن لأحدهم من التأثير ما للأول.

والحق أن رشيداً تأثر في حياته برجلين وكتاب ومجلة، أما الرجلان: فالأفغاني ومحمد عبده، وأما الكتاب: فكتاب «إحياء علوم الدين» للغزالي، وأما المجلة: «فالعروة الوثقى».

مع الغزالي:

قرأ رشيد «إحياء علوم الدين» للغزالي، ودأب على مطالعته مراراً وتكراراً، حتى صار له بالغ التأثير في سلوكه، فأحب التصوف، وانقطع للعبادة، وحدَّث عن نفسه بعد صلاة العيد فقال: «صعدتُ إلى غرفة خلوتي، وأتممتُ قراءة ما بلغته من الإحياء، وفيه ذلك البحث البليغ العظيم التأثير في الفناء والتوحيد، فما أتممته إلا وشعرتُ بأنني في عالمٍ آخر من اللذة الروحية، وأنّه لم يبقَ لي وزن، فكأني روح بغير جسم».(١)

الأمر بالمعروف:

وكان رشيد مع هذا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؛ فأعلن إنكاره لما يحدث في مجالس الذكر لجماعة المولوية، وكان يقرأ الدروس في المسجد، ويحث في خطبة الجمعة على الإصلاح، ويذهب إلى المقاهي وينصح مَن فيها بأداء الصلوات، ويُبَسط في تعليمهم أبوابَ الفقه، ويُقَرب قواعده للعامة، ويُحذر من

---

(١) رشيد رضا: إبراهيم أحمد العدوي، ص٣٥.

التبرك بأصحاب القبور، ويأمر بقطع الأشجار التي يَتَبرك بها بعضُ العوام، ويلقي الدروس على نساء القرية؛ لتعليمهن أمورَ دينهن؛ في الطهارة والعبادات واللباس.

العروة الوثقى:

كان هذا تصوفه، وكانت تلك بداية إصلاحه، وهما نتيجة تأثره «بإحياء علوم الدين»، إلى أن التقى بالمؤثر الثاني الذي يقول عنه رشيد: «كنتُ أقلِّب في أوراق والدي، فرأيتُ عددين من جريدة العروة الوثقى، قرأتها بشوقٍ ولذة، ففعلا في نفسي فعل السِحر»[١] ، «وكان كل عددٍ منها كسلكٍ من الكهرباء اتصل بي؛ فأحدث في نفسي من الهزة والانفعال والحرارة والاشتعال ما قذف بي من طورٍ إلى طور، ومن حالٍ إلى حال»[٢] ، ويصف الطورين والحالين فيقول: «كان همي قبل ذلك محصوراً في تصحيح عقائد المسلمين، ونهيهم عن المحرمات، وحثهم على الطاعات، وتزهيدهم في الدنيا... فتعلقت نفسي بعد ذلك بوجوب إرشاد المسلمين عامة إلى المدنية، والمحافظة على مُلكهم، ومباراة الأمم العزيزة في العلوم والفنون والصناعات، وجميع مقومات الحياة، فطفقتُ أستعد لذلك استعداداً»[٣]

---

(١) تاريخ الأستاذ الإمام، رشيد رضا، جـ١ ص٨٤.
(٢) المرجع السابق، جـ١ ص٣٠٣.
(٣) المرجع السابق، جـ١ ص٨٤-٨٥.

مع الأفغاني ومحمد عبده:

واشتهر حبُّه وتعلقه الشديد بالأفغاني ومحمد عبده، حتى صار الثناء عليهما أمامه يُعتبر تقرباً إليه.

وكتبَ إلى الأفغاني وهو في الآستانة كتاباً أبان له فيه ما يكنه له من محبة وتأييد، وسأله إن كان يقبله مريداً يتلقف الحكمة منه، وتلميذاً يقوم ببعض الخدمة.(١)

وكان الشيخ محمد عبده في الشام منفياً من مصر، والتقى به رشيد مرتين في طرابلس، في مناسبتين قصيرتين، كان نتيجتها زيادة إعجاب رشيد بالشيخ، ورغبته في الاتصال به.

رحلته إلى مصر ولقاء محمد عبده:

وبعد أن توفي الأفغاني سنة ١٣١٤هـ، عزم رشيد على الرحيل إلى مصر للاتصال بوارث منهجه الأستاذ محمد عبده، لتلقي الحكمة منه.(٢) وكان وصوله إلى القاهرة يوم السبت ٢٣ رجب ١٣١٥هـ.

---

(١) المرجع السابق، جـ١ ص٨٧.

(٢) المرجع السابق، جـ١ ص٩٩٨.

وفي ضحوة الأحد ذهب إلى زيارة الأستاذ محمد عبده بداره في الناصرية، وكان أول حديث لهما في هذا اللقاء الأول عن إصلاح الأزهر، وما قام به الأستاذ من إصلاحات فيه، وكان أول اقتراح له عليه أن يكتب تفسيراً للقرآن، ينفخ فيه من روحه التي ـ كما يقول ـ وجد روحها ونورها في مقالات العروة الوثقى.(١)

فلم يوافق الشيخ، بل أجابه: إن القرآن لا يحتاج إلى تفسير كامل من كل وجه، فله تفاسير كثيرة أتقن بعضها ما لم يتقنها بعض، ولكن الحاجة شديدة إلى تفسير بعض الآيات، فاقترح عليه رشيد أن يقرأ درساً في التفسير، وأكثر عليه القول في ذلك في زياراته التالية.

فوافق الشيخ، وبدأ الدرس في غرة المحرم سنة ١٣١٧هـ، وانتهى منه في منتصف المحرم سنة ١٣٢٣هـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾ ﴾ [النساء: ١٢٦]،(٢) ولم يتوقف التفسير بموت محمد عبده، فقد واصل رشيد التفسير من حيث توقف أستاذه.

ويصف طريقته بعد وفاة أستاذه في التفسير، فيقول: «هذا، وإنني لما استقللت بالعمل بعد وفاته، خالفت منهجه ـ رحمه الله تعالى ـ، بالتوسع فيما يتعلق

---

(١) المرجع السابق، جـ١ ص٧٦٥.

(٢) المرجع السابق، جـ١ ص٧٦٨.

بالآية من السنة الصحيحة، سواء كان تفسيراً لها أو في حكمها، وفي تحقيق بعض المفردات أو الجمل اللغوية والمسائل الخلافية بين العلماء، وفي الإكثار من شواهد الآيات في السور المختلفة، وفي بعض الاستطرادات لتحقيق مسائل تشتد حاجة المسلمين إلى تحقيقها».(١)

كانت تلك طريقته في التفسير بعد وفاة أستاذه، وأكمله إلى الآية ١٠١ من سورة يوسف، وطُبع الجزء الثاني عشر والأخير من المنار إلى نهاية الآية ٥٣ من سورة يوسف، أما الباقي من السورة فأكمله الأستاذ بهجت البيطار، وطبعه باسم رشيد رضا في كتاب مستقل(٢)، يشمل السورة كاملةً.

جريدة المنار:

كان من أغراض رشيد الباعثة له على الانتقال من الشام إلى مصر: إنشاء صحيفة إصلاحية، إلا أنه أحب أخذ موافقة أستاذه أولاً، فاستشاره في ٦ شعبان ١٣١٥هـ، وبعد نقاش وحوار وافق الأستاذ بعد أن اقترح على رشيد ثلاثة أمور:

١- أن لا يتحيز لحزب من الأحزاب.

٢- أن لا يرد على جريدة من الجرائد التي تتعرض له بذمٍ أو انتقاد.

---

(١) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، جـ١ ص١٦.

(٢) التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، جـ٣ ص٢٤٣.

٣- أن لا يخدم أفكار أحد من الكبراء.[١]

ثم شاوره في اختيار اسم لها، وعرض عليه مجموعة من الأسماء، فاختار اسم المنار، وصدر العدد الأول في ٢٢ شوال سنة ١٣١٥هـ ١٧ مارس ١٨٩٨م، وأعلنت فيه أغراضها، وهي نشر الإصلاحات الاجتماعية والدينية والاقتصادية، وإقامة الحجة على أن الإسلام باعتباره نظاماً دينياً، لا يتنافر مع الظروف الحاضرة، وأن غاية رشيد من إنشاء المنار: مواصلة السير على منهج العروة الوثقى.[٢]

وآخر ما طُبع من المنار: الجزء الثاني من المجلد الخامس والثلاثين، في ٢٩ ربيع ثاني ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م.

وبذل الشيخ عبده وسعه في بثها وانتشارها، فكان يثني عليها في مجالسه، ويتحدث عنها وكأنه صاحبها، وبالمقابل كانت الصحيفة سبب شهرة الأستاذ، وبث آرائه وأفكاره وتفسيره، ولمس الأستاذ ذلك عندما زار تونس والجزائر.[٣]

وقد جعل رشيد رضا صحيفته منبراً للإصلاح ـ حسب مفهومه وشيخه ـ،

---

(١) تاريخ الأستاذ الإمام، جـ١ ص١٠٠٣.
(٢) رشيد رضا، إبراهيم أحمد العدوي، ص١٣٥.
(٣) تاريخ الأستاذ الإمام، جـ١ ص١٠١٧.

ونشر فيها مقالات أستاذه، وكتب بنفسه مقالات أخرى، واستكتب العلماء والأدباء الذين يشاركونهم المهنة.

واشتهر اسم رشيد رضا، ليس في العالم العربي فحسب، بل وفي العالم الإسلامي، وبلاد أوروبا، فراسله العلماء والجمعيات والأفراد والمستشرقون، وكلهم يشيد بالمنار.

فقويت الحاجة إلى نشر الإصلاح، فحذّر من البدع والخرافات السائدة في المجتمع، وبيّن أن الإسلام بريء منها، وحمَّل العلماء مسؤولية انتشارها، ووجوب قلعها من جذورها، وبيّن أن العلماء والحكام بمنزلة العقل المدبر والروح المفكّر من الإنسان، وأنّ صلاح حالهما يُصْلح حال الأمة، وأنّ العلماء هم القائمون على الطب الروحاني، الذي هو تهذيب الأخلاق وتقويم العادات، وبيّن لهم الطريق إلى ذلك، بأنها طريقة الوعظ والتعليم بالخطابة من على المنابر، وفي أماكن البدع نفسها، وتحمّل المشاق المترتبة على ذلك، مع تحلي الدعاة بالأخلاق الفاضلة، والآداب الإسلامية السامية.

وواصل رشيد في صحيفته دعوة أستاذه إلى إصلاح التربية والتعليم، فحذّر الراغبين في إصلاح التربية والتعليم من تقليد المدارس الحكومية السائدة، إذ إن هدف تلك المدارس إعداد تلاميذها للوظائف، «ومن يرمي بتعليمه إلى هذا الغرض فهو خاسر.. وأجدر بتعليمٍ هذا شأنه أن يسْعى في إزالته»،[1] وبَيَّن الفنون التي يجب إدخالها في ميدان التربية والتعليم، لمسايرة

---

(١) مجلة المنار، المجلد الأول ص٧٥٠.

ركب العلم والعرفان، وهي علم أصول الدين، وتهذيب الأخلاق، وفقه الحلال والحرام، والعبادات، والاجتماع، وتقويم البلدان، والتاريخ، والاقتصاد، وتدبير المنزل، والحساب، والصحة، وعلم لغة البلاد والخط[١]، ودعا الناس إلى إنشاء المدارس بأنفسهم؛ لأن المدارس الحكومية في عهده خاضعةٌ للاستعمار، مع انتشار المدارس التبشيرية.

معهد الدعوة والإرشاد:

حينما اشتدت الحاجة إلى دعاة على قدر كبير من الوعي والقدرة على الإصلاح، ورَدَت إليه كتبٌ من أطراف العالم الإسلامي، تطلب منه بذل العون والمساعدة لهم، ضد الإرساليات التبشيرية التي أغرقت البلاد بمبشريها ومدارسها، فرأى رشيد أن من الواجب إنشاء مدرسة لتخريج الدعاة، وإرسالهم إلى تلك الأقطار، فكتب في المنار عن ذلك، ولم يكتفِ بالمقالات، فزار الآستانة وحصل على الموافقة على ذلك[٢]، وافتُتِحت في ربيع الأول سنة ١٣٣٠هـ، وكانت تعطي الطالب شهادة مرشد بعد ثلاث سنوات، تؤهله للدعوة والإرشاد بين المسلمين، أما إذا واصل سنوات ثلاث أخرى؛ فيصبح داعياً من الدعاة لغير المسلمين للدخول في الإسلام، وكان لهذه المدرسة أثرٌ كبيرٌ في إعداد الدعاة.

---

(١) رشيد رضا،لإبراهيم العدوي، ص١٧٧-١٧٨.

(٢) رحلات رشيد رضا، جمع وتحقيق يوسف أيبش، ص٦١-٧٣.

إصلاح الأزهر:

وسار على نهج أستاذه في إصلاح الأزهر، وكتب كثيراً من الانتقادات والآراء، وزاد نشاطه وحماسه بعد استقالة أستاذه ووفاته، إذ أحس أن عليه العبء الأكبر بعد ذلك، وكان يلقى من المشاق الكثير، وكان خصومُه أكثرَ من خصوم أستاذه، إذ أن خصومَ أستاذه خصومٌ له بالتبع، ويفوقه بخصومه هو، فاضطُر إلى تأليف كتاب «الأزهر والمنار» سنة ١٣٥٢هـ، شرح فيه آراءه وخلاصة تجاربه في هذا الميدان، وما اعترضه من عقبات. (١)

مطبعة المنار:

وكان رشيد قد أنشأ للمنار مطبعة خاصة، بعد أن كانت تُطبع في المطابع التجارية، ولم تقتصر تلك المطبعة على طبع المنار فحسب، بل كانت تطبع الكتب الإسلامية.

في السياسة:

كتب رشيد مقدمة العدد الأول للمنار، ونقد عليه أستاذه فيها تدخله في السياسة، وبيان ما للأمة على الإمام، وما للإمام على الأمة.. وحذّره من الخوض في السياسة والتدخل فيها، وكان رشيد يمتثل أمر أستاذه.

---

(١) رشيد رضا، إبراهيم العدوي، ص٢٠٧.

وفي ذلك الوقت كان عبدالرحمن الكواكبي طليقاً يكتب في السياسة ما يشاء، وألّف كتابيه: «طبائع الاستبداد»، وَ«أم القرى»، فلم يقف رشيد مكتوف اليدين أمام هذا النشاط، فنشر تباعاً: «سجل أم القرى»، فساعد على ترويج المنار.

وظل رشيد يجد من أستاذه كابحاً لجماحه كلما همّ بالانطلاق نحو معترك السياسة(١)، ولما توفي الأستاذ دخل رشيد ميدان السياسة جهاراً، فنقد الدولة العثمانية، وأنشأ مع العثمانيين المقيمين في القاهرة: «جمعية الشورى العثمانية»، وتولى رئاستها، وبدأت تُرسل منشوراتها السرية إلى سائر أرجاء البلاد العثمانية، فأقلق مضاجع السلطة، إلى أن وقع الانقلاب العثماني، وكان رشيد من الساعين إلى هذا الانقلاب بالخفاء.(٢)

وحينما احتلت إيطاليا طرابلس الغرب؛ كتب عشر مقالات بعنوان «المسألة الشرقية»(٣)، حذّر فيها من الخطر الذي يُحدق بالعالمين الإسلامي والعربي، ولما نشبت الحربُ العالمية الأولى، حاول الإنجليز استمالته إليهم، ولما لم يروا منه ذلك، صار تحت مراقبتهم.(٤)

---

(١) المرجع السابق، ص٢١٦-٢١٩.
(٢) مجلة المنار، مجلد ١٤ ص٤٣.
(٣) رشيد رضا، ص٢٣٦.
(٤) المرجع السابق، ص٢٤٣.

ونشط في إبداء آرائه السياسية في جميع الأحداث في تلك الفترة، وما بعدها، وكان لـه مـشاركة في محاربـة الـصهيونية، وسـعيها إلى الاسـتيلاء عـلى فلـسطين، فاشترك في المؤتمر السوري الفلسطيني في جنيـف سـنة ١٩٢١م، ووقـع الاختيـار عليه ليكون نائباً لرئيس المؤتمر، وكتب سلسلة من المقـالات عـن ثـورة فلـسطين: أسبابها ونتائجها، وحقائق في بيان حال اليهود والإنجليز والعرب.

مؤلفاته :

وكان لرشيد نـصيب كبـير في الكتابـة والتـأليف، حتـى قـال عنـه شـكيب أرسلان: «ولم أكن أرى في عصرنا هذا أصبر على الكتـاب، وأجلـد عـلى الـشغل، وأسيل قلماً، وأسرع خاطراً من الشيخ رشيد، فلو وزعنا ما كتبه بقلمه وبخط بنانه في حياته على خمسين كاتب؛ لأصاب كلاً منهم قـسطٌ، يجـدر بـأن يجعلـه في صـف المؤلفين العاملين»[١]، ومن الصعب حصر مقالاته وكتاباتـه الـصحفية ومؤلفاتـه العلمية، ونكتفي بذكر أبرزها:

١/ الحكمة الشرعية في محاكمة القادرية والرفاعية، وهو أول مؤلفاته، دوّنـه أثناء طلبه العلم في الشام.

٢/ مجلة المنار، وسبق الحديث عنها.

---

(١) رشيد رضا، أو إخاء أربعين عاماً، ص١٦٢و١٦٣.

٣/ تاريخ الأستاذ الإمام في ثلاثة مجلدات، وهو أوسع ترجمة للشيخ محمد عبده.

٤/ نداء للجنس اللطيف.

٥/ الوحي المحمدي.

٦/ المنار والأزهر.

٧/ ذكرى المولد النبوي.

٨/ الوحدة الإسلامية.

٩/ يسر الإسلام.

١٠/ الخلافة.

١١/ الوهابيون والحجاز.

١٢/ السنة والشيعة، أو الوهابية والرافضة.

١٣/ مناسك الحج.

١٤/ تفسير المنار.

١٥/ الربا والمعاملات في الإسلام.

١٦/ مساواة الرجل بالمرأة.

١٧/ رسالة في أبي حامد الغزالي.

١٨/ المقصورة الرشيدية.

١٩/ شبهات النصارى وحجج الإسلام.

٢٠/ خلاصة السيرة المحمدية.

٢١/ تفسير الفاتحة وست سور من خواتيم القرآن.

٢٢/ إنجيل برنابا.

٢٣/ المسلمون والقبط.

٢٤/ عقيدة الصلب والفداء.

٢٥/ محاورات المصلح والمقلد.

٢٦/ فتاوى رشيد رضا.

٢٧/ ترجمة القرآن.

وكانت تلك مؤلفاته المطبوعة، بالإضافة إلى العديد من المقالات الصحفية والرسائل بينه وبين العلماء، نذكر لذلك مثلاً رسائله إلى شكيب أرسلان، التي بلغت نحو مائتي رسالة، منها ما يتجاوز عشر صفحات.[1]

---

(١) رشيد رضا، ـ إبراهيم العدوي، ص٢٦٨.

وفاته :

خرج رشيد رضا يوم الخميس ٢٣ جمادى الأولى ١٣٥٤هـ ـ ٢٢ أغسطس ١٩٣٥م لوداع الملك سعود بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ في السويس، وأثناء عودته بالسيارة، وقبل وصوله مصر الجديدة كان منصرفاً لقراءة القرآن، وما زال يقرأ حتى أصابه دوار من ارتجاج السيارة، وتقيّأ، ثم عاد إلى القرآن يقرأه، ثم اتكأ على ظهره في السيارة، وقد فاضت روحه في منتصف الساعة الثانية من بعد ظهر هذا اليوم،ودفن رحمه الله في قرافة المجاورين، في قبر بجوار أستاذه محمد عبده.(١)

سلفيته :

أحسب أن الحديث عن رشيد رضا لا يتم إلا بالحديث عن سلفيته، كيف لا وهي الصورة التي رسخت في أذهان الناس عنه.

ولعل الحديث عن مثل هذه السمة البارزة في شخصية رشيد يطرح سؤالاً عريضاً عن كيفية جمع رشيد لصفة السلفية، مع انتمائه للمدرسة العقلية الحديثة، وهم إلى المعتزلة أقرب منهم إلى السلف.

الحق أنّ رشيداً بدأ يتحوّل تدريجياً من منهج المدرسة العقلية الحديثة إلى

---

(١) المرجع السابق، ص٢٨١-٢٨٣.

منهج السلف، ولعل بداية هذا التحول تعقب وفاة أستاذه محمد عبده.

وهو وإن لم يكن تحولاً كاملاً، إلا أنه كان في ازدياد، إلى أن أدركته الوفاة، وتبدو مظاهر هذا التحول عن سيرة سلفه التي ساروا عليها فيما يلي:

أولاً: منهجه في التفسير:

فقد نصّ في تفسيره على أنه خالف منهج أستاذه بالتوسع فيما يتعلق بالآية من السنة الصحيحة، سواء كان تفسيراً لها أو في حكمها، وفي تحقيق بعض المفردات أو الجمل اللغوية، والمسائل الخلافية بين العلماء، وفي الإكثار من شواهد الآيات في السور المختلفة، وفي بعض الاستطرادات لتحقيق مسائل تشتد حاجة المسلمين إلى تحقيقها، بما يثبتهم بهداية دينهم في هذا العصر، أو يقوي حجتهم على خصومه من الكفار والمبتدعة، أو يحل بعض المشكلات التي أعيا حلها، بما يطمئن به القلب وتسكن إليه النفس.(١)

ثانياً: عنايته بكتب السلف وطبعها في مطبعة المنار، وذلك بطبع كتب ابن تيمية وابن القيم، والشيخ محمد بن عبدالوهاب، ونحوهم، وهو أمر اشتهر به رشيد والمنار، حتى سمّاه خصومه بـ «الوهابي».

---

(١) تفسير المنار، جـ١ ص١٦.

وبذل جهداً كبيراً في الدفاع عن العقيدة السلفية، المتمثلة في دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، فكتب مقالاتٍ عديدة في الدفاع عنها، بل تجاوز هذا إلى التأليف، فألّف:

١ - «السنة والشيعة أو الوهابية والرافضة»، ردّ فيه على خصوم دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب من الرافضة.

٢ - «الوهابيون والحجاز»: وهو مجموعة مقالات كتبها حينما هاجم خصوم دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الحركة الإصلاحية، ووصفوها بالابتداع والخروج عن الإسلام، شرح فيها حركة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ومبادئها، وأهدافها، وحالة أتباعها في عصره، وأنهم لا يُرْجى غيرهم في إعادة ما للمسلمين من عزةٍ ومجد.[(١)]

ونشاطه في طبع كتب السلف وتحقيقها والتعليق عليها بما يوضحها ويجلوها للناس أمر لا يخفى، وكان لها الأثر الكبير في تحوله إلى مذهب السلف، وتأثره بهم عن طريق كتبهم.

ثالثاً: الخصومة بينه وبين أتباع المدرسة العقلية الحديثة من تلاميذ الشيخ محمد عبده، فقد أدركوا تحوله عن منهج شيخه، وجرت بينه وبينهم مناقشات

---

(١) الوهابيون والحجاز، ص١٠.

حادة في الصحف، وكثيراً ما هاجموه وهاجموا آراءه الجديدة، ومن هؤلاء: الأستاذ محمد حسين هيكل رئيس تحرير جريدة السياسة المصرية، فقد فتح مجلته للهجوم على رشيد رضا، ويذكر رشيد أن السبب في ذلك هو وقوفه ضد علي عبد الرزاق، وكتابه السيئ: «الإسلام وأصول الحكم»، الذي أنكر فيه التشريع الإسلامي من أساسه.(١)

ومن هؤلاء: الشيخ عبدالعزيز جاويش، والأستاذ محمد فريد وجدي، فقد حاربوه على صفحات مجلتهم (العلم)، الناطقة باسم الحزب الوطني، ووصفوا جمعية الدعوة والإرشاد ومدرستها التي يقوم رشيد رضا برئاستها بأنها تعمل لإسقاط الخلافة العثمانية، وإنشاء خلافة عربية، وهم يقصدون بهذا أن تقطع الدولة العثمانية عنها معونتها، وتُغلق أبوابها، ويخسر رشيد باباً من أبواب الإصلاح التي افتتحها، ورد رشيد على هذا، وبادر إلى إعلان نظام جمعية الدعوة والإرشاد بكل وضوح.(٢)

ولم يكن هؤلاء وحدهم خصومُه، بل كان منهم كلُ من يحارب الإسلام، فضلاً عن الدعوة السلفية، كسلامة موسى الذي حمل على رشيد رضا حملة قوية،

---

(١) مجلة المنار، المجلد ٢٨ ص٢٤٠.

(٢) مجلة المنار، المجلد ١٥ ص٩٢٥، والمجلد ١٣ ص٤٦٥ وما بعدها.

حتى قال: «إن بلدة طرابلس الشام صدّرت إلى مصر في تاريخها الحديث نكبتين: أولها الطاعون، وثانيهما الشيخ رشيد رضا».(١)

ومع أنّ الخصومة بينه وبين الأستاذ هيكل، والشيخ جاويش لم تمتد طويلاً، فقد انتهت بالمصالحة والتراضي، إلا أن هذا يرجع إلى سماحة رشيد رضا ولين جانبه، وتناسيه لأخطائهم، بل كان سريع التأثر إذا ذكروا بعد موتهم عنده، ولما مات جاويش كتب عنه رشيد رضا في مجلة المنار ومدحه ورثاه.(٢)

رابعاً: أنّ علاقة رشيد بالإنجليز لم تكن كعلاقة الأفغاني ومحمد عبده المريبة بهم، فقد كان رشيد يُعلن حربه للاستعمار بجميع أشكاله؛ الإنجليزي والفرنسي والإيطالي.

ولم تكن له علاقة وطيدة مع رجال الإنجليز، بل لم تربطه أيُّ علاقة وطيدة مع أي إنجليزي، إلا متشل انس، الذي وصفه رشيد بأنه كان من خيار الإنجليز، الذين تقلّدوا بعض أعمال الحكومة بمصر.(٣)

وكثيراً ما حذّر رشيد المسلمين من مخططات الإنجليز وفضح أساليبهم،

---

(١) محمد عبده: محمد صبيح، ص٦.

(٢) رشيد رضا، أو إخاء أربعون عاماً: شكيب أرسلان، ص١٥٠ و٢٦٦-٢٦٧.

(٣) تفسير المنار: محمد رشيد رضا، جـ١٠ ص٤٢٢.

ووصفهم بأنهم أعداء الخلافة الإسلامية والعرب معاً، وأنهم الذين يحاربون دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ويُساعدون خصومهم بالمال والعتاد، ويـذكر موانـع انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، بأنها الدولة العثمانية، ومحمد علي باشـا، ودولة الدسائس الشيطانية[١]، ويقصد بها بريطانيا.

أما الاستعمار الإيطالي، فقد كتب عنه حينما احتلت إيطاليا طرابلس الغـرب عشر مقالات، بعنوان المسألة الشرقية، حذّر فيها من الخطر الذي يُحـدق بالعـالمين الإسلامي والعربي، حتى اضطر وكلاء الدول الأوروبية في مصر إلى الالتجـاء إلى المعتَمد البريطاني في مصر؛ ليوقف هذه المقالات، ويحول دون انتشارها بـين الأمـة العربية.[٢]

أما الاستعمار الفرنسي، فقد كان له نشاطٌ كبير في كفاحـه ومهاجمـة سياسـته الرامية إلى تنصير المسلمين، ونقد الأزهر في عدم إصداره احتجاجاً على فرنسا بهذا المعنى،[٣] وكـان كفاحـه وحربـه للاسـتعمار الفرنـسي كبـيراً، لـيس هـذا مكـان استقصائه.

---

(١) مجلة المنار، المجلد ٢٦ ص٢٠٥.

(٢) رشيد رضا: إبراهيم العدوي، ص٢٣٨.

(٣) المنار والأزهر: رشيد رضا، ص١٤.

ومن هنا نُدرك أنه خالف منهج الأفغاني وعبده في حرب الاستعمار، فهما لم يشيرا في مجلتهما العروة الوثقى إلى غير الاستعمار الإنجليزي، مع علاقتهم المريبة بهم.

أما هو فقد كان حربه صريحاً ومتنوعاً للاستعمار بجميع أشكاله وألوانه.

خامساً: أنه لم يدخل الماسونية، بل كان يُحذر منها ومن الانتساب إليها، ومن رواجها بين المسلمين(١)، وكان إذا عاب أحدٌ عنده الأفغانيَّ أو محمد عبده بدخول الماسونية اكتفى بقوله: «نعم هما داخلان في الماسونية، ولكن أنا لم أدخل فيها».(٢)

سادساً: حربه لجمعية الاتحاد والترقي التي خلعت السلطان عبدالحميد، بعد ما تكشفت له أهدافُها التي ترمي إليها؛ من القضاء على الخلافة الإسلامية، وتأسفه على الخلافة الإسلامية، ووصفه لجمعية الاتحاد والترقي بأنها جمعية الأحمرين: الدم والذهب(٣)، ووصف مصطفى كمال أتاتورك بالإلحاد والمروق من الدين الإسلامي(٤)، وأخذ يدعو بعد هذا بشدة إلى إعادة الخلافة الإسلامية،

---

(١) مجلة المنار، المجلد ١٤ ص٣١٨.

(٢) الإسلام والحضارة الغربية، محمد محمد حسين، ص٩٦.

(٣) مجلة المنار، المجلد ١٦ ص١٤٥ وانظر المجلد ١٩ ص١٥٩.

(٤) مجلة المنار، المجلد ١٦ ص١٤٥، وانظر المجلد ١٩ ص١٥٩.

وألّف في ذلك كتابه: «الخلافة أو الإمامة العظمى»، ولم يكتف بالكتابة، بل كان له نشاط عملي، ودعا إلى عقد مؤتمر للخلافة في مصر عام ١٣٤٣هـ، وتم انعقاد المؤتمر، ولم تكن له نتيجة مشجعة.[١]

ومن هذا ندرك مدى مخالفة رشيد رضا لسيرة أستاذيه الأفغاني ومحمد عبده، ولم يكن هذا التحول فجائياً، بل كان التدرج واضحاً في سيره، فقد كان يزداد قُرباً إلى منهج السلف، كلما امتد به العمر، إلى أن توفاه الله».

(١) رشيد رضا، أو إخاء أربعين عاماً، ص٣٥٢-٣٥٣ وص٤٤٤-٤٥٠.

عقيدة الشيخ رشيد رضا ـ رحمه الله ـ[(١)]

قال الأستاذ تامر محمد متولي في خاتمة رسالته: «منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة»: «الخاتمة: لقد عرض الباحث من خلال هذه الرسالة منهج رشيد رضا في العقيدة، فتناول موقفه من مصادر أهل السنة وقواعدهم في الاستدلال، وعَرَض آراءه في أبواب ومسائل العقيدة المختلفة، وقد توصل إلى النتائج والتوصيات الآتية:

أولاً: إنّ رشيد رضا لم يكن مصرياً لا مولداً ولا نشأة ولا تعليماً، بل مهاجراً، وكانت كل نشأته العلمية في موطنه الأصلي، وأتى مصر بعدما اكتملت نشأته العلمية هناك.

ثانياً: إن الحالة السياسية والعلمية والدينية في مصر ومقارنتها مع الشام، هي التي دفعت رشيد رضا إلى الهجرة من الشام إلى مصر، إذ كانت مصر مستقرة سياسياً، بتولي محمد علي وأولاده عرشها، وانفرادهم به، واهتمامهم بنهضتها

---

(١) أقتصر على ذكر ملخص رسالتين مهمتين تناولتا عقيدة الشيخ رشيد؛ فمن أراد الزيادة فعليه بهما؛ إضافة إلى رسالة الأخ الدكتور خالد فوزي «محمد رشيد رضا، طود وإصلاح...».

وقوتها، بينما كانت الشام ما تزال خاضعةً لنظام تعاقب الولاة، الذين كانوا سبباً أساسياً في إرهاق أهل الشام. مضافاً إلى ذلك الضغط الزائد من السلطة العثمانية على بلاد الشام، خوفاً منها أو عليها، مما ضيق مجال العمل الإصلاحي الذي كان ينشده رشيد رضا وأمثاله، مقارنةً بما كانت تنعم به مصر من الحرية.

ثالثاً: كانت النشأة العلمية لرشيد رضا ضعيفة، بسبب الحالة العلمية التي مرت بها الشام آنذاك، إذ لم تكن هناك مدارس عربية لتعليم العلوم الدينية، مما دفع رشيد رضا وغيره إلى الاعتماد على العلماء في التلقي، ولم يكن هؤلاء جميعاً في درجة واحدة من العلم، على أنهم لم يتجاوزوا أصابع اليد الواحدة، وكانت نتيجة ذلك وقوع رشيد رضا في أخطاء واضحة، ولاسيما بعد خلافته لمحمد عبده في زعامة ما يُسمى المدرسة الإصلاحية، ومواجهته لقضايا هامة ومسائل معقدة.

رابعاً: كانت مرحلة رشيد رضا في الشام مرحلةً غلب عليه فيها التصوف، كما غلب عليه طابع المتكلمين، فرغم مشاركته في كثيرٍ من العلوم، إلا أن السمة الغالبة عليه ـ كما على غيره من طلبة العلم على طريقة الأزهريين ـ هي طابع المتكلمين، وعندما هاجر إلى مصر ولقي محمد عبده، وكان رجلاً متأثر بالفلسفة القديمة التي أشربها من كتاب الإشارات لابن سينا حيث شرحه له الأفغاني، والفلسفة الحديثة التي أخذها أثناء وجوده في فرنسا، كان رشيد رضا كمن خرج من حفرة صغيرة فوقع في هوة سحيقة.

خامساً: لم يلبث رشيد رضا أن تعرّف على منهج السلف عن طريق الكتب السلفية التي كانت تُطبع في مصر في مطبعة بولاق وغيرها، ومنها كتابات ابن تيمية وأئمة دعوة التوحيد بنجد، الذين أتوا مصر واستقروا فيها قبل ذلك. ومن هنا تحول رشيد رضا واطمأن بمذهب السلف الصالح، وكان تحوله هذا تدريجياً، وزادت درجته بعد وفاة محمد عبده واستقلال رشيد رضا بالعمل.

سادساً: اعتمد رشيد رضا على مصادر التلقي عند أهل السنة، وهي الكتاب والسنة والإجماع، كما أنه اعتمد في فهمه هذه المصادر على تلك القواعد التي أقرّها السلف الصالح، كما أنه ـ في مرحلته الأخيرة ـ قد وضع العقل في موضعه، وأعطى الفطرة حقها. إلا أنني قد أخذت على رشيد رضا بعض المآخذ في مسألة نسخ التلاوة، كما أنني بيّنتُ موقفه السلبي من السنة الذي خالف فيه ما كان عليه السلف، وأجبتُ هناك ـ قدر الإمكان ـ على ما أثاره من شبهات. وقد كان لهذا الموقف من رشيد رضا أثره الكبير، والذي كان من ثمرته بعد ذلك كتاب أبي رية في الطعن في السنة النبوية، معتمداً على رشيد رضا. كما أنني أخذتُ على رشيد رضا موقفه من دليل الإجماع، الذي بدا لي أنه لم يعرف معناه الشرعي، فأدخل فيه ما ليس منه، وأخرج منه ما هو منه.

سابعاً: وقف رشيد رضا في تعريف الإيمان موقفاً صحيحاً لغةً وشرعاً، فقد بين المعنى اللغوي للإيمان، وأنه ليس مجرد التصديق فقط، كما بين التعريف الشرعي

له، وأنه قول وفعل. كما أنه قرر أن الإيمان يزيد وينقص كما يقول أهل السنة، لا بحسب زيادة العمل اللازم له فقط، بل بحسب ما في نفس قلب المؤمن، وبيّن رشيد رضا العلاقة بين الإسلام والإيمان، واختار الرأي الراجح عند أهل السنة في ذلك، وهو أنه إذا اجتمع الإيمان والإسلام افترقا في المعنى، وإذا افترقا اجتمعا.

ثامناً: في باب الإيمان بالله تعالى: قسّم رشيد رضا التوحيد إلى أقسامه الثلاثة: الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، متابعة لأهل السنة، وفي فصل الربوبية قرر رشيد رضا المعنى الصحيح لها، وبين الفرق بين اسم الرب واسم الإله، كما أنه قرر المعرفة الفطرية الضرورية التي رفضها المتكلمون، واستدل بالفطرة على وجود الله تعالى وربوبيته، كما استدل بالنظر القرآني وهو النظر في كتاب الكون، لا النظر الفلسفي عند المتكلمين، واتخذ موقفاً صحيحاً من مسألة حدوث العالم.

وفي فصل الألوهية: قرر رشيد رضا توحيد الله تعالى أتم تقرير، فقد بين معنى اسم الإله ومعنى العبادة، وذكر صوراً منها، وبين خطر الشرك فيها، وأثره السيئ في النفس والكون، كما ذكر صوراً من الشركيات التي وقع فيها المسلمون، ومنها الواسطة والتوسل والشفاعة... الخ. وكان رشيد رضا في ذلك متأثراً بأئمة دعوة التوحيد في نجد، ناشراً لفتاواهم ورسائلهم.[1]

---

(١) قلت: ولم يسلم من الأخطاء عند تنزيل الأحكام؛ كما سيأتي في تعقب الشيخ ابن سحمان =

وفي فصل الصفات: قرر رشيد رضا منهج السلف في إثبات الصفات، القائم على الإثبات والتنزيه وتفويض الكيفية، وقرر نفس القواعد التي اعتمد عليها؛ مثل: القول في الصفات كالقول في الذات، وقد اعتمد رشيد رضا في هذا على ما كتب السلف الصالح، والكتب التي تشرح وتصور منهجهم؛ ككتب ابن تيمية ومدرسته.

وفي مفردات الصفات التي تكلم عنها وقسمها إلى ذاتية وفعلية، كان رشيد رضا ناجحاً في تطبيق المنهج العام الذي قرره، إلا أنه لم يكن واضحاً أحياناً، ونقصته الشجاعة والجرأة في أحيانٍ أخرى، إلا أنه في العموم كان موفقاً؛ لاسيما في إثباته الصفات الفعلية وتجددها، وهي التي كانت مثار نقاش طويل وحاد بين السلفيين والمتكلمين جميعاً. كما أثبت صفات الفعل الخبرية؛ كالمحبة والرحمة والرضا والغضب.

تاسعاً: في فصل القدر: لم يستطع رشيد رضا أن يحدد بدقة الفرق بين تعريف السلف للقدر وبين تعريف القدرية، ولم يبين الفرق الهام بينهما، مع أنه قرر مراتب القدر التي فصلها أهل السنة وهي العلم والكتابة والمشيئة والخلق، إلا

له ـ رحمهما الله ـ.

أنه غلبت عليه مسألة الأسباب، فصرفته عن معرفة تعريف القدر الصحيح. وفي بقية المسائل كان رشيد رضا موفقاً؛ فقد قرر مذهب السلف في مسائل: الحسن والقبح، والحكمة والتعليل، والصلاح والأصلح، والاحتجاج بالقدر، وربط الأسباب بالمسببات، إلا أنه في مسألة العمر والرزق ـ وإن كان قد اقترب من قول السلف ـ، إلا أنه لم يكن موفقاً في مسألة العمر التقديري الذي اعتمد فيه على غير معتمد، وهو ما يقرره الأطباء افتراضياً بحسب الاستقراء. ويثبت هناك أن الواجب اتباع الشرع في ذلك، وأن الراجح هو قول السلف، مع أن الزيادة في العمر والرزق بحسب ما في علم المَلَك.

عاشراً: لم تكن تهمة إنكار الملائكة التي وجهها يوسف الدِجوي[1] لرشيد رضا صحيحة، إذ أنّ رشيد رضا قد قرر وجوب الإيمان بالملائكة وأنه ركن من أركان الإيمان، وتحدث عن بعض صفاتهم ووظائفهم. وكذلك أثبت وجود الجن والشياطين، إلا أنه اتخذ موقفاً متشدداً ومحتاطاً في مسألة رؤيتهم وتلبسهم بالإنس، ولكنه على كل حال قرر في مسألة التلبس وإخراج الجني أنه قد يكون معجزة لنبي أو كرامة لولي، وإنما كان يتشدد وينكر ما طرأ واحتف بهذه المسألة

---

(١) اتهمه بهذا في رسالته «صواعق من نار في الرد على صاحب المنار» ص١٣-١٤.
والدِجوي أحد مشايخ الأزهر زمن رشيد رضا، ومن أشد المناصرين لعقائد القبوريين والصوفية، رد عليه عبدالله القصيمي بكتابه «البروق النجدية في اكتساح الظلمات الدِجوية».



من الشركيات والخرافات التي شوهت حقيقة التوحيد.

حادي عشر: قرر رشيد رضا أن الإيمان بالكتب الإلهية ركن من أركان الإيمان، وتحدّث بالتفصيل عن هذه الكتب، وخصّ القرآن الكريم بعناية خاصة؛ لأنه الكتاب السماوي الوحيد الباقي صحيحاً سليماً من التحريف والتبديل. كما أنه بيّن الفرق بين الكتب الأخرى التي وردت في القرآن الكريم، وبين الكتب المتداولة الآن بين أيدي أهل الكتاب، وبين الأدلة على أنّها حُرِّفت وطُوِّرت.

ثاني عشر: قرر رشيد رضا الإيمان بالرسل الذين أرسلهم الله تعالى لهداية الخلق في كل زمان ومكان، وقرر الإيمان بأسمائهم التي وردت في الكتاب العزيز، إيماناً تفصيلياً، وقرر الإيمان بمن لم يرد فيه من الرسل إيماناً إجمالياً، مع توقفه في العدد الوارد في بعض الأحاديث. إلا أنه أنكر نبوة آدم بمعنى النبوة الاصطلاحية، وقرر أنها نبوة نظرية تربوية، ليست رسالة وحي وكتاب. وقد بينتُ أن الصحيح أن آدم كان نبياً مُعَلماً مُكلماً، كما ورد في الأحاديث الصحيحة.

وفي عصمة الأنبياء كان رشيد رضا موفقاً، إذ أثبتها وبيّن معناها، وقارن بين عصمة الأنبياء عند المسلمين وعصمتهم عند أهل الكتاب، الذين نسبوا إليهم كل الجرائم والشرور، ولكنه امتد به الأمر في العصمة حتى أنكر سحر اليهود للنبي ﷺ مع ثبوته، بحجة أنه يطعن في العصمة وفي النبوة، وكان هذا الموقف منه دليلاً على بقاء بعض أثرٍ لفلسفة شيخه محمد عبده في فكره.[1] ودليل آخر على ذلك

(١) ينظر للرد عليه: رسالة «ردود أهل العلم على الطاعنين في حديث السحر» للشيخ مقبل

=

وجدته في معجزات الأنبياء، التي ـ وإن كان قد قررها وأحسن فيها ـ، إلا أنه عدّ بعضها من قوى النفس، ورد منها انشقاق القمر لنبينا محمد ﷺ، بناءً على ما كان عليه الفلاسفة من الإيمان بالمعجزات، التي هي من قبيل تأثير قوى النفس دون سواها، كانشقاق القمر.

ثالث عشر: تشدد رشيد رضا في مسألة الكرامات لنفس السبب الذي كان وراء موقفه من تلبس الجن، وهو الحال التي وصل إليها مدعو الكرامات، ولكنه على كل حال أثبت الكرامات الحقيقية، وأثبت الولاية الصحيحة، وفرّق بين أولياء الله الصالحين وبين مدعي الولاية الكاذبين، وبين معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء وخوارق الأشقياء.

رابع عشر: اتّخذ رشيد رضا موقفاً صحيحاً في مسألة الصحابة، وأقرّ بفضلهم جميعاً ووجوب الترضي عنهم، وهاجم الرافضة الذين اتخذوهم غرضاً وطعنوا فيهم، إلا أنّ موقفه من معاوية ـ رضي الله عنه ـ كان غير مرضي، إذ كان فيه قصور شديد، استدعى مني أن أبين للقراء باختصار بعض ما ورد في مناقب هذا الصحابي الجليل ـ رضي الله عنه ـ.[1]

الوادعي ـ رحمه الله ـ. وهو رد على الشيخ رشيد وشيخه محمد عبده وغيرهما.

(١) وينظر للمزيد عن موقف رشيد من معاوية ـ رضي الله عنه ـ مقدمة رسالة: «الرقية الشافية من نفثات سموم النصائح الكافية»، للشيخ حسن بن علوي بن شهاب ـ رحمه الله ـ بتحقيقي.

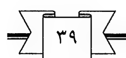
وفي مبحث الخلافة: وافق رشيد رضا أهل السنة في تعريفها وفي شروطها، وفي طرق التولي، وفي طاعة أولي الأمر، إلا أنني لاحظتُ عليه التأثر بالأفكار التي انتشرت في عهده، وكان مصدرها الفكر الغربي، كمسألة سلطة الأمة، وهي أحد مبادئ النظام «الديمقراطي»، وهو ما دفعه لاعتبار الشورى واجبة على الإمام، كما أنني أخذتُ عليه دعوته إلى تغيير الخليفة المتغلب، وهو ما يُعَدُّ دعوةً للخروج ترفضها الشريعة.

خامس عشر: أثبت رشيد رضا أن الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان، وقرر مسائل هذا الباب؛ كالموت والبرزخ وعذاب القبر والبعث ـ بالروح والجسد ـ وأكد رشيد رضا على أن الله تعالى قد استأثر بعلم الساعة، ولكنه تجاوز ذلك إلى إنكار أشراط الساعة، وكان في ذلك متأثراً بشيخه محمد عبده.

وقرر رشيد رضا أن الصراط حق، وكذلك الميزان، إلا أنه أنكر صفته الواردة في السنة، كما أثبت وجود الجنة والنار وخلقهما الآن، وأنهما موجودتان، كما قرر أبدية الجنة، ولكنه توقف في فناء النار، مختاراً نفس الموقف الذي اتخذه ابن القيم ـ في ظنه ـ.[1]

---

(١) ينظر للفائدة: رسالة «خلود أهل الدارين» للشيخ مرعي الكرمي، ومعها مقدمة عن «براءة شيخ الإسلام وتلميذه عن القول بفناء النار»؛ للشيخ خليل السبيعي ـ وفقه الله ـ.



سادس عشر: لقد تبيّن من خلال عرض منهج وآراء رشيد رضا في العقيدة أنه كان متأثراً بعدة مدارس مختلفة، منها مدرسة شيخه محمد عبده الفلسفية، ومدرسة ابن تيمية السلفية، وبناءً على ذلك تعددت الآراء فيه؛ فعدّه بعضهم محسوباً على هؤلاء، وعدّه آخرون على هؤلاء، وكلٌّ نظر إلى جانب واحد، ولكني أقول إحقاقاً للحق: إنّ الذي غلب على رشيد رضا ـ لاسيما في آخر حياته ـ هو المنهج السلفي، المتأثر فيه بمؤلفات ابن تيمية ومدرسته.

سابع عشر: لقد بقيتْ أفكار وآراء رشيد رضا بعد وفاته، ولم تمت بموته، بل بقيت في تلامذته، وأشدهم تأثراً به: «أنصار السنة» في مصر وغيرها، وذلك بسبب انتشار مجلة المنار في العالم الإسلامي، وقوة تأثيرها، الذي أخذته من قوة منشئها وبيانه وحجته وبلاغته، واعتماده على الدليل المباشر من الكتاب والسنة، كما ورثت مجلة «الهدي النبوي» مجلته «المنار»، ورددت نفس آرائها وأفكارها»، انتهى كلام الأستاذ تامر متولي ـ وفقه الله ـ.(١)

وقال الأستاذ شفيق بن شقير في خاتمة رسالته: «موقف المدرسة العقلية الحديثة من الحديث النبوي الشريف ـ دراسة تطبيقية على تفسير المنار»:

«أقتصر في ختام البحث على ذكر النتائج العامة، التي يشير إليها، ويدل

---

(١) ص٨٩١-٨٩٧.

عليها، وذلك في عدة نقاط:

١- إن الأفغاني يكاد يكون عديم الأثر على تلامذته أو من بعدهم في الجانب الحديثي، بل لا يكاد يُعرف له موقف محدد في هذا الشأن.

٢- إنّ الأستاذ محمد عبده رغم قصر باعه، وقلة بضاعته في علم الحديث، كان له عميق الأثر في الشيخ رشيد رضا في هذا الجانب، كما في غيره، حتى إننا نكاد لا نذكر مسألة تميز بها الشيخ رشيد رضا إلا وجدنا لأستاذه عبده يداً فيها بوجهٍ ما.

٣- يُكثر الأستاذ عبده من التأويل البعيد، ومن اشتراط التواتر، ومن التعطيل لمعاني النصوص ـ وعلى وجه التحديد أحاديث الاعتقاد منها ـ بدعوى أنها من المتشابهات، برغم أنها ليست واردة في الإلهيات.

وقد استعمل هذه الآلية من بعده تلميذه الشيخ رشيد رضا، ولكن بنسبة أقل كمّاً وكيفاً.

وكذلك يُقدم الأستاذ عبده أحياناً ظاهر القرآن على السنة الصحيحة، إلا أنّ الشيخ رشيد رضا جعلها لنفسه منهجاً يلتزمه، وخطاً لا يحيد عنه.

٤- يلجأ الشيخ رشيد رضا للطعن في الأحاديث الصحيحة (سواء في السند أو في المتن)، أو إخراجها عن معناها أو تعطيلها، أو ضربها بظاهر الآيات القرآنية، وبغيرها من الأحاديث (سواء كانت صحيحة أو ضعيفة)، لنصرة ما يراه موافقاً للعقل والعصر.

٥- من الملاحظ أن معظم الآراء التي خرج بها الشيخ رشيد رضا عن جمهور الأئمة كان مقصده فيها الذود عن الدين، والارتقاء به إلى مستوى العصر.

إلا أن توقف حركة الاجتهاد ردحاً من الزمن، وقلة الأعوان، وتبلد الأفهام، وكثرة الأعداء والطاعنين في الدين، وشراسة الحملة الغربية آنذاك على بلاد المسلمين، دفعت بالشيخ رشيد رضا إلى الإسراع والتسرع في الردّ على الشبه المثارة، بكل ما طالته يده، ودفعته إلى التوسع في الذود عن الإسلام في كل علمٍ وفنٍ، مهما كان مبلغ علمه فيه، مما أدى به إلى الخروج عن الجادة في كثيرٍ من المسائل.

٦- فالشيخ رشيد رضا رغم معرفته المتأخرة بعلم الحديث، إلا أنه لا يُعدُّ من المحدِّثين، ولا من المحققين الذين يُحتج بقولهم في هذا الفن، فمواقفه وأحكامه على الأحاديث تتميز بالتسرع والعجلة، وتفتقر إلى الدقة والعمق وسعة المعرفة. ولو قيل إنّه من الذين ينهجون المنهج العقلي بالمعنى الذي نقصده في بحثنا لصدقنا القول في ذلك، ولو قيل عن أستاذه عبده مثل هذا لكان صواباً أيضاً، بل إن هذا فيه أظهر، فالشيخ رشيد رضا ـ كما يتبين من البحث ـ لم يأخذ هذا المنهج إلا من أستاذه. وبالله التوفيق»[١].

---

(١) ص٤٠٩-٤١٠.

تدرجات الشيخ رشيد رضا نحو السلفية[١]

أولاً: تصوفه:

بالرغم من كثرة مؤلفات رشيد رضا وكتاباته، فلا نجد فيها كلاماً عن (مرحلة تصوفه) حين شبابه إلا النزر اليسير. ولعل خير مصدر يجمع لنا مادة غزيرة عن هذه المرحلة هو كتاب ألّفه رشيد في آخر حياته باسم «المنار والأزهر»، فقد ترجم فيه عن نفسه وتحدّث بإسهاب عن (مرحلة تصوفه) حديثاً لا نجده في أي مرجعٍ آخر[٢]. ولهذا كان أكثر اعتمادنا عليه في هذا المجال.

وإذا كانت قراءات رشيد لكتب التصوف، وخاصة كتاب (إحياء علوم الدين) للغزالي هي التي أدخلت رشيد في محيط التصوف، فإن لأسرة رشيد تأثير عليه في هذا الاتجاه يمكن أن يلاحظه الباحث حين نتتبع ما يذكره رشيد عن أسرته ومكانتها في مجتمعه، فهو يذكر أن الناس يعتقدون تسلسل الولاية في بيته ويتبركون بكبار رجاله، وفي سلسلة نسبه طائفة من الرجال كان كلٌّ

---

(١) أنقلها ـ بتصرف وزيادات ـ من رسالة الدكتور محمد بن عبدالله السلمان: «رشد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب».

(٢) رشيد رضا،: المنار والأزهر، ص١٤٦-١٧٠.

منهم يلقب بـ(الصوفي)[١]. وهذا جد رشيد الثالث يذكر رشيد أنه كان عالماً صالحاً مشهوراً بالكرامات، وقد أنعم عليه السلطان العثماني ببراءة عثمانية[٢].

كذلك لا يمكننا إغفال دور أساتذة رشيد في اتجاهه الصوفي. فبعض أساتذته اشتهروا بالتصوف ـ كما سبق آنفاً ـ ودرس عليهم رشيد بعض كتب التصوف؛ بل سلك بعض طرق التصوف على أيديهم وذلك مثل (الشيخ محمد القاوقجي)، الذي سلك رشيد على يديه الطريقة الشاذلية الصوفية، وأجازه في كتابه «دلائل الخيرات»، وكذلك الشيخ (عبدالعزيز الرافعي) الذي استفاد رشيد من معاشرته للتصوف وإعجابه بكتاب (إحياء علوم الدين) للغزالي، وقرأ عليه رشيد بعض فصول الكتاب[٣].

من هنا ندرك أن رشيد رضا دخل التصوف بتأثير عدة عوامل؛ أهمها قراءاته في التصوف من ناحية، ثم تأثير أسرته من ناحيةٍ أخرى، وكذلك توجيه بعض أساتذته له وتأثيرهم عليه من ناحيةٍ ثالثة.

وعند استعراض ما كتبه رشيد عن (مرحلة تصوفه) في كتابه «المنار

---

(١) المرجع نفسه، ص١٣٦.
(٢) المرجع السابق، ص١٣٣.
(٣) نفس المرجع، ص١٤٢.

والأزهر» نجد أنه تحدّث تحت عنوان «تربيته الصوفية» عن عدة وأجهات يمكن تلخيصها بما يلي:

أولاً: تعبده ونسكه: يتحدث رشيد رضا في هذا الموضوع عن زهده وتعبده، فيذكر أنه كان صاحب عبادة منذ صغره، فهو يذهب إلى المسجد في السّحَر ولا يعود إلى البيت إلا بعد ارتفاع الشمس، حتى كانت والدته تقول: إنني منذ كبر رشيد ما رأيته نائماً، فإنه ينام بعدنا ويقوم قبلنا. واتّخذ رشيد لنفسه في المسجد بقريته (القلمون) غرفة خاصة للمطالعة والعبادة... ويذكر أنّه كان يتلذذ في صلاة التهجد في الليل وما يصحبها من تدبر كتاب الله تعالى والبكاء من خشية الله، وفي رمضان يختم القرآن كل يوم نصف ختمة، أي يقرأه في الشهر خمسة عشر مرة، كما كان يقرأ ورداً للسَحَر مخصوص في رمضان وغيره، ويذكر أنه ترك قراءة هذا الورد لما اشتغل بالسنة وعرف أنّ هذا وأمثاله من البدع، كما كان يواظب على قراءة (دلائل الخيرات) وتلقى الإجازة به عن شيخه العابد (محمد القاوقجي) بسند إلى مؤلفها. ثم ترك ذلك كما ترك ورد السَحر[١].

ثانياً: سلوكه الطريقة النقشبندية[٢]: يذكر رشيد رضا في هذا المجال أنّ

(١) المرجع السابق، ص١٤٦وَ ١٤٧.

(٢) ينظر لبيان حقيقتها: رسالة الشيخ عبدالرحمن دمشقية ـ وفقه الله ـ: «النقشبندية: عرض وتحليل».

الذي حبّب إليه التصوف هو كتاب «إحياء علوم الدين للغزالي»، فكان يجاهد نفسه على طريقة الصوفية بترك أطيب الطعام والنوم على الأرض وغير ذلك، وحاول ـ كالصوفية ـ أن يتعود الوسخ في البدن والثياب فلم يستطع. ثم يذكر أنّه طلب من أعبد شيوخ الطرق الصوفية في عصره، وهو الشيخ (محمد القاوقجي) أن يسلكه الطريق على أصولهم في الرياضة والخلوة وغير ذلك، وصرّح له بأنّه لا يعجبه أن يسلك الطريقة الشاذلية الصورية، فاعتذر الشيخ وقال: «يا بني إنني لستُ أهلاً لما تطلب فهذا بساط قد طوي وانقرض أهله»، ثم يذكر رشيد أنّ صديقه الشيخ (محمد الحسيني) ظفر بصوفي خفي من النقشبندية يرى أنه وصل إلى مرتبة المرشد الكامل، فسلك رشيد طريقة النقشبندية على يديه، وقطع معه أشواطاً كبيرة فيها.

ثم يقول رشيد: «ورأيتُ في أثناء ذلك كثيراً من الأمور الروحية الخارقة للعادة كنتُ أتأول الكثير منها وعجزتُ عن تأويل بعضها»، ثم يقول: «ولكن هذه الثمرات الذوقية غير الطبيعية لا تدل على أنّ جميع وسائلها مشروعة أو تُبيح ما كان منها بدعة كما حققت ذلك بعد».

ويصف رشيد الوِرْد اليومي في طريقة النقشبندية بأنه ذِكْر اسم الجلالة (الله) بالقلب دون اللسان خمسة آلاف مرة، مع تغميض العينين وحبس النَفَس بقدر الطاقة، وربط القلب بقلب الشيخ. ثم يذكر أن هذا الورد بدعة، كما تبين له بعد ذلك، بل قد يصل إلى الشرك الخفي، حين يربط الشخص قلبه بقلب شيخه؛

فإن مقتضى التوحيد أن يتوجه العبد في كل عبادته إلى الله وحده حنيفاً مسلماً له الدين[(١)].

كما يذكر رشيد أن للطريقة النقشبندية التي سلك طريقها ورداً آخر مشتركاً يسمى (الختم)، وهو عبارة عن اجتماع من كان حاضراً من أبناء الطريقة على ذكر وقراءة بعض سور القرآن، والتوجه إلى استحضار بعض أرواح سلسلة الطريقة مع تغميض العينين.

ثم يتحدّث رشيد عن الأمور الروحية التي تعرض لسالك هذه الطريقة، من رؤية صورة من يذكر الشيخ من رجال السلسلة التي يعتقد أهل الطريقة أنها تنتهي بأبي بكر الصديق رضي الله عنه.

وكانت طريقة النقشبندية من بين طرق الصوفية، بل الطريقة الوحيدة التي لا تنتهي سلسلة رجالها بآل بيت النبي ﷺ[(٢)].

ويُفَصِّل رشيد رضا الحديث عن الأمور الروحية التي تعرض لسالك هذه الطريقة؛ كشم رائحة في الثياب تشبه رائحة المسك، بل يزيد ذلك بأنه يروي عن نفسه ما حصل له عندما فرغ من إحياء ليلة عيد الفطر بالتكبير والتهليل مع جماعة

---

(١) نفس المرجع، ص١٤٧و ١٤٨.
(٢) تاريخ الأستاذ الإمام، جـ١ ص١٢٤.

داخل المسجد، وبعد صلاة العيد صعد رشيد إلى غرفته في المسجد وأخذ يقرأ في موضوع «التوحيد والتوكل» من كتاب إحياء علوم الدين للغزالي، فما أتم قراءة هذا الفصل إلا وأحس أنه في عالم آخر من اللذة الروحية وأنه لم يبق لجسمه وزن... إلى غير ذلك[(١)].

ولا ينسى رشيد عند روايته لهذه الأمور أن يبين رأيه فيها بعد اشتغاله بالسنة وابتعاده عن بدع الصوفية فيقول: «إنّ ما يسمعه الرائي من الأرواح في هذه الغيبة هو مثل الذي يرونه ويسمعونه في الرؤيا المنامية، لا يوثق بصحته ولا بضبطه».

كما حقّق هذا في كتابه الذي ألّفه وهو تلميذ، واسمه (الحكمة الشرعية في محاكمة القادرية والرفاعية) عند بحثه في موضوع «الكرامات»[(٢)].

ويذكر رشيد أنه كان لا يذكر لأحد ما يعرض له من الأمور الروحية حتى لا يفتتن به الناس، ويذكر أنّ الذي وجهه إلى هذا الموقف قراءته لكتاب «إحياء علوم الدين» وخاصة في موضوع «الغرور» من الإحياء للغزالي، ويشير رشيد أن من مفاسد الصوفية والصوفيين ذكرهم للعامة ما يحدث لهم من هذه الأمور الروحية، فيصدّقها هؤلاء العامة، ويفتتنون بشيوخهم افتتاناً يخرجهم عن الدين[(٣)].

---

(١) المنار والأزهر ص١٥٠-١٥٣.

(٢) المرجع السابق، ص١٥٠ و١٥٢ و١٥٤.

(٣) المرجع السابق، ١٥٢-١٥٤.

ثالثاً: الرؤيا الصالحة: يذكر رشيد أن الرؤيا الصالحة التي رآها في المنام أو التي رآها الناس له كثيرة في جميع أطوار عمره، ومنها ما يقع في اليقظة كما رآه في المنام، ثم يتحدّث رشيد عن عدّة أمثلة من رؤياه أو رؤيا الناس له؛ فيذكر أنه رأى النبي ﷺ عدة مرات في النوم، وسمعه يقول له: اثبت على ما أنت عليه، وكان آخرها ما رآه في العام الذي ألف فيه كتاب المنار والأزهر سنة (١٣٥٣هـ).

أما رؤية الناس له؛ فيروي لنا عدة حوادث منها: أنّ رجلاً في طرابلس الشام رأى النبي ﷺ في منامه وشكا إليه حال أمته، فقال له النبي ﷺ: «إنّ محمد رشيد يفعل في كل وقت ما يرى أنه الواجب»، كما يورد عن آخرين رأوا النبي ﷺ في صورة رشيد رضا، ويذكر عن كل منهم رؤياه، وهم عمر الرافعي وعبدالرحمن عنبر، ومحمود منصور[1]، وهو يؤمن بالإلهام والتأثير الروحي في الرؤيا المنامية، فيذكر أن شيخاً له مرض بالدوسنتارية وطال مرضه وتعسر علاجه، فرأى في منامه من يأمره بشرب ماء من مكان معين حدده، فأرسل الشيخ من أحضر له من ذلك المكان ماء وشربه، وتم شفاؤه، ثم ذهب إلى ذلك المكان فإذا بماء في حفرة تحت شجر السنط، فعلم أن فائدة الماء في إصلاح فساد الأمعاء إنما هي بسبب ما يتحلل فيه من جذور السنط وورقه من مادته العفصية القابضة، كما يذكر أن أخاه

---

(١) المرجع السابق، ص١٥٨ و١٥٩.

إبراهيم أدهم مرض مرضاً طويلاً، ثم رأى النبي ﷺ في الرؤيا، فأمره أن يشرب من كوب كان بالقرب، منه فاستيقظ فشرب، فقام من مرضه صحيحاً معافى، ويعلق رشيد رضا على تلك الحادثتين بقوله: «وأمثال هذا الإلهام والتأثير الروحي في الرؤيا كثيرة»(١).

وقد بقي اهتمام رشيد رضا بالحديث عن الرؤيا المنامية، فكثيراً ما يذكرها في أماكنها المناسبة، سواء في تفسير المنار أو في مجلته(٢).

رابعاً: المكاشفات: وهي من الأمور التي تحدث عنها رشيد، وذكر أنها حصلت له في مرحلة تصوفه وبعدها، فيحدِّثنا عن نفسه بأنه كان صاحب مكاشفات، ويأتي على ذلك بعدة أمثلة، فهو يخبر بوقوع الثلج قبل وقوعه بدقائق، فيقع ثم ينقطع، فيخبر بأنه يعود إلى الوقوع فيقع، وحينما سأله أحد الحاضرين: من أين علمت؟ قال: إنه ليس بعلم، وإنما هو شعور من برد الهواء أو لذعه.

ولكن السائل لا يصدق جوابه ويعدها كرامة لرشيد! ويذكر رشيد أن السائل كان قد استشاره في تربية ابنه وتعليمه، فذكر له ما سيكون من أمره في مستقبله بتفصيل حفظه، فوقع كله، ويدخل هذا الابن على رشيد في غرفته، ويقع

---

(١) تفسير المنار، جـ٢ ص١٧١.
(٢) مجلة المنار، مجلد ٢٠ ص٣٧٩.

في قلب رشيد أنه كان يغازل امرأة قبل دخوله عليه، فينكر عليه بطريقة رمزية، ففهم الابن مقصود رشيد واعترف خجلاً، كما يروي رشيد لنا حادثة أخرى حينما سُرقت من غرفته في مسجد القلمون أشياء ،فركب رشيد فرسه فوراً واتجه إلى طرابلس، واهتدى إلى مكانها واستردها.

ولكنّ رشيداً يحرص على إخفاء هذه المكاشفات، ويذكر أنه يسميها مصادفةً أو رأياً أو خاطراً أو شعوراً، فيقبل ذلك بعض الناس دون بعض.

ويتحدّث رشيد بعد ذلك عن انتقام الله في الدنيا من كل من آذاه وأهل بيته، ويذكر أن ذلك كان مشهوراً عند أهل بلده، يقول: «على أنني لم أعلم أن أحداً آذانا ولم يلق جزاء في الدنيا، ويأتي على ذلك بأمثلة، ثم يعرج بعد ذلك الحديث عن استجابة الله دعاءه له بالإيمان والإخلاص والتوجه الصادق في أمور كثيرة، أما الدعاء الذي لم يستجبه الله فيذكر أنه تبين أن الخير في عدم الاستجابة» [1].

خامساً: شفاء المرضى بالرقية وغيرها: ويروي في ذلك عدة حوادث. منها أن رجلاً حدث له وهو يصيد في البحر شيئاً أزعجه فوقع مصروعاً فاستُدعي إليه رشيد بالإلحاح، فجاء ووضع يده على رأس المصروع وتلا قوله تعالى: ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٧]، فأفاق في الحال، وقام كأنما نشط من عقال. ويصاب شخص آخر بصداع شديد يصرخ منه،

(١) المنار والأزهر، ص١٦٠و١٦٣.

فيكتب له رشيد ورقة وُضعت على رأسه، فيُشفى في الحال، ويستعير بعض الناس هذه الورقة (أو الحجاب) لمرضاهم. ومن عجيب ما يذكره رشيد عن هذه الورقة (أو الحجاب) أنّ هؤلاء الناس خطر لهم أن يفتحوا هذه الورقة، ففتحوها، فرأوا فيها حرفاً واحداً من حروف المعجم كتب بعدد مخصوص، فاحتقروا ذلك، فلم تعد تنفعهم!

كما يذكر أنه رقى (نصرانياً) بكلمة كان مجازاً بها، فيذهب الوجع الذي كان في رأسه، ويُذكر رشيد هذا الرجل بقول المسيح عليه السلام «في الإنجيل». كما يذكر أيضاً أنه رقى (فتاة) كانت قد اشتدت عليها الحمى (الملاريا)؛ فقامت كأنّما نشطت من عقال.

ولا يقصر رشيد هذه الرقى والحجب على الآدميين، بل يذكر أن والدته استكتبته حجاباً طلبه منها بعض نساء الأعراب لوضعه على غنمهم؛ لأن الموت قد فشي فيها، وتبيّن بعد ذلك أن هذا الحجاب قد نفع فيها.

ويعلق رشيد بعد هذا على تلك الحوادث بقوله: ثم تركتُ هذه الحجب والنشرات، وكذا الرقى، إلا نادراً؛ لحديث في صحيح مسلم: «من استطاع أن ينفع أخاه فلينفعه»، واجتنبتُ فتح هذا الباب عليّ بعد هجرتي إلى مصر؛ لأن الفتنة فيها بهذه الأمور أكبر، إلا لأهل الدار قليلاً[1].

سادساً: اعتقاد الناس له بالولاية والكرامات: يختم رشيد حديثه عن

---

(١) المصدر السابق، ص١٦٤و ١٦٥.

«مرحلة تصوفه» بالحديث عن أنّ الناس في بلده كانوا يعتقدون ـ عندما يشاهدون مكاشفات رشيد وشفاءه المرضى ونحو ذلك ـ به الولاية والكرامات، ومع ذلك فقد حفظه الله من الغرور والافتتان، ويُرجع رشيد الفضل عليه في ذلك بعد الله تعالى إلى الغزالي، عندما قرأ له كتاب الإحياء، وما فيه من موضوع الغرور وأصناف المغرورين من الصوفية وغيرهم، وموضوع محاسبة النفس والنية والإخلاص، وقد انتفع بذلك كثيراً[١]. ولذلك لم يفتتن كغيره بما سبق، بالرغم مما تعرض له من أساليب الافتتان المختلفة، فهو عرَّضه لاعتقاد الناس وتعظيمهم له، وعرَّضة لما يتسنى له من سلب المال، وعرضة لما يتعرض له من تبرك النساء الحسان، وهو شاب ناشئ في نفسه ودينه.

ويذكر رشيد أنّ الغرور أنجاه الله منه بما سبق، وأما المال فقد كان لا يأخذ من أحد انتفع بحجابه أو رقيته أبداً، وأما النساء فكان يمنعهنّ من تقبيل يده، ولا يرقهنّ إلا بحضرة أحد[٢].

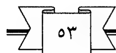
والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو:

إذا كان رشيد رضا يذكر أنه يخفي كثيراً من الأمور الغريبة التي حدثت

---

(١) المصدر السابق، ص١٦٦.

(٢) المصدر السابق، ص١٦٨.



وتحدث له، ويحرص على كتمانها وعدم الغرور بها، ومنع الناس من الافتتان بها، فلماذا يذكرها لنا في كتابه ويحرص على الإسهاب في بعضها؟

لا نجد تعليلاً لذلك إلا أن نقول: إنّه أراد أن يعرض للقارئ صورة كاملة عن مرحلة خطيرة من مراحل حياته، وهي مرحلة (تصوفه)، فأراد أن يُصوِّر لنا هذه المرحلة بكل جوانبها سلباً وإيجاباً، ويبين لنا كيف أنه لم يجرفه هذا التيار عن جادة الصواب بعد ذلك، وهو تيار قوي، ولو لم يكن فيه إلا الافتتان به لكفى، فهو لم يستغل هذه المكانة على حساب دينه وعقيدته، ومجتمعه، كما فعل من كان قبله أو بعده من شيوخ الطرق الصوفية وغيرهم. بل أصرّ على منع هذا الافتتان بكل قواه، وتتبع جادة الحق، حتى إذا تبين له أنّ فيما كان يفعله منافاة للإسلام نبذه، ومن هنا كان تركه للتصوف ونقده للصوفية، وانتقاله إلى طريقة السلف ـ كما سيأتي ـ.

هذا هو أقرب جواب ـ في رأينا ـ للسؤال الذي طرحناه سابقاً، وفي هذا يقول رشيد: «إن هي إلا إثارة فيها عبر للعقلاء حدثت لي بنية صالحة في تدوينها في هذا الكتاب، فنسأله تعالى دوام التوفيق وكمال الإخلاص»[1].

ولا يفوت رشيد أن يشير إلى أنّ ما كان يفعله من الأمور الصوفية، منها ما

(١) المصدر السابق، ص١٦٦.

تبين له أنها بدعة مخالفة للإسلام، كما ذكر في ذلك عن ورد السَحَر وكتاب (دلائل الخيرات)، وكذلك مضار كتاب (إحياء علوم الدين) للغزالي[١]، وأنه عالج الضار منها كما سيأتي[٢]. وكذلك ما ذكره من استغلال بعض الدجالين لمسألة الكرامات والولاية، ويذكر أنه حقق مسألة الكرامات للأولياء في المجلدين الثاني والسادس في المنار، كما ذكر لهما خلاصة في كتاب «الوحي المحمدي»[٣].

---

(١) يقع كتاب «إحياء علوم الدين» لأبي حامد الغزالي المتوفي سنة (٥٠٥هـ) في أربع مجلدات، المجلد الأول: في أسرار العبادة وحكمتها، والمجلد الثاني: في آداب العادات من الأكل والكسب والنكاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحلال والحرام وغيره. والمجلد الثالث: في ربع المهلكات وتشمل: شرح عجائب القلب ورياضة النفس وكسر الشهوتين، وآفات اللسان وذم الغضب وذم، الدنيا وذم البخل وذم الجاه وذك الكبر وذم الغرور، والمجلد الرابع: في ربع المنجيات، وتشمل: التوبة والصبر والشكر والخوف والرجاء والفقر والزهد والتوحيد والتوكل والمحبة والشوق والأنس والرجاء بالله تعالى والنية والإخلاص والمحاسبة والتفكير وذكر الموت. وقد خلط الغزالي في كتابه هذا الحق بالباطل، ولمعرفة ما انتقده العلماء عليه: تنظر رسالة: «كتاب إحياء علوم الدين في ميزان العلماء والمؤرخين»، للشيخ علي الحلبي ـ وفقه الله ـ.

(٢) كان ذلك بعد أن منّ الله على رشيد رضا، بترك التصوف والاتجاه نحو مذهب السلف الصالح في تحقيق العقيدة الإسلامية الصحيحة، ونبذ ما يتعارض معها اعتماداً على كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ وآثار السلف الصالحين قولاً وعملاً. وقد أوصله إلى ذلك تأثره بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب بخاصة والدعوة السلفية بعامة. كما سيأتي عند الحديث عن مرحلة (سلفية رشيد).

(٣) الوحي المحمدي: ص١٥٨ و١٧٣ و١٧٤.

ثانياً: الاتجاه نحو (مدرسة العروة الوثقى):

نعني بهذا الاتجاه: الطريق الذي سلكه رشيد رضا لتغيير اتجاهه في الحياة من متصوف ناسك زاهد في هذه الحياة، إلى داعية همه الأول إصلاح حال أمته الإسلامية في جميع أمورها الدينية والدنيوية؛ لتأخذ مكانتها بين الأمم وتتخلص مما منيت به من تسلط دول الاستعمار عليها.

ويمكن أن نسمي هذه المرحلة: الإرهاصات التي سبقت دخول رشيد في ميدان (السلفية والإصلاح)، وهي بمثابة عوامل دفعت رشيد إلى دخول هذا الطريق.

ولا ريب أن أبرز ما يسجله الباحث في هذه المرحلة هو تأثر رشيد (بمدرسة العروة الوثقى)، وخاصة القائمين على هذه المدرسة؛ وهما جمال الدين الأفغاني، والشيخ محمد عبده.

أما جمال الدين الأفغاني (١٢٥٤-١٣١٤هـ = ١٨٣٩-١٨٩٧م) [١]، فقد ألقى عصى الترحال في مصر عام ١٨٧١م، في الوقت الذي كان رشيد رضا يأخذ طريقه في كتّاب (القلمون) [٢].

---

(١) لمعرفة حقيقته، وحال دعوته، ينظر كتاب: «دعوة جمال الدين الأفغاني في ميزان الإسلام»؛ للأستاذ مصطفى غزال ـ وفقه الله ـ.

(٢) رشيد رضا، الإمام، المجاهد، للعدوي، ص٦١.

ومن دلائل تأثر رشيد رضا بالأفغاني أنه نشر أغلب مقالات «العروة الوثقى» في مجلة (المنار)، وكان كثيراً ما يستشهد بكلمات الأفغاني، بل ويدافع عنه في بعض ما يؤخذ عليه؛ كانتسابه إلى جمعية «الماسونية»، حيث يرى رشيد رضا أنّ هذا الانتساب كان حيلة من الأفغاني لكيلا تستغل هذه الجمعية لجرّ البلاد الإسلامية إلى أوربا بخيوط سياسية خفيّة، فأراد أن يربي بها رجالاً يعرفون كيف يحفظون أنفسهم وبلادهم! ويرى رشيد رضا أنّ الأفغاني نجح في هذه الحيلة، وبذلك عمل الإنكليز ما عملوا حتى اضطروه إلى ترك الماسونية مع كبار مريديه[١]، ومن هنا عدّ رشيد انتساب (الأفغاني)إلى (الماسونية) مما يؤخذ له لا عليه، وأشار إلى ذلك في خطابه إلى الأفغاني[٢].

ويكفي دليلاً على إعجاب رشيد رضا بالأفغاني وتأثره به أنه صاغ عنه ما يقرب من خمسين بيتاً تفيض بالثناء عليه، في مقصورته الرشيدية المشهورة، التي عارض فيها مقصورة ابن دُريد[٣].

ومن دلائل تأثر رشيد رضا بمدرسة العروة الوثقى، وعلى رأسها الأفغاني

---

(١) مجلة المنار، المجلد ٦ ص١٩٧.

(٢) تاريخ الأستاذ الإمام، جـ١ ص٨٦.

(٣) انظر هذه المقصورة كاملة في كتاب: السيد رشيد رضا، أو إخاء أربعين سنة؛ لشكيب أرسلان، ص٢٨٤-٣٠٤.

ومحمد عبده، أن أصبح من العادة عند الباحثين الجمع بين رشيد رضا وبينهما في الذكر، ويرونهم ثلاثة يُكمل بعضهم بعضاً؛ كما فعل المستشرق (تشارلز آدمز) في كتابه (الإسلام والتجديد في مصر)، الذي قسّمه بين تراجم هؤلاء الثلاثة. بل قد يُجمع بين هؤلاء الثلاثة في مجال الجرح والطعن؛ كما فعل الشيخ (يوسف النبهاني) في كتابه «الرائية الصغرى»، الذي ضمَّنه قصيدة في هجاء هؤلاء الثلاثة (الأفغاني ومحمد عبده و رشيد رضا).

وإذا كان هذا تأثر رشيد رضا بالأفغاني، فإن تأثره بالشيخ محمد عبده محيط واسع.

وإنّ أعظم أثر تركته مدرسة العروة الوثقى على رشيد رضا هو انتقاله من اتجاهه الصوفي إلى الاتجاه الإصلاحي، أي انتقاله من الركود إلى الحركة والنشاط، من إنسان لا يهمه سوى إصلاح نفسه ووعظ من حوله زهداً في الدنيا بكل أبعادها، إلى إنسان مصلح يفهم الإسلام على حقيقته، ويحث المسلمين على الاهتمام بأمور دينهم ودنياهم، ويحرص على تنقية إسلامهم من أمور البدع والخرافات.

ويصور لنا رشيد هذا الأثر البارز الذي تركته في نفسه العروة الوثقى ومدرستها تصويراً رائعاً حين يقول: «فانتقلت بذلك إلى طريق جديد في فهم الدين الإسلامي، وهو أنه ليس روحانياً أخروياً فقط، بل هو دين روحاني جسماني أخروي دنيوي، من مقاصده هداية الإنسان إلى السيادة في الأرض بالحق، ليكون خليفة الله في تقرير المحبة والعدل»، ثم يقول: «وأحدث لي هذا الفهم

الجديد في الإسلام رأياً فوق الذي كنت أراه في إرشاد المسلمين، فقد كان همي قبل ذلك محصوراً في تصحيح عقائد المسلمين ونهيهم عن المحرمات، وحثهم على الطاعات، وتزهيدهم في الدنيا، وكنتُ مجداً في ذلك، حيث كنتُ إذا ما أردت ترويح النفس في بعض قرى الكورة (من لبنان) أخذتُ معي مثل كتاب (الزواجر عن اقتراف الكبائر) لأتوكأ عليه في المواعظ التي كنتُ أبثها في كل مجلس، فتعلقت نفسي بعد ذلك بوجوب إرشاد المسلمين عامة إلى المدنية، والمحافظة على ملكهم، ومباراة الأمم الغزيرة في العلوم والفنون والصناعات وجميع مقومات الحياة، فطفقتُ أستعد لذلك استعداداً»[١].

وقبل أن نعرف كيف أثرت مدرسة العروة الوثقى على رشيد رضا في اتجاهه السلفي، نلقي نظرة على النشاط السلفي الذي قام به رشيد في بداية اتجاهه السلفي، كما تحدّث عن ذلك في كتابه «المنار والأزهر»[٢].

فهو يذكر لنا تحت عنوان: «التعليم والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» اتجاهات وأنشطة جديدة يمكن أن نعدها بداية عمله السلفي، ونلخصها بما يأتي:

---

(١) تاريخ الأستاذ الإمام، جـ٢ ص٨٤ و٨٥.

(٢) المصدر السابق، من ص١٧١-١٨٠.

أولاً: إنكاره على أهل الطرق الصوفية: وتعد الحادثة التالية أول إنكار لرشيد على سلوك أهل الطرق الصوفية، ففي ذات يوم وبعد صلاة الجمعة أقام أهل أحد الطرق الصوفية ما يسميه رشيد «مقابلة المولوية»، يقول رشيد: «حتى إذا ما آن وقت المقابلة تراءى أمامنا دراويش المولوية قد اجتمعوا في مجلسهم تجاه إيوان بالنظارة، وفي صدره شيخهم الرسمي، وإذا بغلمان منهم، مرد حسان الوجوه يلبسون غلائل بيض ناصعة كجلابيب العرائس، يرقصون بها على نغمات الناي المشجية، يدورون دوراناً فنياً سريعاً تنفرج به غلائلهم، فتكوّن دوائر متقاربة، على أبعاد متناسبة لا يبغي بعضها على بعض، ويمدون سواعدهم، ويميلون أعناقهم، ويمرون واحداً بعد آخر أمام شيخهم، فيركعون له»!!

أزعج هذا المنظر رشيد رضا وآلمه أن تصل حالة المسلمين إلى هذا المستوى من البدع والخرافات والتلاعب بعقائد الناس وعقولهم، وكان الذي آلمه كثيراً هو أنّ هؤلاء بألاعيبهم البدعية قد اعتبروا أنفسهم في عبادة يتقربون بها إلى الله سبحانه وتعالى، بل يعتبرون سماع ومشاهدة ذلك عبادة مشروعة، ولهذا لم يترك رشيد هذه الحادثة تمر دون أن يقوم بواجبه الإصلاحي الذي استقاه من قراءته ودراسته على مدرسة العروة الوثقى ، يقول رشيد: «قلتُ ما هذا؟ قيل: هذا ذكر طريقة مولانا جلال الدين الرومي صاحب المثنوي الشريف، لم أملك نفسي أن وقفتُ في بهوة النظار وصحتُ بأعلى صوتي بما معناه: أيها الناس أو المسلمون إن هذا منكر لا يجوز النظر إليه ولا السكوت عليه؛ لأنه إقرار له، وإنه يصدق على

مقترفيه قوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا ﴾ [الأنعام: ٧٠]، وإنني قد أديت الواجب عليّ، فاخرجوا رحمكم الله»، ثم خرج رشيد مسرعاً عائداً إلى المدينة. ورغم أنّ الذين خرجوا مع رشيد قليلون، إلا أنّ صيحته تلك لاقت صدىً في مجتمعات الناس مدة طويلة، فمن مؤيد ومعارض[١].

ورغم كثرة المنكرين عليه، فإن رشيداً صمّم أن يمضي في طريقه نحو إصلاح مجتمعه من هذه الضلالات والبدع، ومن الغريب في الأمر أنّ من هؤلاء المنكرين: شيخه «حسين الجسر»، فقد كان من رأيه ألا يتعرض لأصحاب الطرق الصوفية وبدعهم، لا من قريبٍ ولا من بعيد، وقال لرشيد: إنني أنصح لك أن تكف عن أهل الطريق، فردّ عليه رشيد منكراً: «هل لأهل الطريقة أحكام شرعية غير الأحكام العامة لجميع المسلمين؟»، فسأل الجسر رشيداً: «لماذا يقصر إنكاره على أهل الطريق دون أهل اللهو والفساد»؟ فردّ عليه رشيد قائلاً: «إنّ أهل الطريق ذنبهم أكبر من أهل اللهو؛ لأنهم جعلوا سماع المنكر ورقص الحسان عبادة مشروعة، فشرعوا لأنفسهم من الدين ما لم يأذن به الله، على أني لم أر منكراً آخر ولم أنكره»[٢].

---

(١) المنار والأزهر، ص١٧١ و١٧٢.

(٢) المصدر السابق، ص١٧٣.

ومع قوة حجة رشيد على أستاذة الجسر، فقد تمسك الجسر برأيه، ويعلّل رشيد رضا ذلك بأنّ شيخه الجسر كان له طريقة صوفية يعملها بداره، فيقول: «والشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ كان خليفةً لوالده محمد الجسر المشهور المعتقد في طريقتهم (الخلوتية)، وكان يقيم ذكراً في داره كل ليلة جمعة، وكان يكون في مجلس الذكر عنده إنشاد شيء من أشعار الصوفية، أو أدوار في الإلهيات والمدائح النبوية».

وبقي الخلاف بين التلميذ رشيد رضا وأستاذه الجسر حول ذلك، واشتدّ هذا الخلاف بعد هجرة رشيد رضا إلى مصر وإنكاره الشديد على أهل الطرق الصوفية في مجلة المنار، بعد أن رأى بدعهم الكبيرة ومنكراتهم في المولد وغيرها في مصر، وانتقد الجسر مجلة المنار في (جريدة طرابلس)، فردّ رشيد على ذلك في (مجلة المنار)، واستمر خلافهما في الرأي حول هذا الموضوع حتى وفاة الشيخ الجسر سنة ١٣٢٧هـ[(١)].

ثانياً: إنكاره ونصحه لرجال الدولة والحكام: فرشيد لم يقتصر جهاده لإصلاح مجتمعه على عامة الشعب، وإنما تعدّى ذلك إلى رجال السياسة والحكام، ورغم أنّ حب النصح موجودٌ عند رشيد، حتى في مرحلة تصوفه إلا أنه كان محدوداً في من حوله، حتى إذا جاء تأثير مدرسة العروة الوثقى على رشيد؛ أعطت

---

(١) مجلة المنار، مجلد ٢١ ص١٦٢ و١٦٣.

حب النصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في نفسه دفعة قوية إلى الأمام.

ويروي لنا رشيد أمثلة لسعيه الإصلاحي في هذا المجال، فقد أنكر على والي بيروت «نصحي بك» إساءة صلاته في مصلى طرابلس، فقبل كلام رشيد شاكراً، ولكن يذكر رشيد أنّ أهل التملق والنفاق عابوا عليه خضوعه لنصحي، فاستمعَ لتشويشهم، وأراد أن يرد هذا النصح بطريقٍ آخر، فقد أنكر مرة على رشيد تخفيف شعر لحيته، وقال: إنّ هذا لا يليق بطالب علم، فبيّن له رشيد أنّ تخفيف لحيته بسبب كثرة المادة الدهنية في وجهه، فهي تضعف بصيلات الشعر كما قرر الأطباء لرشيد[1].

ومن هذا النوع أيضاً ما يذكره رشيد من إنكاره عل بعض الحكام والأغنياء لبسهم الساعات والسلاسل الذهبية[2]، دون أن يخاف لومة لائم؛ لأن هذا مخالف لتعاليم الإسلام التي تحرم لبس الذهب على الرجال دون النساء.

ولم يقتصر جهاد رشيد الإصلاحي في هذه المرحلة على الأمور الخاصة بالعقيدة، بل تعدّاها إلى أمور السياسة نفسها.

ويروي لنا رشيد حادثة تدل على جهاده الإصلاحي في هذا الصدد، فقد

---

(١) المنار والأزهر، ص١٧٤.

(٢) تاريخ الأستاذ الإمام، محمد عبده، جـ١ ص٨٤.

أُقيمت حفلة تكريم في طرابلس حضرها متصرف طرابلس (حسن باشا)، وكلّف رشيداً أن يلقي خطاباً يناسب المقام، فاستغل رشيد هذا الخطاب لإظهار ما يجيش بخاطره لإصلاح حال الدولة العثمانية، وحثّ حكامها على العدل والبعد عن الظلم والجور، ويشرح لنا رشيد هذه الناحية في خطابه فيقول: «شبّهتُ في ذلك الخطاب الشعب أو الأمة بالفرد فيها والجماعات العاملة للمصالح العامة فيها ـ ومنهم رجال الحكومة والدولة ـ بأعضاء الفرد الرئيسية؛ كالدماغ والقلب، ومشاعر وآلات، وقلتُ إنهم يجب أن يكونوا سواء في الحقوق العامة والاحترام إن كانوا يتفاضلون في العرف والاعتبار، وشبهتُ العاطلين الذين لا يعملون لأمتهم عملاً نافعاً من السراة وأصحاب الثراء الموروث وغيرهم، ويحتقرون الطبقات الدنيا من العاملين بقولي: «ولا التفات إلى سفهاء الأحلام المتكبرين بالأوهام، الذين يحتقرون الزرّاع والصنّاع، فإنما مثل الفريقين كالأعمى والأصم والسميع والبصير، والنسبة بينهما كالنسبة بين الأيدي والأرجل في البنية، وبين زوائد الأظافر والشعور لو كانوا يعقلون» [(١)].

وكان لخطاب رشيد رضا الجريء صدى واسعٌ بين الناس، وخاف محبو رشيد عليه أن يُغضب هذا الخطاب المتصرف؛ لمساسه بسياسة الدولة الداخلية،

---

(١) المنار والأزهر، ص١٧٥.

وكان أخوف هؤلاء على رشيد شيخه (الشيخ الجسر)، الذي طلب من رشيد أن يلقي كلمة أخرى يلطف فيها من حدة الخطاب السابق، ويذكر فضل الدولة العثمانية ورجالها، ولكن من حسن حظ رشيد أنّ هذا المتصرف كان من كبار أحرار الأتراك أولي التربية العالية ـ كما يصفه رشيد ـ، لذلك سرّ من خطاب رشيد وأثنى عليه قائلاً: «إني أفتخر اليوم بأن أعد نفسي طرابلسياً لهذه الحكمة التي سمعتها من هذا الشاب»، وصار هذا المتصرف من أصدقاء رشيد، وزاد احترامه له، حتى أنه وضعه عضواً فخرياً في لجنة إصلاح المعارف. وإذا زاره رشيد في دار الحكومة لا يأذن لأحد أن يدخل عليهما؛ لأنهما يتناقشان في غاية الحرية حول عيوب الدولة العثمانية وإصلاحها[١].

وفي القلمون كان لرشيد موقف آخر قبل هذا مع متصرف طرابلس (مصطفى ذهني باشا) ـ الذي تولى قبل حسن باشا ـ فقد زار هذا المتصرف القلمون، وزار بيت رشيد، فأكرمه والد رشيد، وعلى مائدة الطعام تحدّث الحاضرون في شؤون الدولة وسبب ضعفها، فأدلى رشيد برأيه الجريء أمام المتصرف وقال: «إنّ الذي أضعف الدولة هو جهل العلماء بالسياسة وجهل الحكام بالدين»، ولكن المتصرف ظهر عليه الغضب فتجهّم وجهه بالاستياء، وغضب معه والد رشيد على ابنه، وقال

(١) المصدر السابق، ص١٧٥.

المتصرف لرشيد منكراً: وهل رجال الدولة جاهلون بالدين؟ فرأى رشيد أنّ من المصلحة لوي الموضوع ولو ظاهراً، فرد على المتصرف بقوله: «لو كانوا كلهم أو أكثرهم مثل سعادتكم لما كنا نقول هذا»[١].

ثالثاً: وعظه العوام وإرشادهم: وفي هذا المجال يذكر رشيد أنّه كان يقرأ للرجال دروساً في مسجد القلمون الذي بناه جد رشيد الثالث[٢]، ولا يكتفي بهذا، بل يذهب إلى أماكن تجمعات الناس العامة كالمقاهي فيجمع من فيها ويعظهم وينصحهم ويبين لهم واجبات المسلم نحو دينه وعقيدته، ويذكر رشيد أنه كان من هؤلاء أفراد تاركون للصلاة، فيوجههم رشيد إلى ضرورة المحافظة عليها، ويلزمهم بذلك بما له من النفوذ الديني والوراثي ـ كما يعبر بذلك رشيد ـ، وكان يقرأ لهم بعض دروس الفقه السهلة اللازمة معرفتها لكل مسلم، فاستفادوا منها أعظم فائدة[٣].

ونقطة هامة في موضوعنا يتحدّث رشيد بها في هذا الموضع، فيذكر أنه كان يحرص على تلقين العامة أصول عقيدتهم الإسلامية، وكان يعتمد في ذلك الوقت على (عقيدة السنوسي الأشعرية) وكان يلقى تعباً شديداً في محاولة إفهام العوام

---

(١) المصدر السابق، ص١٧٦.
(٢) المصدر السابق، ص١٣٣.
(٣) المصدر السابق، ص١٧٧.

هذه الفلسفة وما هو مقرر فيها من الصفات العشرين وغيرها، حتى كان بعض هؤلاء العوام يبكي إذا لم يفهم ما يسمعه، ويخشى أن يكون كافراً بعدم فهمها! وكان رشيد قد تلقى هذه العقيدة المنحرفة في مرحلة تعليمه في المدارس، ولكنه لم يستمر على هذا طويلاً، فلم يلبث بتأثير عدة عوامل أن فهم سبب عدم استساغة العامة لها؛ وذلك لبعدها عن الفطرة السليمة التي تقوم على أساسها عقيدة الإسلام، ولهذا يقول رشيد رضا: «ثم منّ الله عليّ بالعلم بأنه لا يجب على مسلم التقيد بها (أي بعقيدة السنوسي الأشعرية) وأن فيها خطأ، وأن الناس مغرورون بها، فكتبت لهم عقيدة سهلة الفهم والعبارة، لا يزال يحفظها الكثيرون منهم».(١)

ولم يقصر رشيد وعظه على الرجال فقط، بل شمل النساء أيضاً، فقد كان نساء أهل بيته على جانب كبير من الثقافة الدينية بالنسبة لغيرهن من نساء البلد، ولا غرو فهنّ من (بيت المشايخ) ـ كما يصفه رشيد ـ، فقد كنّ يعرفن أكثر واجبات الدين وسننه، وكان لباسهنّ إسلامياً محتشماً، ومع ذلك فقد كان لرشيد معهنّ جلسة وعظ وإرشاد، وكان يقرأ عليهنّ بعض كتب الوعظ والأدب والتاريخ الإسلامي.

---

(١) المصدر السابق، ص ١٧٧.

أما نساء أهل بلدة (القلمون)، فقد وضع لهنّ رشيد دروساً خاصة لوعظهنّ وإرشادهنّ وتوجيههن الوجهة الصالحة. يقول رشيد: «أرسلتُ إلى نساء القرية من يدعوهنّ إلى درس خاص بهنّ في دارنا القديمة، فكنتُ ألقي إليهنّ القول في العقائد وأحكام الطهارة والعبادات بعبارة عامية سهلة بدون كتاب، وألزمتهن تغيير زيهن في اللباس بما هو أستر وأطهر... وكان أكثر النساء في القلمون، تاركاتٍ للصلاة، فصرن يصلين، وحسنت حالهنّ في النظافة وفي معاشرة أزواجهنّ»[(١)].

رابعاً: كتاب الحكمة الشرعية في محاكمة القادرية والرفاعية:

وهو كتاب ألّفه رشيد في أثناء طلبه العلم في طرابلس رداً على الشيخ (محمد أبي الهدى الصيادي) من مشائخ الطرق الصوفية في عهد رشيد، وكان مقرباً من السلطان (عبدالحميد الثاني)، وله نفوذ سياسي في الشام[(٢)]، وكان قد طبع ونشر كتباً كثيرة للدعاية لنفسه وأهل بيته، وتأييد طريقة الشيخ (أحمد الرفاعي) الصوفي وتفضيله على الشيخ (عبدالقادر الجيلاني) الصوفي، ويذكر رشيد أنه رأى في تلك

---

(١) المصدر السابق، ص١٧٧، ١٧٨.

(٢) رشيد رضا، الصحفي المفسر الشاعر اللغوي، للشرباصي، ص١٦، ولبيان حال الصيادي الصوفي؛ تنظر رسالة الأستاذ سماحي سويدان: «أبوالهدى الصيادي في آثار معاصريه»، ورسالة: «جناية أبي الهدى الصيادي»؛ للأستاذ عبدالرحمن الشايع.

الكتب كثيراً من الأباطيل في الدين والتصوف والتاريخ، فكتب في الرد عليه مصنفاً كبيراً يزيد على مجلد كبير من مجلدات المنار وسماه :«الحكمة الشرعية في محاكمة القادرية والرفاعية».

ولم يطبع رشيد الكتاب وإنما نشر بعض مباحثه في مجلة المنار بعد هجرته إلى مصر منذ السنة الأولى للمنار، وقد حاول بعض معارف رشيد طبع الكتاب ولو في الهند، إلا أن رشيد لم يرغب في ذلك، ولعله لم ير فائدة في نشر كل مباحثه؛ لاشتمالها على أمور جدلية في رده على الرفاعية، كما أن بعض مسائله رجع عنها رشيد وغيّر رأيه فيها.

ورغم أن الاتجاه السلفي في الكتاب غير واضح بشكل بارز، إلا أنّ مباحثه تدل على أن رشيد قد انتقد بعض أعمال الصوفية بما يوافق النظرة السلفية، فهو يتحدّث فيه عن التصوف والزي في الإسلام وتشبه المسلمين بغيرهم، ويتحدّث عن مسألة الكرامات، كما انتقد بعض أعمال الصوفية وبدعهم المنتشرة، كما ردّ على ما يراه خطأ في كتب (الصيادي) الذي يتبع الطريقة الرفاعية الصوفية، ويتعصب لها[1].

(١) المنار والأزهر، ص١٨٩-١٩١.

خامساً: محاربته بدع البناء على القبور وتعظيمها: يمكن القول: إنّ هذا العمل من رشيد هو بيت القصيد في اتجاه ونشاط رشيد رضا السلفي في هذه المرحلة المبكرة في حياته.

وإنما قلنا إنّه ذلك (بيت القصيد)، لأمرين هامين:

أولها: أنّ هذا العمل يعتبر في حد ذاته أساس كل عمل إصلاحي سلفي بين المسلمين في تاريخهم الطويل، ولذلك لا نكاد نجد أي دعوة سلفية إلا وتجعل محاربة بدع البناء على القبور وتعظيمها من أهم أعمالها الإصلاحية، ومن هذه الدعوات؛ بل أهمها: دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ في نجد.

وثانيهما: أن هذا العمل المبكر من رشيد رضا يلفت نظر الباحث إلى البداية الحقيقية لسلفية رشيد، وهل كانت هذه البداية قبل هجرته إلى مصر؟ كما هو رأينا، والذي تدل عليه الأعمال السلفية التي زاولها رشيد رضا قبل هجرته إلى مصر، ومنها هذا العمل، أو كانت بداية سلفيته بعد هجرته إلى مصر بزمن؟ كما يرى بعض الباحثين.

فقد أدخل رشيد في مواعظه للناس في المسجد والمجالس العامة الحديث عن بدع البناء على القبور وتعظيمها والتبرك بها، والتي كانت منتشرة لا في مجتمعه فحسب؛ بل في أجزاء متفرقة من العالم الإسلامي، وقد بيّن رشيد رضا في مواعظه تلك أن البناء على القبور بدعة وضلالة لعن النبي ﷺ فاعلها[1]؛ لأنها تؤدي إلى

---

(١) المصدر السابق، ص١٧٨، وانظر:لبيان ما ورد في النهي عن هذه البدعة: رسالة «بدع =

تعظيم القبر والتبرك به، وهذا من أشد الكبائر في الإسلام؛ لأنه يفضي إلى الشرك والخروج عن الإسلام. وبيّن رشيد في مواعظه السنة النبوية في زيارة القبور للرجال دون النساء وذلك للعظة والعبرة والتذكير بالآخرة فقط.

ولم يقتصر رشيد في محاربته لبدع البناء على القبور وتعظيمها على الوعظ والإرشاد بالكلام فقط؛ بل تعداه إلى العمل لبتر هذه البدعة من أساسها، وإبعاد خطرها عن المجتمع المسلم؛ ليتمسك بإسلامه صافياً كما أنزله الله على رسوله محمد ﷺ.

ويروي لنا رشيد ثلاثة أعمال هامة قام بها في محاربة هذه البدع، هذا نصها[(١)]:

الأول: قال: كان أهل قريتنا يتبركون بقبر الشيخ محمد القصيباني المشهور بالولاية... وقد كان لقبر القصيباني في مقبرته مشكاتان كان النساء يضعن فيها الشمع ويوقدنه ليلاً، فمنعتهنّ منه.

الثاني: يذكر عن هؤلاء النسوة قوله: «وكنّ يوقدن الشمع أو الشرج في

القبور» للدكتور صالح العصيمي التميمي ـ وفقه الله ـ.

(١) المصدر السابق، ص١٧٨ و١٧٩.

عليقه على شاطئ البحر، ويربطان عليها خرقاً من طالبات الاستشفاء أو غير ذلك؛ لأنه اشتهر أنّ هناك ولياً اسمه (محمد زكّا) هو جد أهل بيت يسمى بيت زكا ـ بتشديد الكاف ـ، فمنعت هذا أيضاً».

الثالث: يذكر أنّه كان في أرض القرية على بعد بضع دقائق مجرى ماء للمطر يسمى (وادي الولية)، وفيه شجرة زيتون كبيرة تسمى (زيتونة الولية)، كان كثير من المارة يتبرك بها؛ لما اشتهر من أنّ هناك ولية مدفونة وبجانبها شجرة آس كبرت وارتفعت، ولم يرتفع غيرها من الآس في تلك الأرض على كثرته؛ لأنهم يقلعونه دائماً للوقود، قال: «فأمرتُ رجلاً ممن كانوا يحضرون درسي فقلعها ليلاً، ولم يُصب بشيء كما كانوا يتوهمون».

والسؤال المناسب هنا هو: كيف وصل رشيد ـ رحمه الله ـ إلى الاتجاه السلفي؟ وما هي العوامل أو الطرق التي نقلته من الصوفية، ثم مدرسة الأفغاني، إلى السلفية؟!

لا يمكننا أن نقول إنه لابد أنه قرأ كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتأثر بها مباشرةً دون أي توجيه؛ لأنه يقول ما نصه: «كل هذا كان مني وأنا طالب للعلم، أنا لم أكن قد رأيتُ شيئاً من كتب الإمام المجدد شيخ الإسلام، ولا من كتب تلميذه المحقق ابن القيم»، إضافة إلى أنه ذكر أن كتاب ابن حجر الهيتمي (الزواجر عن اقتراف الكبائر) قد أفاده في معرفة بدع البناء على القبور وتعظيمها، كما يذكر أنه رأى طعن ابن حجر هذا في ابن تيمية، وكان يصدّق ما فيها.

كما أنه لا يمكننا القول بأنه قرأ كتب الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأتباعه، وتأثر بها مباشرة، فها هو يقول ما نصه: «وأما الوهابية فلم أكن أعرف عنهم شيء، وإنما كنتُ أسمع من الناس أنهم مبتدعة ربطوا خيولهم في مسجد النبي ﷺ»!!

ولكنّ الباحث المدقق في اتجاه رشيد رضا السلفي لابد أن يلمس أنّه قد استفاد من حركة شيخ الإسلام ابن تيمية، أو حركة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوتهما، صحيح أن هذه الفائدة لم تكن بدرجة كبيرة كما كانت بعد هجرته إلى مصر، ولكنّها موجودة على كل حال.

ولكن ما هو الطريق الذي أوصل رشيد إلى دعوة ابن تيمية ومحمد بن عبدالوهاب؟ في رأينا أن أهم وأبرز طريق أدخله إلى هذا: جريدة العروة الوثقى نفسها ومدرستها، ونؤيد قولنا هذا بعدة أسباب؛ أهمها:

أولاً: دعوة جريدة العروة الوثقى المسلمين إلى تمسكهم بأصولهم الأولى التي كان عليها رسول الله ﷺ وخلفاؤه الراشدون، وهذا هو عين ما دعت إليه دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية والشيخ محمد بن عبدالوهاب، بل إنّ العروة الوثقى اشتملت على بعض المقالات التي بينت أسباب ضعف المسلمين، ومن أهمها افتراقهم إلى فرق وطوائف دينية مختلفة، ودعت في الأخير إلى تمسك المسلمين بمذهب السلف الصالح، فهو المنقذ من هذه الدّوامة؛ كما جاء ذلك في مقالة (القضاء والقدر)، ومقالة (التعصب)، ومقالة (الوحدة الإسلامية) وغيرها[1].

---

(١) نشرت هذه المقالات في الأعداد: السادس والسابع والثامن من العروة الوثقى.

وقد كان لهذه المقالات تأثير كبير على نفسية رشيد رضا.

ثانياً: إن مدرسة العروة الوثقى (العقلانية)، كانت مدرسة مشابهة للسلفية من بعض النواحي.

ثالثاً: كان من سياسة جريدة العروة الوثقى تقديم وجبات سياسية دسمة لقرائها على شكل مقالات أو أخبار، تتعرض فيها لأحداث السياسة العامة والخاصة، وتركز على سياسة دول الاستعمار في إذلال المسلمين، والاستيلاء على بلادهم، ومحاربة كل دعوة إصلاحية تجمعهم، وقد تعرضت جريدة العروة الوثقى فيما تعرضت إلى الدعوة السلفية في نجد، ومحاربة دول الاستعمار لها، بل كان بعض القراء في نجد يراسلون العروة الوثقى لفضح سياسة الاستعمار على الأجزاء الشرقية لبلادهم، وقد جاء في أحد أعداد العروة الوثقى ما نصه:

«كتب إلينا أحد أهالي نجد رسالة طويلة يحكي بها ما فعله قنصل الإنجليز مستر (كورنل بيلي)، الذي كان قنصلاً لدولته في خليج فارس ومقره بندر أبوشهر، وما توسل به للمداخلة في بلاد نجد في سنة ١٢٨٠هـ أيام كان أمير نجد الأمير فيصل، وقصد بروايته هذه الحادثة تنبيه إخوانه المصريين لشدة المشابهة بين تلك الوسائل التي تشبّث بها القنصل للتدخل في سواحل البلاد النجدية، وبين ما اتّخذه الإنجليز وسيلة للهجوم على أرض مصر»(١) اهـ.

(١) مجموعة العروة الوثقى، ص٣١٠.

وإذا كان رشيد رضا قد نسخ أعداد العروة الوثقى كلها، وأعاد قراءتها عدة مرات باهتمام بالغ[١]، فإن مثل هذا الخبر سيثير انتباهه لبلاد نجد؛ ليوجهه إلى البحث عن عقيدة أهل نجد، وحالة بلادهم السياسية، ونحو ذلك.

رابعاً: إن الاتجاه السلفي الذي ظهر على رشيد رضا، والأعمال السلفية التي قام بها في ذلك العهد المبكر من سلفيته ـ كما سبق ـ، لا نجدها تجتمع أو توجد مجتمعة في أحد من العلماء المصلحين في تاريخ الإسلام، إلا في شيخ الإسلام ابن تيمية وفي الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وخاصة محاربته لبدع الصوفية وخرافاتهم، والأهم من ذلك محاربته لبدع البناء على القبور وتعظيمها والتبرك بها قولاً وعملاً، حتى وصلت درجة محاربته لهذه البدع أن أمر أحد تلاميذه بقطع شجرة زيتون كان الناس يتبركون بها؛ لاعتقادهم بأن في جانبها ولية مدفونة ـ كما مرـ. وقد تم قطع هذه الشجرة كما أمر رشيد رضا، وهذا العمل الإصلاحي بقطع الأشجار وهدم بناء القبور التي يتبرك بها الناس نجده واضحاً في سيرة الإمامين المصلحين شيخ الإسلام ابن تيمية والشيخ محمد بن عبدالوهاب.

خامساً: إنّ رشيد رضا قد نشأ في بلاد الشام، وعاش فيها فترة امتدت أكثر من ثلث عمره، فقد هاجر إلى مصر سنة ١٣١٥هـ وهو في بداية العقد الرابع من عمره، ومن المعروف أن شيخ الإسلام ابن تيمية نشأ وعاش ومات في بلاد الشام،

(١) تاريخ الأستاذ الإمام، محمد عبده، جـ١ ص٨٤.

وترك وراءه مؤلفات كثيرة تشرح دعوته الإصلاحية، ولابد أن تكون بلاد الشام قد أخذت نصيبها من انتشار أفكار ومؤلفات ابن تيمية في أرجائها، وإن لم يكن هذا بالشكل المرجو، نتيجة لوقوف أعداء ابن تيمية حجر عثرة أمام انتشارها، وكان للسياسة دور كبير في ذلك، ومع ذلك بقي له أتباع وآثار علمية في بلاد الشام، وعن طريق ذلك انتقلت آراؤه إلى بلاد نجد، واستفاد منها الشيخ محمد بن عبدالوهاب في دعوته الإصلاحية. ومن هنا لابد أن تكون بعض مؤلفات ابن تيمية وأفكاره قد وصلت إلى رشيد في القلمون أو طرابلس، بل على مقربة من رشيد رضا في مكتبة دمشق العامة نجد كتباً كثيرة ونادرة لشيخ الإسلام ابن تيمية محفوظة فيها، وقد نشر رشيد رضا كثيراً من هذه الكتب الموجودة في هذه المكتبة بعد هجرته إلى مصر، وإنشائه مجلة المنار ومطبعتها.

ولا يعني هذا أن نقول: إنّ رشيد رضا لابد أن تكون كتب وأفكار ابن تيمية قد وصلته كلها، وعلى حقيقتها من غير تشويه، ولكننا نقول: إنّ نشأة رشيد في بلاد الشام قد قرّبته من كتب وأفكار ابن تيمية أكثر من غيرها؛ لهذا يقول هنري لاوست عن ابن تيمية: «لم يدرس رشيد رضا فكر ابن تيمية بصورة جدية إلا متأخراً، وكان تعاطفه معه نتيجة وليس سبباً لنشأة مبادئه، كان رشيد سورياً بمولده، وبذلك كان أكثر استعداداً لفهم أعمال أخيه في الوطن»[1].

سادساً: إنّ رشيد رضا يذكر أنه رأى وهو في طرابلس كتاب (جلاء العينين

---

(١) IBID PP 561-562

في محاكمة الأحمدين) للعلّامة خير الدين الألوسي البغدادي، «فعلم منه أن طبقة ابن تيمية أعلى من طبقة ابن حجر الهيتمي ومن فوقه من العلماء بمراحل، كما يذكر أنه ظهر له أن الهيتمي طعن على ابن تيمية ولم يكن رأى شيئاً من كتبه، وعرف من كتاب الألوسي أيضاً أن الهيتمي كان مفتوناً بالصوفية حتى غلاتهم كمحيي الدين بن العربي، وأنه كان أشعرياً مقلداً يدين بتأويلات المتكلمين لآيات الصفات وأحاديثها بما يخالف مذهب السلف والمحدّثين».[1]

فإذا كانت هذه مباحث كتاب الألوسي العامة، أفلا يكون في مقدورها أن توجه أفكار رشيد وتؤثر تأثيراً هاماً في اتجاهه نحو فكر ابن تيمية، ودراسة مؤلفاته باهتمام، ثم التأثر بها؟ وقد تقدم أنه قرأ الكتاب وهو طالب للعلم في طرابلس، أي في نفس الوقت والمكان الذي مارس فيه أول أعماله وجهوده السلفية.

سابعاً: قوله: «وأول كلمة حق وقفت عليها في شأنهم ـ أي الوهابية ـ لعلماء سورية: كلمة مفتي بيروت العلامة الشيخ عبدالباسط الفاخوري في كتاب (تحفة الأنام مختصر تاريخ الإسلام)، وإنما عرفت تاريخهم بالتفصيل في مصر بعد

---

(١) المنار والأزهر، ص١٧٩.

هجرتي إليها»[١] والعبارة السابقة تدل على أنّه قد عرف شيئاً عن تاريخ دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ومبادئها قبل هجرته إلى مصر، أي وهو طالب في طرابلس، عن طريق كتاب الفاخوري وغيره.

وفي موضع آخر يقول عن كتاب الفاخوري المذكور: «إن العلاّمة الشيخ (عبدالباسط الفاخوري) مفتي بيروت كان قد ألّف كتاباً في تاريخ الإسلام ذكر فيها الدعوة التي دعا إليها الشيخ محمد بن عبدالوهاب وقال: إنها عين ما دعا إليه النبيون والمرسلون»[٢]، وينقل الفاخوري في معرض حديثه عن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب إحدى رسائل الشيخ التي تشرح دعوته. وقد نشر رشيد رضا ما قاله الفاخوري في تاريخه عن (الوهابية) وتاريخهم ودعوتهم في مجلة المنار[٣].

ومما لا شك فيه أن معرفة رشيد رضا شيئاً عن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ومبادئها وأهدافها قبل هجرته إلى مصر من كتاب الفاخوري وغيره، قد أفادته في توجيه فكره نحو السلفية، فأثرت تأثيراً بارزاً على إصلاحاته وجهوده في هذا المجال، لاسيما وأن قيام دولة حديثة في قلب نجد عل أساس من هذه

---

(١) المصدر السابق، ص١٧٩.

(٢) عن تقديمه لكتاب (صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان)، تأليف محمد بشير السهسواني، ص٢٨.

(٣) مجلة المنار: المجلد ١٢ ص٣٨٩ -٣٩١.

الدعوة السلفية، ونجاح هذه الدولة في البقاء رغم ما تعرضت له من محن، لابد أن يقوي اتجاه رشيد السلفي بعد ذلك.

ثامناً: معرفة رشيد رضا لبعض كتب (ابن قيم الجوزية) تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية قبل هجرته إلى مصر وقراءته لها، وخاصة كتاب (زاد المعاد في هدى خير العباد)، فقد ذكر رشيد رضا أن صديقه الشيخ (محمد كامل الرافعي) كان يُعنى باستحضار ما يُعجبه مما يُطبع في مصر والهند من الكتب النافعة القيمة إلى طرابلس الشام، ويذكر رشيد أنه كان يطّلع على هذه الكتب ويستفيد منها، ومن هذه الكتب مؤلفات حسن صديق خان ملك بهوبال، وكتاب «زاد المعاد في هدي خير العباد» لابن قيم الجوزية، وروح المعاني للألوسي، وغيرها[1].

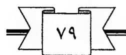
ومعرفة رشيد رضا لكتب ابن القيم وشخصيته لابد أن يوصله إلى معرفة أستاذه شيخ الإسلام ابن تيمية؛ لأن أفكارهما متحدة متصلة.

وبعد؛ فلعل الأدلة الثمانية السابقة كافية لأن نصدر الحكم الآتي حول منبع سلفية رشيد المبكرة. ونلخص هذا الحكم في ثلاث نقاط.

أولها: أن من أهم منابع سلفية رشيد رضا المبكرة تأثره بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وبدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

---

(١) مجلة المنار: المجلد ٢١ ص٢١٥.



ثانيهما: أن جريدة العروة الوثقى ومدرستها هي التي وجهت رشيد إلى أفكار هذين الإمامين المصلحين وكتبهما ودعوتهما.

ثالثها: أن تأثر رشيد بابن تيمية ومحمد بن عبدالوهاب لم يتضح بشكل بارز وجلي إلا بعد هجرته إلى مصر، واطلاعه على كتبهما وكتب أتباعهما عن كثب.

وينبغي أن نلاحظ هنا أنه في الوقت الذي أخذ رشيد يتأثر بالمنهج السلفي، وبخاصة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، كانت الظروف السياسية لهذه الدعوة سيئة للغاية، فقد زالت الدولة السعودية الثانية من الوجود، بالصراع بين أبناء الإمام فيصل بن تركي على الحكم، فلم تكن لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في ذلك الوقت قوة سياسية تكفل لها الحماية والانتشار، وبهذا لم تكن السلفية في وقت تأثر رشيد بها قويةً، ولم يتغير الحال إلا في سنة ١٣١٩هـ ـ أي بعد هجرة رشيد إلى مصر بأربع سنوات ـ حين نجح الملك عبدالعزيز في استرداد الرياض، ومنه اتجه إلى استرداد باقي أقاليم الدولة، فعادت القوة والانتشار إلى دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب من جديد، وبالتالي زاد إعجاب وتأثر رشيد بها.

ثالثاً: سلفية رشيد، مع بقايا دخن من مدرسة الأفغاني وعبده:

من تأمل كتابات رشيد ـ رحمه الله ـ في «المنار» يجد أنه اتجه كلياً إلى نصرة الدعوة السلفية، بعد استيلاء الملك عبدالعزيز ورجاله على الحجاز، ثم استتباب الوضع له بعد مؤتمر الرياض، وإقامته دولة إسلامية تحكم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وقد صرّح رشيد بهذا في قوله: «ثم جاءتني بعد ذلك جريدة أم القرى

حاملةً تفصيل ذلك النبأ العظيم، نبأ عقد المؤتمر الإسلامي في الرياض عاصمة نجد، الذي هو الحجة الكبرى على انفراد حكومة ابن السعود بإحياء حكومة الخلفاء الراشدين في الأرض، فشحذ ذلك غرار عزمي على نصرها، وشد أزرها، ومجاهدة أعداء الله ورسوله من الطاعنين فيها، في هذا العصر الذي نرى الحكومات الأعجمية تفضل شرائع أعدائها على شريعتها، وفسادهم على إصلاحها، والإلحاد على دين الله وهو الإسلام، والعصبية العمية على الوحدة وجماعة ملة محمد عليه الصلاة والسلام». (١)

فسخَّر رشيد بعدها مجلته «المنار» للانتصار لهذه الدولة السلفية، ولأعلامها؛ وعلى رأسهم شيخا الإسلام: ابن تيمية، ومحمد بن عبدالوهاب ـ رحمهما الله ـ.

أما شيخ الإسلام ابن تيمية فتعتبره مجلة المنار من العلماء المصلحين الذين لم يسمح الزمان لهم بنظير، كما تعتبره من مجددي القرن السادس، والسابع الهجريين(٢). ويقول رشيد رضا في المجلد الواحد والثلاثين من المنار: «وهذا الفقير (يعني نفسه) على اعترافه بل افتخاره بأنه استفاد من كتب شيخ الإسلام

---

(١) مجلة المنار: (شعبان، ١٣٤٧هـ).

(٢) المصدر السابق، مجلد ١٢ ص٣٩٤، ومجلد ١٨ ص٣٢٨.

ابن تيمية ـ قدس الله روحه ـ، وكان أعظم مثبت لقلبه ومقوٍ لحجته في مذهب السلف الصالح، يصرح بأنه على إعجابه بتحقيقه لا يقلده في شيء من أقواله تقليداً»[١]، كما كتب رشيد رضا بعض مقالات في مجلة المنار لتحليل ورد التهم التي وجهها إلى ابن تيمية كلٌ من الرحالة ابن بطوطة وابن حجر الهيتمي وفند أقوالهم تفنيداً علمياً، وفي معرض تفنيده لهجوم ابن حجر الهيتمي على ابن تيمية، قال رشيد في المجلد الثاني عشر من المنار: «إن كتب ابن تيمية أكبر شهادة من كل أولئك العلماء على كون الرجل وصل إلى رتبة الاجتهاد المطلق، وقصارى ابن حجر أنه وصل إلى رتبة المرجحين في فقه الشافعية، فأين الثريا وأين الثرى، وأين معاوية من علي؟!».[٢]

وبجانب هذا الدفاع المجيد لمجلة المنار عن ابن تيمية وإعجابها به وبتلميذه ابن القيم، فهي لم تأل جهداً في نشر بعض كتبهما على صفحاتها، فنشرت مثلاً بعض فتاوى ابن تيمية، وصفحات من كتاب (مدارج السالكين) لابن القيم، كما قام رشيد بطبع ونشر العديد من كتبهما في مطبعة المنار.[٣]

وينبغي أن نلاحظ هنا أن اتجاه مجلة المنار الحقيقي نحو ابن تيمية لم يبدأ في

---

(١) المصدر السابق، مجلد ٣١ ص٦٨.

(٢) المصدر السابق، المجلد ٣٤ ص٢٧٨، ومجلد ١٢ ص٦٢١-٦٢٣.

(٣) المصدر السابق، المجلد ٢٤ ص١٢٩، والمجلد ١٧ ص٩٠٣ -٩١٢، وانظر المجلد ٢٧ ص٤٢٤ و٤٢٥.

سنوات المنار الأولى، وإنما جاء ذلك بعد مضي عدة سنوات من صدورها، وبالتحديد عام (١٩٠٩م) في المجلد الثاني عشر.

وأما الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته الإصلاحية: فيمكن القول: إن مجلة المنار تعتبر من أكبر المدافعين عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته الإصلاحية السلفية، لا في مصر وحدها بل في العالم الإسلامي بأسره، ولا غرو، فقد كان إعجاب رشيد وتأثره بالدعوة الإصلاحية في نجد يعود إلى ما قبل هجرته إلى مصر ـ كما سبق بيانه ـ، ولما هاجر لمصر هيأت له الظروف هناك التوسع في قراءة الكتب التي تحدثت عن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب. يقول رشيد رضا: «أول رجل سمعت منه أن هؤلاء الوهابية قوم مصلحون أرادوا إعادة هداية الإسلام إلى عهدها الأول، وأنه كان يرجى أن يجددوا مجد الإسلام والعرب؛ هو محمد مسعود بك المصري، الكاتب والمؤلف المشهور، ثم قرأت ما كتبه في نشأته مؤرخ عاصر ظهورهم: الشيخ عبدالرحمن الجبرتي الأزهري، ثم ما كتبه محمود فهمي المهندس المصري في تاريخه (البحر الزاخر)، وصاحب (الاستقصاء في تاريخ المغرب الأقصى)، ثم ما كتبه عبدالباسط الفاخوري مفتي بيروت في (تاريخ الإسلام) له، كما أتيح لي الاطلاع في أثناء ذلك على كتاب التوحيد، وكتاب كشف الشبهات، للشيخ الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى، ثم على غيره من كتبهم بالتدريج»[1].

وقد كان دفاع الشيخ رشيد رضا في مجلة المنار عن الشيخ محمد بن

---

(١) مجلة المنار، مجلد ٢٨ ص٣ (فاتحة المجلد).

عبدالوهاب ودعوته قد بدأ من عام ١٣٢٠هـ (١٩٠٣م)، أي بعد مضي خمس سنوات فقط من عمر المنار، ففي هذه السنة أقيمت في مصر احتفالات بمناسبة مرور مائة عام على ملك أسرة محمد علي مصر، وزينت المساجد والجوامع بالأنوار، فهاجم رشيد ذلك العمل، وقال: إن المساجد أسست للعبادة، ثم تطرق إلى مساوئ سياسة محمد علي، ومنها قتاله الوهابيين وقضاؤه عليهم، وهم الذين نهضوا بالإصلاح الديني في جزيرة العرب مهد الإسلام ومعقله.

ويلاحظ أن رشيد رضا في مقالاته الأولى عن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب قد يصف بعض أتباعه بالغلو وضعف العلم(١)، ولكنه بعد ذلك أخذ يتوسع في الحديث عن تلك الدعوة ومبادئها وآثارها الإيجابية في العالم الإسلامي، يقول هنري لاوست: «إن رشيد رضا ابتداء من عام ١٩١٨م أخذ يعنى عناية خاصة بدراسة نشأة المذهب الوهابي وتطوره في مجلة المنار... وابتداء من عام ١٩٢٦م صار المنار أحد المراكز النشيطة للدفاع عن الوهابية في مصر»، ثم يقول: «وكان في انهيار تركيا كقوة إسلامية وقيام الحكم العلماني الكمالي ما جعل رشيد يلقي بثقله نحو الحركة الحنبلية الجديدة المحافظة»(٢). ويذكر رشيد بأن

---

(١) مجلة المنار، المجلد٧ ص١٨٢.
(٢) LAOUST (H.) IBID PP 561,562

أهل نجد أول من نبّه الناس إلى بدعة التوسل بالقبور في القرن الماضي[١]. واعتنى رشيد ببيان عقيدة أهل نجد وكتبهم الإصلاحية أكثر من غيرها من الحركات، وقد نشر على صفحات مجلة المنار بعضاً من كتب الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأتباعه من علماء الدعوة؛ مثل كتاب التوحيد، وكتاب كشف الشبهات، وخطبة الشيخ (عبدالله بن عبدالوهاب) المشهورة، ورسائل للشيخ (عبداللطيف بن عبدالرحمن حسن آل الشيخ).[٢] كما قام بنشر تاريخ دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ومراحل قيامها، وحال نجد قبل وبعد الدعوة[٣]. إضافةً إلى نشر أقوال بعض المؤرخين في تلك الدعوة؛ كالجبرتي في تاريخه (عجائب الآثار)، والفاخوري في كتابه (تاريخ الإسلام)[٤] وغيرهما، هذا إضافةً إلى قيام مجلة المنار بالدفاع عن الدعوة الإصلاحية في نجد ضد كل من طعن فيها وفي مبادئها شعبياً أو رسمياً، وذلك كرده الحاسم على من زعم قيام الأمير (سعود بن عبدالعزيز) ولي العهد السعودي حينذاك بزيارة المشهد الحسيني في إحدى زياراته للقاهرة، وكرده التهم

---

(١) مجلة المنار، مجلد ٩ ص٨٢٧.

(٢) انظر: مجلة المنار، مجلد ٢٨ ص٤٥٥ وما بعدها، ومجلد ٢٩ ص١٣٦، ومجلد ٢٧ ص٥٠٥، ومجلد ٢٩ ص١٣٦ وما بعدها.

(٣) مجلة المنار، مجلد ٢٩ ص٢٠٠ وما بعدها.

(٤) المصدر السابق، المجلد ٢١ ص٢٣٠، ومجلد ١٢ ص٣٨٩.

الموجهة من الشريف حسين في مكة، ومن مؤتمر الشيعة في كربلاء إلى دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وتكفيرهم لأتباعها[(١)]. وحينما استولى الملك عبدالعزيز على الحجاز سنة ١٣٤٥هـ كتب رشيد رضا مقالات عديدة في مجلة المنار وفي الصحف المصرية دفاعاً مذهبياً وسياسياً عظيماً عن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودولتها السعودية الحديثة، وقد جمع رشيد هذه المقالات ـ فيما بعد ـ في كتاب أسماه (الوهابيون والحجاز)، طُبع ونُشر في مطبعة المنار.

ولم يغفل رشيد رد التهم الموجهة إليه في أن تأييده للوهابيين لأجل منفعة شخصية، وأنه يأخذ من ابن سعود أجراً على ذلك؛ وقد ردّ على ذلك بأن تأييد المنار للوهابيين لأنهما يتفقان في اتجاههما السلفي لا غير، ويقول: «لو صح ما أشاعه هؤلاء ـ وما هو بصحيح ـ لما صح أن يجعل حجة على أن المنار أنشئ لجمع المال، وإنما يعده مساعدة على خطة دينية قديمة في خدمة الإسلام ونشر العلم»[(٢)].

وبين أيدينا عدد ضخم من دفاع وتأييد المنار لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، على شكل مقالات خاصة، أو إجابة لأسئلة القراء، ويطول بنا المقام لو استعرضناها، ولكنا نذكر مثالين على ذلك:

---

(١) المصدر السابق، المجلد ٢٤ ص٣١٨ وص٥٨٤ ومجلد ٢٧ ص٤٦٥-٤٦٨.

(٢) المصدر السابق، المجلد ٢٨ ص٢و٣.

أ ـ ورد في المجلد السادس والعشرين من مجلة المنار ما نصه: «هذه نبذة صحيحة من تاريخ مجدد الإسلام في القرن الثاني عشر محمد بن عبدالوهاب، وقد اتفق الواقفون على تأثير ذلك الإصلاح من مؤرخي الشرق والغرب على أنه يشبه نشأة الإسلام الأولى، وأنه لولا الموانع التي اعترضته لجدد للإسلام مجده الديني والدنيوي معاً، وأعظم تلك الموانع: مقاومة الدولة العثمانية له، ومساعدة محمد علي باشا لها على قتال الوهابيين وتدمير قوتهم، وكان المحرك الخفي لهذه المقاومة دولة الدسائس الشيطانية (يقصد بها بريطانيا)، وعدوة الشرق، ولاسيما الأمة الإسلامية، التي لا تزال هي المقاومة لكل إصلاح وترقٍ شرقي؛ طمعاً في استبداد الشرق كله، خذلها الله تعالى».(١)

ب ـ ورد في المجلد الحادي والثلاثين ما نصه: «عقيدة الوهابية هي عقيدة أهل السنة والجماعة التي كان عليها سلف الأمة الصالح من الصحابة والتابعين وحفاظ السنة، التي كان أكبر المدافعين عنها عند ظهور البدع وتأييد الدولة العباسية لها: إمام أئمة السنة أحمد بن حنبل ـ رحمه الله تعالى ـ» (٢).

وينبغي أن نشير هنا إلى أن مجلة المنار استمرت في تأييد دعوة الشيخ محمد

---

(١) المصدر السابق، المجلد ٢٦ ص٢٠٥.

(٢) المصدر السابق، المجلد ٣١ ص٧٣٥.

بن عبدالوهاب بكل قوة حتى بعد وفاة الشيخ رشيد رضا وظهور باقي أجزاء المجلد الخامس والثلاثين[١] .

ثانياً: مقالات وموضوعات سلفية نشرت في المنار: لما كانت المنار مجلة سلفية؛ كان هدفها في ذلك نشر مذهب السلف الصالح بين المسلمين بكل ما أوتيت من قوة الكلمة والنشر، ومن هنا ظهرت في مجلة المنار مجموعة ضخمة من المقالات والمواضيع التي عالجت هذه الناحية واستهدفتها، ويمكن القول إنّ أغلب هذه المواضيع ركزت على نفس الأساسين اللذين بنى عليهما الشيخ محمد بن عبدالوهاب دعوته، وهما: (إخلاص التوحيد لله تعالى، والبعد عن كل ما ينافي ذلك، والدعوة إلى الاجتهاد ومحاربة التقليد)، معتمداً في ذلك على نفس الأسس التي اعتمد عليها الشيخ محمد بن عبدالوهاب في دعوته، وهي: (القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة وآثار السلف الصالح)[٢] ومن هنا جاء تأثر مجلة المنار في هذه الناحية بالدعوة الإصلاحية في نجد.

ولو استعرضنا تلك المقالات التي نشرتها مجلة المنار في موضوعي (التوحيد والاجتهاد) لطال بنا المقام كثيراً، ولكنا لتوضيح الصورة كاملة ـ نستعرض بعضاً منها ـ.

---

(١) انظر: مجلة المنار، مجلد ٣٥ ص١٦٧ وما بعدها (الجزء الثاني).

(٢) انظر مثلاً: مجلة المنار، مجلد ٢٢ ص٤١٠.

أ ـ ففي مجال التوحيد: توسعت المنار في الدعوة إلى إخلاص العبادة بكل أنواعها لله تعالى، وحاربت ما ينافي ذلك من أنواع البدع والخرافات والشركيات؛ مثل بدع القبوريين الشركية، وبدع الطرق الصوفية، وبدع الدجالين والمشعوذين وخرافاتهم. ولا تترك المنار أدنى فرصة في التعليق على كل ما تراه من هذه البدع ومهاجمتها، وتهاجم المحمل المصري وتصفه بأنه من أنواع البدع المستحدثة، وإقرار العلماء له إنما هو مجاراة الحكومة في عملها لا غير، وتهاجم إحياء الأزهر لبدعة اجتماع علماء الأزهر إذا مات عالم منهم يوم الجمعة لقراءة ختمة يُهدى ثوابها إلى روحه، وترد على من سمّاه (سنة حسنة) وتقول إنها (بدعة سيئة).

ويتهكم رشيد في سخرية بقوله: «وإذا كانت أمثال هذه السنن صارت تحيا بعد موتها فبشّر المسلمين بحياة العلم والدين»[١]، ويبين البدع التي دخلت في الطرق الصوفية، ويقول بعد ذلك: «فعليك أيها المسلم ألا تقرب أحداً منهم»، وينهى عن قول: «أنا في جاه النبي»، ويصفها بأنها بدعة قد تصل إلى الشرك إذا اعتقد القائل أن النبي ﷺ ينفع أو يضر من دون الله، ويصرح بأن من اعتقد تأثير ولي أو عفريت من دون الله فهو شرك جلي، وإن كنا يجب أن نحتاط في إصدار هذا الحكم على أي أحد[٢].

---

(١) المصدر السابق، المجلد ٢٧ ص٥٠٢، والمجلد ٨ ص٧٦٠.

(٢) المصدر السابق: المجلد ٣٢ ص٦٦٨-٦٧٠، ومجلد ١٠ ص٦٢٦، ومجلد ١٩ ص٣٤٩ وما بعدها.

كما هاجمت المنار بدع البناء على القبور واتخاذها مساجد والتبرك بأصحابها، يقول رشيد: «إننا نصرف معظم العمر في مقاومة أمثال هذه البدع»[١]، ومع كل ذلك تقرر المنار بعدم كفر المبتدع في الدين جاهلاً أو متأولاً، وذلك اعتماداً على قاعدة أهل السنة والجماعة وهي (لا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب)[٢].

ب ـ أما في مجال دعوة المنار إلى الاجتهاد ومحاربتها للتقليد. فمقالاتها في هذا الموضوع لا تقل عن موضوع (التوحيد)، فلا تمر مناسبة إلا وينحي المنار باللائمة على أولئك المقلدين الذين لم يفهموا الإسلام على حقيقته، وإنما اهتموا بكتب شيوخهم أكثر من اهتمامهم بالقرآن الكريم والسنة النبوية وآثار السلف الصالح.[٣]

---

(١) المصدر السابق، المجلد ١٤ ص٩٥٥.

(٢) المصدر السابق، المجلد ٢٢ ص١٢١ وما بعدها، والصواب أن أهل السنة يقولون: «لا نُكَفِّر المسلم بكل ذنب»؛ فالذنوب على قسمين:

١- ذنوب يكفر بها أصحابها ـ وإن لم يستحلوها ـ؛ كالاستهزاء بالله، أو برسوله صلى الله عليه وسلم، أو بدينه.

٢- ذنوب لا يكفر بها أصحابها ـ ما لم يستحلوها ـ؛ كالصغائر والكبائر. (ينظر: التعليقات الجلية على العقيدة الطحاوية؛ للدكتور أحمد بن سعد الغامدي، ص ٦٣).

(٣) انظر على سبيل المثال: مجلة المنار، المجلد ١٢، ص ٦١٨، والمجلد ٩ ص ١٣٨، والمجلد ١٨ ص ٤٢٩.

تلقي رشيد رضا بعض الانتقادات من علماء الدعوة السلفية النجدية

كما سبق، فقد بقيت مع الشيخ رشيد ـ رحمه الله ـ بقايا أخطاء وتجاوزات، نتيجة تأثير مدرسة الأفغاني وشيخه محمد عبده عليه، وهو الأمر الذي كان سبباً رئيساً ـ في نظري ـ لتعقب بعض علماء الدعوة السلفية لتلك التجاوزات التي كان ينشرها في تفسيره، أو مجلته «المنار»، وكانوا ـ رحمهم الله ـ لمحبتهم له، وفرحهم بجهوده، في مقابل أعداء الدعوة السلفية، يستعملون فيها أرقى الأساليب ـ كما سيأتي ـ؛ حفظاً لمكانته، وهذا دليل على أنهم ـ رحمهم الله ـ لم يجاملوه في الحق، رغم نصرته لهم، وتعاونه معهم، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ١ ـ ٣]، وقوله ﷺ: «الدين النصيحة.. لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»، وقوله ﷺ: «المؤمن مرآة المؤمن».

ومن ذلك:

١- انتقاد الشيخ عبدالله بن يابس لكتاب «الوحي المحمدي» للشيخ رشيد. رحمهما الله.:

قال الشيخ رشيد:

«لما صدر كتاب الوحي المحمدي أهديته إلى كثير من العلماء والأدباء وغيرهم، وسألت من ألقى منهم هنا أن ينتقدوه، ومنهم أكبر علماء مصر الأستاذ الشيخ محمد مصطفى المراغي، والأستاذ الشيخ عبدالمجيد سليم مفتي الديار المصرية، وكتبت إلى بعض من في الأقطار البعيدة بذلك، ومنهم إمام اليمن وإمام عمان، فلم ينتقد أحد منهم شيئاً من مسائله، ولكن جاءنا الكتاب الآتي من الأستاذ صاحب الإمضاء، وهو من علماء نجد ومقيم في القاهرة، قبيل الفراغ من طبعة الكتاب الثانية؛ فسررنا به، وإننا ننشره ونقفي عليه ببيان رأينا فيه، وهذا نصه: «بسم الله الرحمن الرحيم: إلى حضرة الأخ المحترم والعلامة الفاضل محمد رشيد رضا، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد؛ فإني قرأت كتاب الوحي الذي ألفتموه فألفيته أولاً في بابه، بديعاً في خطابه، أبان بأن الدين ضرورة لازمة، وحجة قائمة، أقام الحجة على صحة الإسلام، عند مثبت النبوة ومصدق الرسالة، بأوضح برهان وأجلى تبيان، وأظهر زيف الاعتراضات الصليبية، والتشكيكات الإلحادية، والمغالطات الإيهامية، التي أرصدها دعاة الفتنة، وأعدها رؤوس الضلالة حراباً للدين، وغوثاً للشياطين، وإنه لكتاب جلى من دقائق الحكم، وأسرار التشريع ما سطر التنزيل بيانه، وأجمل تبيانه،

ومع ذلك فهو سهل المتناول، قريب إلى الفهم، يشوق قراءه إلى تفهم كتاب الله، ويوقف المنصفين على الإيمان بالله.

وبما أن مسائل العلم معترك العلماء، ومجال الأذكياء، وساحة الميدان، وحلبة الرهان، والجواد قد يكبو، والسيف قد ينبو، والخطأ لم يعصم منه إلا الشارع، الذي لا ينطق عن الهوى، ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾؛ فإن لي في كتابكم ملاحظات سأبديها، ومواضع سأتكلم فيها، لمعرفتي أنكم ممن ينشد الحق ويتحراه، ويُغَلِّب مرضاة خالقه على اتباع الهوى، والشاهد لي على ذلك أنكم الذين تنازلتم لمنازلة الانتقاد، وتواضعتم لهذا المراد، وتلك خلة العلماء السابقين، وطريقة القادة المهديين.

(١) قلتم في صفحة ١٦٣: قد شرع الله لإبطال الرق طريقتين: عدم تجديد الاسترقاق في المستقبل.

وإني أرى أن القول مُعَارَض بالكتاب والسنة والإجماع، أما الكتاب فإن فيه كفارة القتل والظهار والأيمان بالعتق الذي هو نتيجة الاسترقاق، والكتاب كتاب لكل زمان ومكان، فلا يصح أن يبني شرائعه على شيء قد أبطل أساسه، وحرم تجديد أصله، وقد ندب الكتاب إلى العتق في مواضع كثيرة، وجعل العتق الذي لا يوجد إلا بالرق عملاً من أعمال الخير التي توصل إلى الجنة، فهل تقولون: إن تلك الآيات المذكورة في الكتاب إنما محل العمل بها في عهد النبي ﷺ أما بعده فلا يصح؛

لأن تجديد الرق قد مُنع؟ فإن قلتم بهذا فما رأيكم في الدليل الثاني، وهو أن النبي ﷺ استرق بالفعل، وجوَّز بالقول والتقرير، وما أرى أنّكم تنكرون هذا؛ لأن كل من يعرف النبي ﷺ وسيرته يعلم علماً يقيناً لا شك فيه أنه لم يغز طوائف العرب إلا واسترقَّ من استولى عليهم من نسائهم وأولادهم.

وأما الإجماع؛ فإن الصحابة والتابعين، والتابعين لهم بإحسان ما استولوا على شيء من نساء الكفار وأولادهم إلا استرقوه، حتى إنه ليوجد عند بعضهم المئون، بل آلاف من الرقيق، وكان عثمان بن عفان والعباس من أكثرهم رقيقاً، ولعمر رقيق، ولأبي بكر رقيق، وهذا ما لا ينكره أحد، وإذا كان القتال ماضياً إلى قيام الساعة، والكفار موجودين في كل زمن، فسنة الإسلام جواز الاسترقاق لمن استولوا عليه بطريق الحرب.

(٢) قلتم في صفحة ١٤٩ على قوله: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٠]: إن حروب النبي ﷺ للكفار كانت كلها دفاعاً، ومعنى ذلك أن حرب الكفار وقتال المسلمين إياهم لا يجوز إلا إذا قاتلونا! والكلام عليه من وجوه:

أولاً: إنا لا نُسَلِّم أن قتال المسلمين في سبيل الله للكفار الذين لم يقاتلوهم اعتداءً؛ إذ الاعتداء تجاوز بغير حق، وقتال المسلمين للكفار إنما هو بحق، وهو إدخال الإصلاح عليهم، وحملهم على الطريق القويم، وإنقاذهم من نار الجحيم.

ثانياً: غاية ما تدل عليه هذه الآية الأمر بقتال من قاتلنا منطوقاً، والكف عمن لم يقاتل مفهوماً، والمفهوم ليس بحجة عند أكثر العلماء إذا لم يخالف؛ فكيف إذا عارض منطوقاً صريحاً؟

ثالثاً: إنّ الآية ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٩٣] ، وآية ﴿ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ [التوبة: ٥]، والآية ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ [التوبة: ٢٩] وما يشابههن، وقول النبي ﷺ: «**أمرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله**»[١]، وما في معناه من الأحاديث الكثيرة، كل ذلك عام شامل لمن قاتل ومن لم يقاتل.

رابعاً: إنّ آية ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٩٠]، ﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ ﴾ [المائدة: ٣٥]، ومعنى كلمة القتال في سبيل الله لا يفهم من ذلك الدفاع عن النفس فحسب، وقد قال النبي ﷺ للذي قال له: الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء، أي ذلك في سبيل الله؟ فقال: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**»[٢] فبيّن أن المراد من القتال في سبيل

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٩)، ومسلم (٢٠).
(٢) أخرجه البخاري (٣١٢٦)، ومسلم (١٩٠٤).

الله القتال لعلو الإسلام ورضوخ الكفر له.

خامساً: إن النبي ﷺ كان لا يمنعه من الإغارة على قوم إلا سماع الأذان، فإن سمع أذاناً أمسك، وإلا أغار.

سادساً: إنه قد عُلم بالاضطرار عند المسلمين وغيرهم أنه لم يثبت أن كل من قاتلهم النبي ﷺ، وأبوبكر، وعمر، وعثمان، وغيرهم من أئمة المسلمين، قاتلوا قبل أن يقاتَلوا، وأن مقام المسلمين معهم مقام دفاع عن النفس، وإن كان ذلك حصل من بعضهم في بعض الأحيان فلا يُسلم حصوله في الكل.

سابعاً: إن سنته صلى الله عليه وسلم في بعثه للسرايا والجيوش أن يقول لهم: **«اغزوا في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال»**[1].

وهو معلوم من حديث بريدة الطويل عند مسلم، وأما آية الإكراه في الدين فلا تمنع من قتالهم حتى يكون الدين عالياً عليهم، وآية الجزية مبينة للإكراه، وأما تعليل الإذن بالقتال بظلم الكفار إياهم، فغايته أنه ذكر علة ولم ينف سواها، وأما ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖ﴾[ق: ٤٥] وما في معناها، فتلك آيات مكيّات أتت بعدهنّ المدنيّات.

(١) أخرجه مسلم (١٧٣١).

(٣) قلتم في صفحة ١٦٢: على أن الشريعة تعطي المرأة حق اشتراط جعل عصمتها بيدها؛ فتطلق نفسها إذا شاءت.

قول الشريعة هي الكتاب والسنة الإجماع، فإن رأيتم هذا القول فيها فهاتوا دليله مأجورين، والمنار معروف أنه يدلل على ما يذهب إليه، والذي أعرفه أنه رأي لأبي حنيفة، وأنا لا أعتقد أنكم تقلدونه، وأبو حنيفة الذي رأى هذه الرأي هو الذي رأى لو أن رجلاً في المشرق تزوج بامرأة في المغرب؛ فولدت أن الولد يلحق به، وإن لم يثبت عنده اجتماعهما!

فهل تقولون: إن الشرع ألحق الولد به؟

وأنتم ـ وفقنا الله وإياكم ـ ذكرتم هذا القول في الوحي المحمدي، فلا يفهم إلا أنكم وجدتم ذلك في القرآن أو الحديث، فإن لم يكن إلا في رأي أبي حنيفة، فهو شرط ليس في كتاب الله، ومن اشترط شرطاً ليس في كتاب الله فهو باطل، وإن كان مائة شرط، وهو قول ليس عليه أمر الشارع، ومن عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد، مع أنه رأي يجعل للمرأة الناقصة عقلاً وديناً ولايةً على أمر الرجل، «ولن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة»[1]، فكيف تُوَلّى تفكيك روابط الأسر وتفريق الجماعات، وهي التي تغضب للكلمة، وتطيش للصدة، وتتميز للإعراضة؟!

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٢٥).

(٤) قلتم في صفحة ١٨٧: فكلام الله عندنا شأن من شؤونه، وصفة من صفات كماله؛ كعلمه، إلا أن وظيفة العلم انكشاف المعلومات له بدون سبق خفاء، ووظيفة الكلام كشفه ما شاء من المعلومات لمن شاء بها شاء.

هذا التعريف لا يُعْرَف لأحد من علماء السنة ورواة الآثار؛ كمالك، والسفيانين، وأحمد، وإسحاق، ويحيى بن معين، والبخاري، ولا كالزهري، وأيوب، وابن سيرين، ولا عن أحد من الصحابة، فإن كان معروفاً لديكم فأزيلوا عنا اللبس، وما رأيكم لو كشف الله لعبد بإزالة الحجب، فهل يقال: إنه كلمه؛ فإن تعريفكم صادق على هذا؟ وهلا يجوز عندكم أن الله ينادي بصوت يسمعه من بعد، كما يسمعه من قرب؟ وهل تعريفكم هذا لكلام الله الذي هو القرآن فحسب، أو لما هو أعم؟ وهل أنتم تعتقدون أن القرآن كلام الله أم هو عبارة عنه؟

(٥) وقلتم في صفحة ٨: وحررت هذه المقدمة في ليلة المولد؟ فهل عندكم خبر صحيح يعين ليلة المولد؟ مع أن المحققين من العلماء قرروا أنها لا تُعْرَف، وفيها أقوال متعارضة متضاربة ليس بعضها أولى بالبطلان من بعض، ولا أظن أنّكم تتابعون الناس على ما درجوا عليه من الباطل، على أني اختصرت خوف الإطالة والملل، وتركت مواضع بغير تعليق لباعث العجل، والله يوفقنا جميعاً إلى سبيل الرشاد. عبدالله بن علي بن يابس[(١)].

---

(١) مجلة المنار، (صفر ١٣٥٣هـ). وقد ناقش الشيخ رشيد هذه التعقبات في عدد (ربيع الأول ١٣٥٣هـ)، و(جمادى الآخرة ١٣٥٣هـ).

٢- انتقاد للشيخ رشيد ـ رحمه الله ـ لرده أحاديث المهدي والدجال:

قال الشيخ رشيد:

«كتب إلينا بعض القراء من جاوه ومن فلسطين يشكرون لنا ما كتبناه من التحقيق في مشكلات أحاديث المهدي وأحاديث الدجال وبيان المخرج من مشكلاتها، وسألنا بعضُهم عن أحاديث نزول المسيح عيسى بن مريم لعلاقتها بتلك الأحاديث، ولكن ليس فيها من التعارض والتناقض والإشكاليات مثل ما فيها، وإن كان بعضها لا يخلو من ذلك.

وانتقد علينا **بعضُ النجديين هذا البحث**، وتمنوا لو لم يُنشر، وإنهم لا يعرفون لنا عذراً في نشره...»(١).

٣- نصيحة مبطنة من الشيخ عبدالرحمن بن سعدي ـ رحمه الله ـ للمنار:

قال الشيخ ابن سعدي:

«من عنيزة إلى قاهرة مصر في رجب سنة ١٣٤٦: بسم الله الرحمن الرحيم: أبعثُ جزيل التحيات، ووافر السلام والتشكرات، لحضرة الشيخ الفاضل الشيخ محمد رشيد رضا المحترم، حرسه الله تعالى من جميع الشرور، ووفقه وسدده في كل

---

(١) مجلة المنار، (صفر ١٣٤٦هـ).

أحواله آمين، أما بعد: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فالداعي لذلك ما اقتضاه الحب ودفعه الود المبني على ما لكم من المآثر الطيبة التي تستحقون بها الشكر من جميع المسلمين، التي من أعظمها تصديكم في مناركم الأغر لنصر الإسلام والمسلمين، ودفع باطل الجاهلين والمعاندين، رفع الله قدركم وأعلى مقامكم، وزادكم من العلم والإيمان ما تستوجبون خير الدنيا والآخرة، وأنعم عليكم بنعمه الظاهرة والباطنية، ثم إننا نقترح على جنابكم أن تجعلوا في مناركم المنير بحثاً واسعاً لأمر نراه أهم البحوث التي عليها تعولون، وأنفعها لشدة الحاجة بل دعاء الضرورة إليه، ألا وهو ما وقع فيه كثير من فضلاء المصريين وراج عليهم من أصول الملاحدة والزنادقة من أهل وحدة الوجود والفلاسفة، بسبب روجان كثير من الكتب المتضمنة لهذه الأمور، ممن يُحسنون بهم الظن؛ ككتب ابن سينا وابن رشد وابن عربي ورسائل إخوان الصفا، بل وبعض الكتب التي تنسب للغزالي، وما أشبهها من الكتب المشتملة على الكفر برب العالمين والكفر برسله وكتبه واليوم الآخر، وإنكار ما عُلِمَ بالضرورة من دين الإسلام، فبعض هذه الأصول انتشرت في كثير من الصحف المصرية بل رأيتُ تفسيراً طبع أخيراً منسوباً للطنطاوي قد ذكر في مواضع كثيرة في تفسير سورة البقرة شيئاً من ذلك[1]؛ ككلامه على استخلاف آدم، وعلى قصة البقرة، والطيور ونحوها، بكلام

---

(١) هو الشيخ طنطاوي جوهري، ولد سنة ١٢٨٧، وتلقى العلم بالأزهر؛ ثم بدار العلوم، وأصبح مدرساً فيها، وكان رئيساً لجمعية المواساة الإسلامية بالقاهرة، ثم انقطع للتأليف إلى أن توفي سنة ١٣٥٨. (الأعلام: ٣/ ٢٣٠-٢٣١). ولمعرفة منهجه في التفسير تُنظر رسالة

=

ذكر فيه من أصول وحدة الوجود وأصول الفلسفة المبنية على أن الشرائع إنما هي تخييلات وضرب أمثال لا حقيقة لها، وأنه يمكن لآحاد الخلق ما يحصل للأنبياء، ما يجزم المؤمن البصير أنه مناقض لدين الإسلام، وتكذيب لله ورسوله، وذهاب إلى معانٍ يُعلم بالضرورة أن الله ما أرادها، وأن الله بريء منها ورسوله، ثم مع ذلك يحث الناس والمسلمين على تعلمها وفهمها، ويلومهم على إهمالها، وينسب ما حصل للمسلمين من الوهن والضعف بسبب إهمال علمها وعملها.

وَيْح من قال ذلك، لقد علم كل من عرف الحقائق أن هذه العلوم هي التي أوهنت قوى المسلمين، وسلطت عليهم الأعداء، وأضعفتهم لزنادقة الفرنج وملاحدة الفلسفة، **وكذلك يبحث كثير منهم في الملائكة والجن والشياطين، ويتأولون ما في الكتاب والسنة من ذلك بتأويلات تشبه تأويلات القرامطة الذين** يتأولون العقائد والشرائع، فيزعمون أن الملائكة هي القوى الخيرية التي في الإنسان، فعبَّر عنها الشرع بالملائكة، كما أن الشياطين هي القوى الشريرة التي في الإنسان، فعبَّر عنها الشرع بذلك، ولا يخفى أن هذا تكذيب لله ولرسله أجمعين، ويتأولون قصة آدم وإبراهيم بتأويل حاصله أن ما ذكر الله في كتابه عن آدم وإبراهيم ونحوهما لا حقيقة له، وإنما قصد به ضرب الأمثال، **وقد ذكر لي بعض**

الدكتور فهد الرومي: «اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر» (٢/ ٦٣٨-٦٧٨).

أصحابي أن مناركم فيه شيء من ذلك وإلى الآن ما تيسر لي مطالعته، ولكن الظن بكم أنكم ما تبحثون عن مثل هذه الأمور إلا على وجه الرد لها والإبطال؛ كما هي عادتكم في رد ما هو دونها بكثير، وهذه الأمور يكفي في ردها في حق المسلم المصدق للقرآن والرسول مجرد تصورها، فإنه إذا تصورها كما هي يجزم ببطلانها ومناقضتها للشرع، وأنه لا يجتمع التصديق بالقرآن وتصديقها أبداً، وإن كان غير مصدق للقرآن ولا للرسول صار الكلام معه كالكلام مع سائر الكفار في أصل الرسالة وحقيقة القرآن.

وقد ثبت عندنا أن زنادقة الفلاسفة والملحدين يتأولون جميع الدين الإسلامي: التوحيد والرسالة والمعاد والأمر والنهي، بتأويل يرجع إلى أن القرآن والسنة كلها تخييلات وتمويهات لا حقيقة لها بالكلية، ويلبسون على الناس بذلك، ويتسترون بالإسلام، وهم أبعد الناس عنه، كما ثبت أيضاً عندنا أنه يوجد ممن كان يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر ويعظم الرسول وينقاد لشرعه وينكر على هؤلاء الفلاسفة ويكفّرهم في أقوالهم أنه يدخل عليه شيء من هذه التأويلات من غير قصد ولا شعور؛ لعدم علمه بما تؤول إليه، ولرسوخ كثير من أصول الفلسفة في قلبه، ولتقليد من يعظمه، وخضوعاً أيضاً، ومراعاة لزنادقة علماء الفرنج الذين يتهكمون بمن لم يوافقهم على كثير من أصولهم، ويخافون من نسبتهم للبلادة، وإنكار ما علم محسوساً بزعمهم، فبسبب هذه الأشياء وغيرها دخل عليهم ما دخل، فالأمل قد تعلق بأمثالكم لتحقيق هذه الأمور وإبطالها، فإنها

فشت وانتشرت، وعمت المصيبة بها الفضلاء فضلاً عمن دونهم، ولكن لن تخلو الأرض من قائم لله بحجة يهتدي به الضالون، وتقوم به الحجة على المعاندين، وقد ذكرتُ لحضرتكم هذه الأشياء على وجه التنبيه والإشارة؛ لأن مثلكم يتنبه بأدنى تنبيه، ولعلكم تجعلونه أهم المهمات عندكم؛ لأن فيه الخطر العظيم على المسلمين، وإذا لم ير الناس لكم فيه كلاماً كثيراً وتحقيقاً تاماً، فمن الذي يُعلق به الأمل من علماء الأمصار؟ والرجاء بالله أن يوفقنا وإياكم لما يحبه ويرضاه، ويجعلنا وإياكم من الهادين المهتدين، إنه جوادٌ كريم، وصلى الله على محمد وسلم. محبكم الداعي: عبدالرحمن بن ناصر السعدي»[1].

٤- انتقاد أحد العلماء النجديين إنكار الشيخ رشيد بعض المعجزات، وغير ذلك:

قال الشيخ رشيد:

«جاءت الرسالة التالية من البصرة بعد طبع جزء ذي الحجة فنشرناها في هذا الجزء، وإن كانت على خلاف شرطنا، والشرط العرفي عند أرباب الصحف، وهو أن لا ينشروا شيئاً لمن يكتم اسمه عنهم، وهي: بسم الله الرحمن الرحيم، سيدي الكريم المصلح الكبير والعالم الشهير، الشيخ محمد رشيد رضا حفظه الله وبارك له في سعيه، وسدده في كل يأتي وما يذر، آمين.

---

(١) مجلة المنار، (شوال ١٣٤٦هـ).

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد: فقد استفدت من الجزء الأخير في المنار الأغر ميلكم إلى عدم انشقاق القمر معجزة للنبي ﷺ، معللين ذلك بما يأتي، ولرجائي أن أكون معكم من المتعاونين على البر والتقوى سأبدي رأيي راجياً العفو عما أتقدم به: إن أحاديث الانشقاق أتت في عامة الأمهات، لاسيما الصحيحين على ما فيها من حسن وصحيح ومرسل ومسند، وأثبته التاريخ العربي والعجمي، وأظهر من ذلك أن الآية في الانشقاق قد كانت تُتلى بمحضر المسلم والكافر، فلم نسمع بمنكر، مع أن الضد بالمرصاد، ومضى على ذلك القرون الكثيرة ما بين ناقل لذلك ومُقر عليه.

واختلاف الأحاديث فيه مع ورودها على معنى واحد؛ وهو الإثبات ـ لا يوجب الرد، واتفاق آية ﴿ سُبْحَٰنَ ﴾[1] مع آية الانشقاق سهل يسير، وهو أن آية ﴿ سُبْحَٰنَ ﴾ دلت على منع الاقتراح المعين، وآية الانشقاق أتت بغير اقتراح أو باقتراح لم يعين، هذا ما دلت عليه الأحاديث المعتمدة.

وأما مجيء آية الانشقاق باقتراح معين فلا يصح كما بينتموه، وفرق بين

---

(١) وهي قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [الإسراء: ٩٠ – ٩٣].



حصول الآية باقتراح معين وحصولها بغير اقتراح، أو باقتراح لم يعين: القسم الأول يعقبه الهلاك؛لأنه جاءهم عين ما طلبوا فلم تبق لهم شبهة،وأما القسمان الأخيران فلهم شبهة تدرأ نزول العذاب، بكون الآية لم تقنعهم.

وأما تفسيركم الآية بأن الانشقاق كناية عن ظهور الأمر واتضاحه، واستشهادكم عليه من اللغة، فلا ريب أن العرب تقول: انشق الصبح؛ بمعنى ظهر وبان، وأما انشق القمر بمعنى: ظهر الحق وبان، فلا نُسلم أن العرب تستعمل مثل ذلك، ويكاد أن يكون لغزاً لا يتفق مع بيان القرآن.

وقد ذكرني ذلك تفسيركم همّ يوسف بامرأة العزيز بالضرب[1]، وكلا التفسيرين بالنفس منهما شيء، فقوله تعالى: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف: ٢٤] دليل على أن المتقدم أمر لا يليق بمنصبه الشريف، والهم عارض، لا مستقر، ولا هو بوسع الإنسان، وإذا دفعه بعد رؤية البرهان فهو من الكمال، ولا يمس منصب النبوة بسوء.

---

(١) وهو قوله في تفسير المنار (١٢/ ٢٧٧-٢٧٨):

«﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ﴾، أي: وتالله لقد همت المرأة بالبطش به؛ لعصيانه أمرها ... ـ إلى أن قال ـ: وكاد يرد صيالها ويدفعه بمثله، وهو قوله تعالى: ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ ...».

ومما يناسب ذكره قولكم جواباً لرسالة عالِمِ القصيم عبدالرحمن السعدي: «قد يكون التأويل هو المنقذ الوحيد في الرد على..» الخ، وهذا لا يتفق مع جهادكم الجهمية وأمثالهم، وليس في القرآن ولا السنة ما ظاهره يحتاج للتأويل، على شرط أن يؤخذ الحكم من مجموع السياق لا من مفرداته.

وأما قولكم: لا علاقة بين الانشقاق ودعوى النبوة حتى يكون علامة عليها، فله علاقة لاصقة، وهي أنه لما أخبر الله باقتراب الساعة التي هي خراب العالم أجمع، وكانت قريش تنكر ذلك، أراهم الله آية محسوسة، وهي شق القمر فِرقتين، فالقادر على تخريب هذا الجرم الكبير ـ وإعادته كما كان ـ قادرٌ على إيجاد الساعة التي أخبر بها الرسول ﷺ، والآية بعدها تثبته، وأما تصدير الجملة بالشرط فهو يفيد أنهم سيكذبون بكل آية يأتي بها الرسول ﷺ، وليس التكذيب مختصًّا بهذه المعجزة.

وإن رغبتم الوقوف على كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في الانشقاق فهو في نمرة ٥٥ من الجزء الأول من الجواب الصحيح.[1]

---

(١) قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ: «وقال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ [القمر: ١]، أخبر باقتراب الساعة وانشقاق القمر، وانشقاق القمر قد عاينوه وشاهدوه، وتواترت به الأخبار، وكان النبي ﷺ يقرأ هذه السورة في المجامع الكبار؛ مثل الجمع والأعياد؛ ليسمع الناس ما فيها من آيات النبوة ودلائلها والاعتبار، وكل الناس يقر بذلك ولا ينكره، فعُلم أن انشقاق القمر كان معلوماً عند الناس عامة». (الجواب الصحيح: ١/ ١٤٨).

وبالختام، أرجو الله أن يكون معكم وفي عونكم، كما أننا نسأله أن يجعلكم مؤثرين للحق، وقد علمت من بعض الإخوان محبتهم لمبادلتكم الأفكار في شيء من البحوث، بَيد أنهم يخشون عدم رغبتكم، فهذا رأيي الضعيف، والمرجو أن عفوكم يسع ما تقدمت به إلى حضرتكم. صديق نجديّ»[1].

---

(١) مجلة المنار: (محرم ١٣٤٩هـ).

علاقة الشيخ رشيد بالملك عبدالعزيز ـ رحمهما الله ـ والكتب التي كان يطبعها، ويُعلق عليها

أما عن موقف رشيد رضا ـ رحمه الله ـ ومجلته «المنار» من الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ، فكانت علاقة المناصرة والتعاون؛ حيث أفرد عشرات المقالات في الانتصار له ضد خصومه المتعددين، ليس هنا مقام نقلها[1]، إضافةً إلى أمر هام لرسالتنا هذه «رسالة ابن سحمان»، هي تعاونه مع الملك في طباعة الكتب السلفية المتنوعة في مطبعته لحساب الدولة السعودية الناشئة.

فحيث أن رشيد رضا قد أسس مطبعة خاصة تقوم بطبع مجلة المنار وتفسيره وباقي مؤلفاته، فمن الطبيعي أن تكون المطبعة مستعدة لطبع ما يُعرض عليها ويُطلب منها من كتب ورسائل، بشرط أن تكون تلك الكتب متلائمة مع الأهداف التي يدعو إليها رشيد رضا، ففي ذلك مشاركته ومعاونته في تحقيق تلك الأهداف، كما أن فيها منفعة مادية تدعم المضي في ذلك الطريق، وكثيراً ما نجد في غلاف بعض الكتب التي تطبعها إدارة المنار إعلاناً باستعداد الدار لطبع الكتب والجرائد وسائر المطبوعات، بل رأينا في غلاف أحد هذه الكتب[2] استعداد الدار

---

(١) تنظر في رسالة الدكتور محمد السلمان ـ حفظه الله ـ «رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب»؛ حيث أفرد لها مبحثاً بعنوان «رشيد والملك عبدالعزيز..»، (ص٥٠٦ وما بعدها) استفدت منه كثيراً.

(٢) هو كتاب «القول السديد في بعض مسائل الاجتهاد والتقليد» للعالم الأصولي محمد بن =

للطبع باللغة الإفرنجية أيضاً، دون أن يعيّن أو يحدد اسم اللغة الإفرنجية تلك، ومما لا شك فيه أن هذا يدل على اتساع نطاق عمل مطبعة المنار وإدارتها.

وبالفعل قامت مطبعة المنار بمصر بطبع ونشر عدد من الكتب المختلفة والمتنوعة التخصصات، بعضها في علوم الشريعة الإسلامية؛ من تفسير وتوحيد وفقه، وبعضها في علوم اللغة العربية وآدابها، وبعضها في العلوم الاجتماعية كالتاريخ مثلاً، وبعضها الآخر في علوم حديثة؛ كالطب والعلوم الطبيعية المختلفة.

ولا شك أن اهتمام رشيد رضا بطبع مثل هذه الكتب والتعليق عليها تعطينا فكرة واضحة عن مقدار تأثر رشيد رضا بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب والدعوة السلفية عموماً، وحبه وحرصه الشديد على نشرها عن طريق مطبعته وإدارته، حتى صارت مطبعة المنار أهم المطابع في مصر والعالم الإسلامي في الدعوة إلى السلفية عامة، ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب والدفاع عنها بشكل خاص.

ونورد الآن بعض الكتب في دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب التي طبعتها ونشرتها مطبعة المنار بمصر، وقام بتصحيحها والتعليق على بعضها الشيخ رشيد

عبدالعظيم الرومي الموروي، المطبوع في مطبعة المنار بمصر سنة ١٣٣٢هـ، الغلاف الأخير من الكتاب.

رضا، وأهمها: ـ

١- مجموع الرسائل والمسائل النجدية: الطبعة الأولى مطبعة المنار بالقاهرة سنة ١٤٣٩هـ (١٩٣٠م) في ٨٧٦ صفحة، تعليق وتصحيح رشيد رضا، في أربعة أجزاء.

٢- مجموعة التوحيد النجدية: الطبعة الأولى، مطبعة المنار بمصر، القاهرة سنة ١٣٤٦هـ (١٩٢٧م) في ٥٢٦ صفحة، أشرف على تصحيحها وطبعها الشيخ محمد رشيد رضا، وله تعليقات عليها.

٣- مجموعة الحديث النجدية: الطبعة الأولى مطبعة المنار بمصر، القاهرة سنة ١٣٤٢هـ (١٩٢٣م) في ٨٠٦ صفحة، وقف على طبعها وأشرف على تصحيحه، وعلق بعض الفوائد في حواشيها الشيخ محمد رشيد رضا.

٤- الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية: جمع وترتيب الشيخ سليمان بن سحمان النجدي، مطبعة المنار بمصر ـ القاهرة سنة ١٣٤٤هـ (الطبعة الثانية) في ١٣٦ صفحة، وقف على طبعها وعلق عليها بعض الفوائد والإيضاحات الشيخ محمد رشيد رضا.

٥- مجموعة رسائل وفتاوى مهمة تمس إليها حاجة العصر، لعلماء نجد الأعلام: مطبعة المنار بمصر ـ الطبعة الأولى سنة ١٣٤٦ هـ في ٧٤ صفحة من القطع الصغير، فيه تعليقات وحواشي لرشيد رضا.

٦- كتاب «تنبيه ذوي الألباب السليمة عن الوقوع في الألفاظ المبتدعة الوخيمة»، ويليه كتاب «تبرئة الشيخين الإمامين من تزوير أهل الكذب والمين»،

تأليف الشيخ سليمان بن سحمان، الطبعة الأولى ١٣٤٣هـ، مطبعة المنار بمصر في ٢١٥ صفحة، فيه تعليقات وحواشي لرشيد رضا.

٧- كتاب «الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق»، تأليف الشيخ سليمان بن سحمان ـ الطبعة الأولى، مطبعة المنار بمصر سنة ١٣٤٤هـ في ٣٠٤ صفحة، فيه تعليقات وحواشي لرشيد رضا.

هذه أبرز الكتب المتصلة بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، التي قامت مطبعة المنار بطبعها ونشرها، وهناك كتب أخرى طبعتها ونشرتها مطبعة المنار، بعضها يتصل بدعوة المنار إلى السلفية الإصلاحية، وبعضها يتصل بنواحي علمية مختلفة، وقد أشرف على تصحيحها وطبعها الشيخ رشيد رضا.

ولقد تعود رشيد رضا التعليق على ما ينشره لغيره في مجلة المنار، وعلى ما يُشرف على طبعه من كتب غيره، وهذا التعليق قد يكون تخريجاً لحديث، أو توضيحاً لعبارة، أو تصحيحاً لخطأ لغوي أو نحوي، أو ديني، وقد يكون إضافة إلى الموضوع الذي يعلّق عليه، وقد يكون ذكراً لشيء خاص أو عام يتعلق برشيد، ووجد رشيد الفرصة مناسبة لذكره، كما قد يكون ترجمة لأحد الأعلام الوارد ذكرها.

ويظهر أن رشيد قد تعوّد عادة التعليق على كلام غيره منذ وقت مبكر لإنشاء مجلة المنار ومطبعتها، ولهذا يقول في إحدى رسائله إلى شكيب أرسلان: «لا أنكر أني

تعودت التعليق على بعض ما ينشر في المنار لا على كله»، ثم يعلل ذلك بقوله: «والتعليق على المطبوعات من مصححي المطابع معهود ومألوف»(١)، ومن المعروف أن رشيد رضا عالم غزير المعارف، وقد يرى التعليق وسيلة من وسائل نشر العلم الذي لا يليق به كتمانه.

ولا شك أن لبعض هذه التعليقات فائدة علمية كبيرة، يقول الدكتور أحمد الشرباصي: «لا جدال في أن تعليقات رشيد المختلفة على المقالات والمطبوعات قد تضمنت فوائد كثيرة؛ منها ما يتعلق بعلوم الدين، ومنها ما يتعلق بعلوم اللغة، ومنها ما يتعلق بالسياسة أو التاريخ أو الأشخاص... إنه ليخيّل إلي أن عقل رشيد كان كالمنجم المزدحم بشتى المعلومات والمعارف التي تطن في دماغه، وتريد أن تجد سبيلاً إلى الانطلاق، فما يكاد رشيد يجد مكاناً مناسباً لهذا الانطلاق حتى يفتح لما في عقله أوسع الأبواب»(٢).

ولكن الشيخ رشيداً ـ عفى الله عنه ـ كان يجانب الصواب أحياناً في بعض تعليقاته على كتب أئمة الدعوة السلفية؛ باستدراك خاطئ، أو جرأة في رد بعض كلامهم! وما كان يسوغ له هذا إلا بعد استئذانهم أو استئذان من أوكل إليه أمر مهمة الطباعة؛ لأنه مؤتمن أن يطبع هذه الكتب كما أُعطيت له؛ دون زيادةٍ، أو نقصان، أو تأويل، أو استدراك.

---

(١) رشيد رضا ...، ص٣٩٧.

(٢) رشيد رضا، الكاتب الإسلامي، ص٢٤٢ و٢٤٤.

وقد شعر الشيخ رشيد نفسه بهذه الجرأة عندما علَّق على رسالة للشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ كتبها عند دخولهم مكة زمن الدولة السعودية الأولى، نُشرت في «الهدية السنية»، قال فيها الشيخ عبدالله: «ونحن أيضاً في الفروع على مذهب الإمام أحمد ابن حنبل، ولا ننكر على من قلد أحد الأئمة الأربعة دون غيرهم، لعدم ضبط مذاهب الغير؛ كالرافضة والزيدية والإمامية ونحوهم، لا نقرهم ظاهراً على شيء من مذاهبهم الفاسدة ، بل نُجبرهم على تقليد أحد الأئمة الأربعة»[(١)].

فعلَّق الشيخ رشيد ـ رحمه الله ـ مستدركاً: «إن كلمة الرافضة التي وضعت لغلاة الشيعة؛ تشمل الباطنية وآخرين، دون الزيدية ومعتدلي الإمامية، والظاهر أن صاحب هذه الرسالة ووالده لم يطلعوا على كتب الزيدية في الفقه، ولو اطلعوا عليها لعلموا أن فقههم مدون، وكذلك الإمامية، وأن الفرق بينه وبين فقه الأربعة قليل، قلما قال أحد مجتهديه قولاً انفرد به وخالف الإجماع قبله، وكيف وهم يحتجون بالإجماع وبعمل السلف؟ وكذا بأحاديث دواوين السنة المشهورة؛ كالكتب الستة، وقد كان مشايخنا يقولون كما قال مشايخ نجد: إن سبب حصر التقليد في فقه الأربعة دون سائر مجتهدي الأمة، هو تدوين مذاهبهم دون غيرها،

---

(١) الهدية السنية، ص٣٩.

وهذا غلط سببه عدم الاطلاع، وكتبه مصححه»!!

وقال الشيخ رشيد في مجلة «المنار» ـ أيضاً ـ عن عبارة الشيخ عبدالله السابقة: «ظاهر هذه العبارة أنهم لا يأذنون لأصحاب هذه المذاهب بالإقامة في الحجاز؛ إلا إذا تركوها وتبعوا أحد مذاهب أهل السنة، وهذا من أشد التعصب الذي كانوا يوصفون به، وهو يزيد الشقاق بين المسلمين، فالتمست لها تخريجاً مهدت به للاتفاق؛ بأن علقت على كلمته الأولى في حاشيتها بما نصه: ـ ثم ذكر تعليقه السابق ثم قال ـ وكنتُ جريئاً، أي جريء في هذا التعليق، وفي حواشي أخرى من مطبوعات جلالته؛ للمصلحة الإسلامية، وأنا أعلم أنني لا أسلم من سخطٍ عليَّ يتبعه ضرر..»[1] !!

قلتُ: فقد غلَّب الشيخ ـ عفى الله عنه ـ قاعدته الذهبية ـ كما سمَّاها ـ «نتعاون فيما اتفقنا فيه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه»، غَلَّبها على الحق الواضح في أن مذهب الزيدية ومن سماهم معتدلي الإمامية! مخالف في أصوله لمذاهب أهل السنة؛ بهدف «التجميع» الذي أسس أصوله الشيخ، وسار فيه بعده من شابهه، وهو «تجميع غير شرعي» ـ للأسف ـ يخلط الحق بالباطل، ويُلبس على أبناء الأمة، ويسير وراء أوهام التقريب بين أهل السنة وأهل البدعة، مع بقاء كلٍ منهم على مذهبه!

---

(١) مجلة المنار: (ربيع الأول ١٣٥٣هـ).

وهيهات أن ينتج عن هذا الصنيع تقريبٌ نافع للأمة، وإنما سيكون كما قال الشاعر:

فـإن الجُرحَ ينفـر بعـد حـين ... إذا كـان البـناء على فسـادِ

قال النووي عن الزيدية: «لا يُعتد بخلافهم»[1]، وأيده الشيخ ابن باز ـ رحمه الله ـ وقال في (هامش ٢/ ٣١٠): «وقد سبق للشارح أن خلاف الزيدية لا يُعتبر، والإمامية شر من الزيدية، وكلاهما من الشيعة، وليسوا أهلاً أن يُذكر خلافهم في مسائل الإجماع والخلاف».

وقال الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ في رده على الزيدية، المسمى «جواب أهل السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والزيدية»: «وأما قوله ـ أي الزيدي ـ : ويا ليت شعري هل سمع ابن معين من رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه عدّ مذهب أولاده من البدع؟

فهذا من عظيم جهل المعترض، وافترائه على ابن معين وغيره من أهل السنة، فإن ابن معين لم يقل: إن مذهب زيد بن علي وآبائه وأجداده من البدع، بل قال ما نقله عنه المعترض: «وللزيدية مذهب بالحجاز، وهو معدود من مذاهب أهل

---

(١) نقلاً عن «فتح الباري»، (٢/ ٢٥٦).

البدع»، يعني بذلك الزيدية الذين ينتسبون إلى زيد بن علي، وليسوا على طريقته، ومجرد الانتساب إلى زيد أو غيره من أهل البيت لا يصير به الرجل متبعاً لطريقتهم؛ حتى يعرف طريقتهم ويتبعهم عليها، كما قال الحسن البصري ـ رحمه الله ـ في قوله صلى الله عليه وسلم: «**المرء مع من أحب**»(١): إن اليهود والنصارى يحبون أنبيائهم فلا تغتروا.

وابن معين ـ رحمه الله ـ سمع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»(٢)، فهذه كلمة جامعة بين فيها صلى الله عليه وسلم أن كل من أحدث ما يخالف أمر الله ورسوله فهو مردود عليه.

وكذلك قوله في حديث العرباض بن سارية: «**وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة**»(٣)، والرسول صلى الله عليه وسلم أعطي جوامع الكلم، فأفاد أمته وأعلمهم صلوات الله وسلامه عليه أن كل بدعة ضلالة.

فإذا تبين لأهل العلم أن طائفة من الطوائف الزيدية أو غيرهم خالفوا ما عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، بينوا للناس أنهم أهل بدعة وضلالة، لئلا يغتر بهم الجاهل، كما بينوا فساد مذهب الرافضة المنتسبين إلى علي

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٦٨)، ومسلم (٢٦٤٠).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٩٧).

(٣) أخرجه أبوداود (٤٦٠٧)، وصححه الألباني.

وأولاده، وكذلك بينوا فساد مذهب القدرية المنكرين أن يكون الله خلق أعمال العباد وقدّرها عليهم.

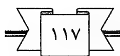
وكذلك بينوا فساد مذهب الخوارج الذين كفروا علياً وعثمان ومن والاهما، وهم مع ذلك ينتسبون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإلى أبي بكر وعمر، ويتولونهما، ويستدلون بآيات من القرآن لا تدل على ما قالوه.

وهذا الجاهل يظن أن من انتسب إلى زيد بن علي وغيره من أهل البيت لا يُذم ولا يعاب، ولو خالف الكتاب والسنة، وهذا جهل عظيم لا يمتري فيه إلا من أضله الله، وختم على سمعه وقلبه، وجعل على بصره غشاوة، نعوذ بالله من الخذلان». اهـ كلام الشيخ عبدالله ـ رحمه الله ـ. (١)

قلت: ولما سبق من تصرف الشيخ رشيد؛ فقد استاء بعض علماء الدعوة (وعلى رأسهم الشيخ ابن سحمان ـ رحمه الله ـ) من بعض تعليقات الشيخ رشيد، واستدراكاته على كتبهم، وتعرضوا فيما بينهم لهذا التصرف غير اللائق منه ـ رحمه الله ـ.

---

(١) ص ٣٣٣-٣٣٥ من رسالة «الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب ومنهجه في تقرير العقيدة، مع دراسة وإخراج كتاب : جواب أهل السنة...»، دراسة وتحقيق: الشيخ ناصر بن سليمان السعوي، رسالة ماجستير في جامعة الإمام، قسم العقيدة، عام ١٤٢٠هـ، لم تطبع بعد.



فمن ذلك: رسالة من الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ أرسلها إلى الشيخ ابن سحمان ـ رحمه الله ـ، يقول فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبدالعزيز المانع إلى جناب العالم العلامة والقدوة الفهامة: الشيخ سليمان بن سحمان أسبغ الله عليه نعمه، وأيد بإصابة الحق لسانه وقلمه. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...[1] تحياته.

أما بعد: فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، وأشكره على ما أولاه من النعم، وصرفه من النقم،.... المكرم وصل فسرَّ الخاطر، وأبهج الناظر، وحمدت الله سبحانه على دوام صحتكم وسلامتكم، حرسكم الله ... ونصر الإسلام والمسلمين، وقمع المبتدعة والمعطلة والمشركين، ولقد أصبتم في تعليل عدم طبع الرد على صاحب القبلة، وأن المانع لصاحب «المنار» من ذلك هو فساد المعتقد، حيث أنه يعتقد .... الموحدين والمتسمين بالإسلام من الرافضة والخوارج والجهمية وعباد القبور ..... هذا دائماً يردده في مجلته، ويدعو إليه لاسيما في هذه السنين القريبة، وهذا المشرب... سلفية الأمصار، وانتسابهم إلى مذهب السلف؛ إنما هو فلسفة .... للعقول.

قالوا: إنه الصواب، مع قطع النظر عن أدلته النقلية......... الآيات، وصحيح السنة، لكونهم لم ينتسبوا للسلف إيماناً... تجدهم ينصرون مذهب أهل

---

(١) ما وضع بدله نقط فهي كلمات مطموسة، وتنظر صورة الرسالة في آخر الكتاب.

السنة، فإذا عُرضت لهم دنيا من جانب المشركين نصروا... وأيدوا ضلالهم، حتى أن منهم من يؤلف للسلفية والرفاعية، وينصر كلا المذهبين المُتعارضَين وهذا من الغرابة بمكان، ولكن من يعرف ما عند القوم لم يستغرب ذلك ولم يتعجب منه؛ فالقوم فلاسفة ليسوا بأهل دين، ولهذا يشاهد منهم من عرفهم من ترك علمائهم للعبادات وإخراج الصلاة عن وقتها عمداً أمراً عجيباً.

ويسمون أنفسهم المصلحين، ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون، وينكرون النسخ في القرآن، ويقولون: لا ناسخ ولا منسوخ، وقد يصرح بذلك صاحب «المنار» في مناره مراراً، وصرح في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[آل عمران: ١٩][١]، وغيرها بأن الرسول لم يؤمر بقتال الكفار لأجل إدخالهم في دين الإسلام، ولاشك أن هذا القول يدل على ظلم أئمة الإسلام المجاهدين السابقين واللاحقين، والرسالة التي رأيتم لشيخ الإسلام في هذا المعنى لعلها أن تكون من وضع هذه الطائفة[٢]، ولا إشكال أن القول بذلك

---

(١) ٣/ ٢٥٧.

(٢) هي رسالة «قاعدة في قتال الكفار»؛ طُبعت قديماً ضمن مجموعة رسائل، ثم أعاد الدكتور عبدالعزيز الزير ـ وفقه الله ـ تحقيقها وطبعها قريباً، وقد فهم منها المنهزمون فهماً لم يقصده شيخ الإسلام؛ وهو أنه يقصر الجهاد في الإسلام على «الدفاع» فقط! ولهذا الفهم السقيم فقد ذهب بعض العلماء ـ كالشيخ سليمان بن حمدان ـ رحمه الله ـ في رسالته «دلالة النصوص والإجماع على فرض القتال للكفر والدفاع» ـ إلى نفي نسبتها لشيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ، وقد بينت

=

إغلاق لباب الجهاد.

وذكرتم سلمكم الله أن الرسالة طبعت، وكذلك ثلاثة الأصول مع عقيدة الموفق،أما الرسالة.. تصل إلينا، وأما ثلاثة الأصول مع عقيدة الموفق، فقد وصلنا منها نسخة واحدة، وقد وضع عليها طابعها هوامش، وذكر على قول الموفق «ولا كيف ولا معنى» كلاما كله جهل وضلال، ونقل كلاماً للسنوسي في إثبات الكلام النفسي وإنكار الحرف والصوت، وأيده وقال: هو الحق!![1] وقد بيَّن معنى قول

كلام العلماء حولها، والفهم الصحيح لها ـ إن ثبتت ـ، في بحث بعنوان: «أقوال العلماء في الرسالة المنسوبة إلى شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ في الجهاد»، منشور في صفحتي بموقع (صيد الفوائد) www.saaid.net

(١) حيث قال الشيخ رشيد ـ عفى الله عنه ـ في تعليقه على «لمعة الاعتقاد» لابن قدامة، (ص٣١-٣٢) ما نصه: «أي: لا نقول كيف هي، ولا نقول معناها كذا وكذا، بل نقول: صفة أثبتها تعالى لنفسه، فنحن نثبتها له، ونكل كيفيتها ومعناها إليه تعالى، واعلم أن هذا ما كان عليه السلف كلهم، والأئمة المقتدى بهم، وذهب إليه المحققون من الخلف، ومن كبار علماء الأشاعرة؛ فقد قال الشيخ محمد بن يوسف السنوسي الأشعري ...»، ثم نقل كلام هذا الأشعري!! فخلط ـ رحمه الله ـ بين مذهب السلف الذي يؤمن بمعاني الصفات ويفهمها، ولكنه يفوض كيفيتها إلى الله، وبين مذهب أهل التجهيل الذي يفوضون «معاني» الصفات، وقد ردَّ عليهم العلماء وبينوا الفارق بين مذهبهم البدعي (وهو الذي يختاره بعض الأشاعرة)، ومذهب السلف ـ رحمهم الله ـ؛ كما في المصدر التالي لشيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ، وللتوسع: تُنظر رسالة الدكتور أحمد القاضي ـ وفقه الله ـ: «مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات». والغريب أن الشيخ رشيد ـ رحمه الله ـ كان قد علق في «مجموعة الرسائل النجدية» (٣/ ٢٢٦)، على قول الشيخ عبداللطيف بن

=

الموفق: شيخُ الإسلام رحمه الله في تفسير سورة الإخلاص[1]، وهو الحق والصواب، وكذلك سلمكم الله الرجا الإفادة عن فتاوى شيخ الإسلام، هل رأيتم فيها بعد طبعها تحريفاً أو زيادة أو نقصان؟

وسبب السؤال هو أن الذي تولى طبعها اشتُهر أنه من دعاة البابية[2]، وأنه

عبدالرحمن - رحمهما الله - عن السنوسي: «صاحب الكبرى في العقائد المبتدعة»، فقال في الهامش: «معنى كون عقائد السنوسي الكبرى مبتدعة؛ أنها مبنية على اصطلاحات علوم المنطق والكلام والفلسفة، لا على منهج القرآن والسنة، وآثار سلف الأمة الصالح»، فتأمل.

(١) انظر: «مجموع الفتاوى»، (١٧/ ٣٥١-٤٤٣).

(٢) يعني بمتولي الطبع: فرج الله الكردي، الذي كان «من مشاهير تجار الكتب في عصره» - كما يقول زكي مجاهد في ترجمته في الأخبار التاريخية، ص ١٢٣ -، توفي سنة ١٣٥٩هـ، وكان من دعاة البهائية بمصر.

قال الشيخ بكر أبوزيد - رحمه الله -: «كان من الذين اشتغلوا في مصر بطبع ونشر كتب شيخ الإسلام ... ينتحل مذهب الفرقة الضالة (البابية)، لهذا نفي من الأزهر، ولا غرابة، فعمله هذا تجارة؛ كشأن المستشرقين» (المدخل إلى آثار شيخ الإسلام، ١/ ٨٣).

قلت: ومما يؤكد هذا أنه كان ينقل رسائل عباس عبدالبهاء إلى علماء مصر، ومن أقواله: «كنت ضمن المتشرفين بزيارة حضرة عبدالبهاء بمدينة حيفا؛ فالتمست من حضرته أن يأذن لي بترجمة بعض الألواح المشتملة على نبذ من تعاليم حضرة بهاءالله؛ لتروي منها الأمة العربية غلتها، فتفضل بالإذن بترجمة هذه الألواح الأربعة»! (انظر: عبدالبهاء والبهائية؛ لسليم قبعين؛ ص ١٢٧-١٢٩، وفصل: نبذة من تعاليم حضرة بهاءالله. طبع في القاهرة عام ١٩٢٢م).

وقد حذَّر صاحب كتاب «الحراب في صدر البهاء والباب» من فرج الله الكردي وغيره من دعاة

=

أسقط منها مسألة فيها بيان أن نبينا محمد خاتم الأنبياء، الرجا الإفادة عن ذلك، واحتسبوا الثواب من الله، جزاكم الله أحسن الجزاء، ويبلغ السلام الإمام، والإمام عبدالعزيز والعيال المشايخ والإخوان، ومن لدينا الشيخ عبدالله بن قاسم وأولاده والعيال والإخوان يسلمون، والسلام، ١٥ جمادى سنة ١٣٤٠هـ».

وهذه رسالة أخرى أرسلها الشيخ عبدالعزيز الصيرامي ـ رحمه الله ـ إلى الشيخ ابن سحمان ـ رحمه الله ـ يقول فيها:

«من عبدالعزيز بن صالح الصيرامي إلى جناب الأمجد الأفخم الأخ المقدم: الشيخ سليمان بن سحمان سلمه الله تعالى، وهداه وحفظه وتولاه، ووفقه لما يحبه ويرضاه، وجنبه أسباب سخطه وقلاه، آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، موجب الخط إبلاغ جزيل السلام والسؤال عن حالكم، وأحوالنا بحمد الله جميلة،جعلنا الله وإياكم شاكرين ذاكرين، والخط وصل وصلك الله برضاه، وتذكر سلمك الله كلام صاحب «المنار»، ولاشك أنه كلام مبتدع لم يقل به أحد من علماء المسلمين فيما نعلم، والعقول السليمة والفطر المستقيمة تنكر هذا، ونحن ولله الحمد في غنية عن كلام

البهائية بمصر، في مقدمة كتابه، ووصفه بأنه «داعية كبير». (انظر: مجلة المنار، ربيع الأول ١٣٣٠هـ، وقد أشار الشيخ رشيد إلى إشاعة تحريف الكردي للفتاوى، وسخر من كتاب له يلمح فيه لبهائيته).

صاحب «المنار» وغيره من أهل البدع والضلال.

ولكن نفوس أكثر الخلق تقبل الباطل، وتميل إليه، وتفهم ما جرى من بعض الطلبة لما أن عبد المحمود تكلم على معنى لا إله إلا الله في وقت الشيخ عبدالرحمن ـ رحمه الله ـ على طريقة أهل وحدة الوجود[1]، قال بعض الناس: ما عرفنا معنى «لا إله إلا الله» إلا الآن، وأساؤا الظن بمن كان على طريقة الشيخ محمد ـ رحمه الله ـ وأئمة أهل الإسلام في معنى كلمة الإخلاص، الذي دل عليها القرآن بقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ [الحج: ٦٢].

وأما كلام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ فتفهم عادته رحمه الله مع علمه وزهده في

(١) رد عليه الشيخ بكتابه «بيان كلمة التوحيد والرد على الكشميري عبدالمحمود»، وسببه أن هذا الكشميري كتب ورقة خالف فيها معتقد أهل السنة والجماعة في معنى لا إله إلا الله، فلما نظر فيها الشيخ عبدالرحمن بن حسن ـ رحمه الله ـ رد عليه بكتابه السابق، قائلاً فيه: «... ثم إنه قد تكلم بكلام غريب في معنى لا إله إلا الله، لا يُعرف ما هو، ولا ممن هو، وكتب في ذلك ورقة تبين فيها من الجهل والضلال ما سنذكره لكم، حذراً وتحذيراً، وإعذاراً وتعذيراً ...». وقد طبع الكتاب ضمن «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» (٤/ ٣٢٠-٣٦٢)، وضمن «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٩/ ٨٥-١٠٩).
وانظر للمزيد عنه: رسالة «المجدد الثاني: الشيخ عبدالرحمن بن حسن» للأستاذ خالد الغنيم، (ص١٤٦-١٤٨).

تأويل أحاديث الصفات، وميله إلى طريقة الأشاعرة، فالله يغفر له[١]، والذي ندين الله: أن نؤمن بالله وما جاء عن الله على مراد الله، ونؤمن برسول الله ﷺ وما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله، من الأسماء والصفات ، وننفي عن الله النقائص ومشابهة المخلوقات، إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل، فكما أن ذاته لا تشبه الذوات، فكذلك صفاته لا تشبه الصفات، وهذا هو الذي نعتقده وندين الله به.

نسأل الله تعالى أن يرينا الحق حقا، ويرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلا ويوفقنا لاجتنابه، إنه على ذلك قدير.

والمطلوب من جنابك المسامحة من تأخر الجواب؛ لأجل شغل الخاطر بما نحن فيه من أمور الناس، نرجو من الله الهدى والسداد، هذا ما لزم، وبلغ السلام الإمام المكرم، وابنه المقدم عبدالعزيز، وأولاده، وكافة آل الشيخ، والشيخ حمد بن فارس، والشيخ سعد، ومن لدينا الأولاد والإخوان...، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته سنة ١٣٤٢هـ»[٢].

قلتُ: وللسبب الآنف كتب الشيخ سليمان بن سحمان ـ رحمه الله ـ رسالته التي بين أيدينا، في تعقب بعض تعليقات الشيخ رشيد ـ رحمه الله ـ، على كتب أئمة

---

(١) ينظر لبيان أخطائه ـ رحمه الله ـ في هذا الباب: رسالة «الردود والتعقبات على ما وقع للإمام النووي في شرح صحيح مسلم من التأويل في الصفات» للشيخ مشهور سلمان ـ وفقه الله ـ.
(٢) تنظر صورتها آخر الكتاب.

الدعوة ـ رحمهم الله ـ.

وهي رسالة نادرة، لم تُطبع من قبل[(١)]، قال عنها الشيخ عبدالسلام آل عبدالكريم ـ رحمه الله ـ: «وقفتُ على رسالة مخطوطة، بديعة، للشيخ ابن سحمان ـ رحمه الله ـ، رد بها على تعليقات محمد رشيد رضا على كتب علماء الدعوة، التي وضعها بغير رضىً من أصحابها»[(٢)].

وقال في موضع آخر: «تفضَّل بتصويرها لي من مكتبة الشيخ سليمان بن سحمان: حفيده الفاضل، الشيخ عبدالعزيز بن صالح ابن سحمان، جزاه الله خيراً، وضاعف مثوبته»[(٣)].

قلتُ: وقد حدثني عنها الشيخ عبدالسلام ـ رحمه الله ـ، قبل وفاته بأشهر يسيرة، ثم طلبتها من أخيه الفاضل، الشيخ عبدالله، فتفضل عليَّ بنسخة منها، جزاه الله خيراً، وهي التي بين يدي القارئ[(٤)]. وأقدم قبلها بترجمة موجزة للشيخ

---

(١) ولم يشر إليها الأخ محمد الفوزان ـ وفقه الله ـ في رسالته القيِّمة: «الشيخ سليمان بن سحمان وطريقته في تقرير العقيدة»، ضمن مؤلفات الشيخ، وكذا غيره من المترجمين للشيخ ـ حسب علمي ـ.

(٢) هامش رسالة «منهاج أهل الحق والاتباع»، للشيخ ابن سحمان، ص٧٩.

(٣) المصدر السابق، ص٩.

(٤) وفيها خرومات يسيرة، استكملتها ـ بحمد الله ـ من الكتب التي ينقل عنها الشيخ ابن سحمان ـ =

العلَّامة: سليمان بن سحمان ـ رحمه الله ـ.

أسأل الله أن ينفع بها، وأن تكون مبصرةً للقراء أن لا يعتمدوا على ما يستشكلونه من تعليقات الشيخ رشيد ـ رحمه الله ـ التي على كتب علماء الدعوة، حتى يعرضوه على العلماء[1]. والله الموفق، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله وصحبه أجمعين.

رحمه الله ـ ويجد القارئ آخر الكتاب: صورة لصفحتها الأولى، وثانية لصفحتها الأخيرة.

(١) كبعض تعليقاته ـ رحمه الله ـ على «مجموعة الرسائل والمسائل». (انظر على سبيل المثال: ١/ ٤٠، ٣/ ١٠٢ و١٩١، ٤/ ٥٣ و٦١، ٥/ ٥١٣-٥٢٢ و ٥٤٩).

ترجمة الشيخ سليمان بن سحمان ـ رحمه الله ـ[1]

هو العالم المصنِّف، واللسان المدافع عن الدعوة السلفية سليمان بن مصلح بن حمدان بن مسفر بن محمد بن مالك بن عامر الخثعمي نسباً، التبالي العسيري أصلاً ومولداً، النجدي منشأً ومستقرًّا.

نزح والده من بلاده الأصلية (تبالة) إحدى قرى مدينة (بيشة)، إلى قرية (السُّقَّا) إحدى القرى التابعة لمدينة (أبها) عاصمة بلاد عسير، فوُلد الشيخ سليمان في هذه القرية (السقا)، وذلك عام ١٢٦٩هـ، وقيل: ولد سنة ١٢٦٦هـ في بلدة آل تمام القده، شرقي السقا بناحية أبها عسير.

وكان أبوه سحمان بن مصلح من آل عامر أحد بطون الفزع، وليس من قبيلة آل عامر النخعية ببيشة، وكانت قبيلته تقطن تبالة ثم بيشة، وكان أحد قادة الأمير عايض بن مرعي، كما كان من قبل من قادة الأمير علي بن مجثل، حيث كان

---

(١) عن «علماء نجد خلال ثمانية قرون» للشيخ عبدالله البسام ـ رحمه الله ـ (٢/ ٣٩٩-٤١٢).
وقد ترجم للشيخ ابن سحمان كثيرون. ومن أهم تلك التراجم ـ في نظري ـ: ترجمة كتبها تلميذه الشيخ سليمان بن حمدان ـ رحمه الله ـ (سيأتي بعضها ـ إن شاء الله ـ)، ورسالة «الشيخ سليمان بن سحمان وطريقته في تقرير العقيدة» للشيخ محمد بن حمود الفوزان، وما كتبه الدكتور عبدالله الحامد في رسالته الجامعية: «الشعر الحديث في الجزيرة العربية».

يرابط في تبالة، وتمكن من اقتحام الطائف بعد معركة (جلدان) التي انتصر فيها على الأشراف، وذلك في نهاية عام ١٢٦٢هـ، وبعد ذلك استقدمه عايض بن مرعي إلى أبها ليكون أميناً على بيت المال، وليعمل في الوعظ والإرشاد وتدريس الأمور الدينية، واستخلف مكانه في تبالة أخاه مسفر بن مصلح، وبعد ما ضُمَّت الأفلاج ووادي الدواسر إلى عسير، بقي فيها حتى مات في عام ١٢٤٩هـ، وأثناء إقامة القائد سحمان في أبها ولد له ابنه الشاعر سليمان بن سحمان.

وهكذا نشأ المترجَم في بلدة السقا، وتربى في حجر والده، الذي هو من حفاظ القرآن ومن الخطاطين، كما أن له يداً في مبادئ العلوم، فصار يلقن ابنه القرآن الكريم ويدرِّبه على حسن الخط، ويعلمه مبادئ العلوم الشرعية والعربية، وذلك في ولاية محمد بن عائض بن مرعي على بلاد عسير، ثم نزح والده إلى الرياض ـ عاصمة البلاد السعودية ـ وقد استقرت يومئذٍ نجد بولاية الإمام فيصل بن تركي رحمه الله، حيث طهر البلاد النجدية من العساكر العثمانية الغازية، فحل في الرياض ضيفاً، فآواه الإمام فيصل وأكرمه ورتب له ولعائلته ما يقوم بكفايتهم، فوجد الرياض زاهية بحلقات العلم ومشرقة بنور المعرفة التي ينشرها الإمام عبدالرحمن بن حسن وابنه العلامة عبداللطيف، فشرع المترجَم بالقراءة عليهما، وملازمة دروسهما، وجدَّ واجتهد في التحصيل.

وبعد وفاة الإمام فيصل وابتداء الفتنة بين ابنيه عبدالله وسعود اختار والد المترجَم الإقامة في الأفلاج، فانتقل ومعه ابنه إلى بلدة العمار من بلاد الأفلاج،

فأقام فيها، وقاضيها ومفتيها يومئذٍ الشيخ حمد بن عتيق، فشرع في القراءة عليه ولازمه نحو سبعة عشر عاماً، قضاها في تحصيل العلم.

وبعد وفاة الشيخ حمد عام ١٣٠١هـ عاد المترجَم إلى الرياض، وكان زعيم الدعوة السلفية رئيس علماء نجد يومذاك العلامة الشيخ عبدالله بن عبداللطيف، فشرع في حضور دروسه، والاستفادة منه استفادة زميل من زميل أقدر منه.

وكان أعداء الدعوة السلفية في ذلك الحين قد أحسوا بضعفها بسبب ضعف أنصارها آل سعود، الذين أذهب حكمهم الشقاق والخلاف، ولمسوا لينها، فصاروا يوجهون إليها سهام نقدهم وسموم حقدهم، وكان الشيخ سليمان يومئذٍ قد صلب عوده في العلم، وقوي عضده في النضال، واعتدل قلمه في الكتابة، واستقام لسانه في الإنشاء، مما قرأه وحفظه من كلام العرب، ومما حرره من رسائل وردود الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن، الذي ظل زماناً يستكتبها ويستمليها، فجرد قلمه للرد على هؤلاء المغرضين، ولسانه برائع الشعر على المارقين، فصار يكيل لهم الصاع صاعين، بقوة الكلام، وسطوع الحجة، وصحة البرهان، فيدحض أقوالهم، ويرد شبههم، ويوهن حجتهم، كما يرميهم بشهب من قصائده الطنانة، وأشعاره الرنانة، وقوافيه المحكمة، وأبياته الرصينة، وبهذا؛ فهو ذو القلمين، وصاحب الصناعتين، وقلَّما اجتمع النثر والشعر لواحد، إلا لنوابغ الكُتَّاب وأصحاب الأقلام، فصار لسان هذه الدعوة، ومحامي هذه الملة، فكان من هذه

الردود القاطعة، والحجج الدامغة هذه المؤلفات الساطعة؛ وهي:

١- الأسنة الحداد في الرد على علوي الحدَّاد.

٢- الصواعق الشهابية على الشبه الشامية.

٣- الضياء الشارق على شبهات المارق.

٤- إقامة الحجة والدليل وإيضاح المحجة والسبيل.

٥- تنبيه ذوي الألباب السليمة عن الوقوع في الألفاظ المستهجنة الوخيمة.

٦- كشف الالتباس عن تشبيه بعض الناس.

٧- تبرئة الإمامين من تزوير أهل المَيْن.

٨- الهدية السنية.

٩- نظم اختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية.

١٠- إرشاد الطالب إلى أهم المطالب.

١١- ديوان شعر حوى غرر القصائد والنظم.

وله غير ذلك من الكتب والمؤلفات والرسائل، التي غالبها يدور على الرد على المخالفين، ودفع شبهات الجاحدين من أعداء الدعوة التي نادى بتجديدها شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، وورثها عنه أبناؤه وأحفاده وتلاميذه، وأيدها الله بقوة وبسالة المغاوير الميامين من آل سعود، حتى ظهرت وتوطدت، وعمَّت أرجاء الجزيرة العربية، ثم شعَّ سناها في أطراف المعمورة، فلا تجد قطراً إلا ولها فيه أنصار وأعوان.

وقد كُف بصره عام ١٣٣١هـ، إلا أن بصيرته ما زالت حية نيرة متوقدة، وله رسائل وفتاوى مطبوعة مفرقة ضمن رسائل وفتاوى علماء نجد، كما أنه هو الذي رتَّب وبوَّب رسائل وفتاوى شيخه العلامة الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن، وجعل لها مقدمات وتراجم.

تلاميـذه:

١- الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري.

٢- الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ.

٣- الشيخ عبدالعزيز بن صالح بن مرشد.

٤- الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم.

٥- الشيخ إبراهيم بن حسين.

... وغيرهم ممن لا تحضرني أسماؤهم.

والقصد أن له اليد الطولى والقِدَح المعلّى في التأليف والرد والرسائل والقصائد، وكل ذلك يدافع عن الشريعة المحمدية والملّة الحنيفية، والعقيدة السلفية، حتى عُدّ بذلك من أكبر المجاهدين بألسنتهم وأقلامهم.

وبقي على هذه الحالة الحميدة، والأقوال السديدة، حتى توفاه الله تعالى في مدينة الرياض عام ١٣٤٩هـ. رحمه الله تعالى.

وقد دُفن في مقبرة العود بين قبري الشيخ عبداللطيف وابنه الشيخ عبدالله.



رحم الله الجميع، وتأسف الناس لفقده، وكلهم يلهج بالثناء والترحم عليه، وقد رثي بقصائد وتبودلت في تعازيه الرسائل، ونختار من تلك القصائد مرثية الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن هليل:

مـا بـال دمعـك يهمـي طـول أزمـان ... وأنــت دايــم أشــجان وأحــزان

والقلــب منــك نبــا والهــم متقــد ... كأنــه مِرجَــل مــن فــوق نــيران

تنـوح طـول الـدياجي مـن أسـى وضـنى ... قد طـال مـا أرقـاك نـوح ثكـلان

كـم ليلـة بِتَّهـا ترعـى النجـوم بهـا ... لم تغتمض قط منك الليـل عينـان

أذاك مـن ذكـر عهـد للـصِّبا سـلفت ... أيامـه عنـد أهـل الرنـد والبـان

أم مـن تـذكر غـزلان بـذي سَـلم ... حـور العيـون كيـاقوت ومرجـان

لا والإلــه الــذي لم تخــف خافيــة ... عليــه عــلام أسرار وإعــلان

مـا إن ذكـرت ولم أذكـر ومـا سـفحت ... عيناي مـن ذكـر أطـلال وجـيران

بــل مــن تــذكر شـيخ عـالمٍ عَلـمٍ ... حَـبرٍ تقـيٍ مـن الأحبـار ربـاني

إلى أن قال:

علَّامــة عُلمــت حقًّــا فــضائله ... بحر العلـوم سـليمان بـن سـحمان

من فـاق في الفهـم والتوحيـد مـع لغـة ... والنحــو ثــم تفاســير لقــرآن

وفي الأحاديــث والآداب مــع ســير ... والـنظم والنثـر حقًّـا كـل أقـران

نـال العـلى فَعَـلَا فـوق الـذرى رُتبـاً ... حتى سـمى في سـما مجـد وعرفـان

لــسانه صــارمٌ في شــعره فلقــد ... أعــاد في وقتــه إنــشاد حَــسَّان

يُـــذكر النـــاس قـــساً في خطابتـــه ... وفي بلاغتـــه وضـــعاً لـــسُحبان

إلى أن قال:

وانظـــر فوائـــد في البـــستان ألفهـــا ... مثل الفواكه بل أحلى لـدى الجـاني

واقـــرأ رســـائل في التوحيـــد أرســـلها ... بـــرًّا وبحـــراً وفي ســـكان بلـــدان

وســـل خبـــيراً بـــه ينبيـــك عنـــه وقـــل ... لله در ســـليمان بـــن ســـحمان

كما رثاه الأديب الفاضل حمد بن محمد بن جاسر فقال:

قـــضاء لا يطـــاق لـــه مـــردُّ ... وأمـــر نافـــذ مـــا منـــه بـــدُّ

وهـــل يجـــدي التأســـف لـــو تناهـــا ... بنفـــع أو بـــه قـــد نيـــل قـــصدُ

ولكـــن الـــصبور ولـــو تـــسلى ... ســـيغلب صبرَه الخطـبُ الأشدُّ

وهـــل خطـــب كخطـــبٍ منـــه كـــادت ... كـــشدة وقعـــه تنهـــار نجـــدُ

بـــه فُقـــدت فخـــاراً لا يـــضاها ... ومجـــداً ســـامياً لا يـــستردُّ

وحالفهـــا خمـــول مـــستمر ... وحـــالف أهلهـــا حـــزن وســـهدُ

هـــدى وكتـــاب قـــد رفعـــا علاهـــا ... فهـــل يرجـــى لهـــا التقـــويم بعـــدُ

وأصـــبح نيِّراهـــا في خفـــاء ... يـــضمهما عـــن الأنظـــار لحـــدُ

فأضـــحت في ظـــلام مكفهـــر ... ومنهـــا النـــور قِـــدْما كـــان يبـــدو

مـــضى عنهـــا ســـليمان محـــشا ... يـــؤم إمامـــه قـــد ســـار ســـعدُ

فأضـــحى العلـــم بعـــدهما يتـــيماً ... يحاربـــه كثـــير وهـــو فـــردُ

وأضحى الدين بعدهما مهان ... يروم لكيده أشِر ووغدُ

هما سيفان ما لهما نظير ... لنصر الشرعة الغرا يعدُ

هما حَبران أهل تقى وعلم ... يزيِّنهما لدى العلماء زهدُ

ففي حل العويص إذا تعامى ... إذا قصداً له لم يكب زندُ

وفي قمع الكفور بنص وحي ... صريح منهما ما فلَّ حدُ

وفي الإفتاء إن قالا بقول ... حوى التوفيق قولهما الأسدُ

وجازا للصواب بلا نزاع ... يُقر بذاك خصمُهما الألدُ

* وللمترجم ثلاثة أبناء هم: عبدالعزيز، وصالح، وعبدالله. وله من أبنائه الثلاثة أحفاد، وهم من أهل الصلاح والتقى، وبعضهم من أهل العلم. رحمه الله تعالى.

ولابنه صالح بعض المؤلفات مثل: «ملتقى الأنهار من منتقى الأشعار»، وله: «التقويم المبتكر المصفَّى الأوفى»، وله: «مجموع النفائس الشعرية والغرائب الشهية»، اشترك فيه مع غيره، وكلها مطبوعة.

ونعيد سيرة المترجَم بقلم د. عبدالرحمن العثيمين لمزيد الفائدة، فقد قال:

قال الشيخ سليمان بن حمدان رحمه الله: هذه الترجمة للشيخ سليمان بن سحمان:

هو الشيخ الإمام الجليل الفاضل النبيل، العالم العلامة، بقية أهل

الاستقامة، جامع أشتات الفضائل، وقدوة الهداة الأماثل، صاحب الفضائل والمكارم، ومن لا تأخذه في الحق لومة لائم، سيف الله المسلول على من حاد عن شريعة الرسول، حلّال المعضلات، ومجلي رحى المشكلات، قامع المشركين والمبتدعين، الورع الزاهد العابد المجاهد، ذو القلم السيال، والنظم الذي هو أرق من العذب الزلال، قريع الزمان وفائق الأقران، الشيخ سليمان بن سحمان. اهـ.

وحدَّثني ابنه الشيخ صالح رحمهم الله جميعاً قال: هو سليمان بن سحمان بن مصلح بن حمدان بن مسفر بن محمد بن مالك بن عامر الفزعي الخثعمي، وقد وجه أحد أبناء آل الشيخ سؤالاً إلى سماحة الشيخ سليمان يسأله عن نسبه فقال:

سليمان سحمان وسحمان مصلح	ومصلح حمدان وحمدان مسفر
أولئك أجدادي سلالة عامر	إلى خثعم يُعزى وبالخير يُذكر

مولده:

ولد الشيخ سليمان بن سحمان في آخر عام ١٢٦٩هـ في قرية السُّقا ـ بضم السين المهملة مشددة بعدها قاف فألف ـ وهي قاعدة بني مغيد، ومقر أسرة آل معيض، وبني مغيد: إحدى قبائل عسير بالسراة، أقرب مدينة لها هي مدينة: أبها، ويربطها بها طريق معبد بطول ١٥ كيلاً، وتقع عن أبها إلى الغرب، وفي تقاطع خطي العرض ٥/ ٢ ـ ١٨ شمالاً، والطول ٤ـ٤٢ شرقاً، وترتفع عن سطح البحر بـ(٣١٣٣) متراً، حيث أعالي قمم جبال عسير الشامخة، وفي غربها تقع السودة أعلى قمة في السراة.

نشأته:

نشأ الشيخ سليمان في أحضان والده سحمان الذي علّمه القرآن، حتى حفظه عن ظهر قلبه، ولما بلغ سن الحادية عشرة، اصطحبه والده وهاجر به إلى الرياض وذلك عام ١٢٨٠هـ، وفي عام ١٢٨١هـ ابتدأ بالقراءة على الشيخ عبدالرحمن بن حسن، مجدد الدعوة الثاني، وعلى ابنه الشيخ عبداللطيف آل الشيخ، ولازمهما ملازمة تامّة دامت عشر سنوات.

وبعد ذلك سافر مع والده الذي هاجر من الرياض، ونزل في قرية العمار في الأفلاج، فرحَّبوا به وبأبيه العالم المقرئ لكتاب الله، وواصل سليمان تعليمه على علامة الأفلاج الشيخ: حمد بن عتيق، ومعه زميله في العلم والتعليم عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ، حتى توفي الشيخ حمد عام ١٣٠١هـ كما توفي الشيخ سحمان والد المترجَم في ذلك العام، فضاقت الأرض على سليمان بأسباب وفاة والده وشيخه، فطلب منه الإمام عبدالله بن عبداللطيف أن يرجع إلى الرياض ليقيم إلى جواره؛ لكونه زميله في العلم، ومحبة بعضهم لبعض في ذات الله.

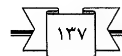
فعاد سليمان إلى الرياض واتخذه الإمام عبدالله بن فيصل كاتباً له، لأنه كان خطاطاً، فلم يسعه إلا السمع والطاعة، وعيّن كاتباً للإمام، وصار يواصل دراسته مع زملائه: الشيخ عبدالله والشيخ إسحاق، ابني الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف، والشيخ إبراهيم، حتى أصبح الشيخ سليمان عالماً يقتدى به.

ثم أخذ رحمه الله يرد شبه الملحدين، ويذب عن الإسلام وأهله، ولا يقول إلا الحق ولا يبالي بأحد، ولا يأخذه في ذلك لومة لائم، وكان لا يحب الخداع والتحيل، مما دعى ابن رشيد إلى أن ينقله إلى حائل، ليباعد بينه وبين الإمام عبدالله بن فيصل، وذلك عام ١٣٠٥هـ.

ولكن سرعان ما طلب الإمام عبدالله من ابن رشيد أن يرسل له كاتبه سليمان بن سحمان، فلما وصل الطلب إلى ابن رشيد، أراد أن يغنم الشيخ سليمان، وقلمه السيال، وذلك في نسخ عدد من الكتب الكبيرة الفقهية وغيرها.

فأمره أن ينسخ، فنسخ له ما أمره، وكان من ضمن ما نسخه «المحلى» لابن حزم الظاهري رحمه الله، وفصولاً من تفسير الإمام الطبري الذي كان يملكه، وكان الشيخ سليمان قد ملأ حائل بالكتب، ومن تقاه وصدقه وإخلاصه، كان يكتب بأمانة، علماً أنه مكلف ومجبر على ذلك، فأحبه الإخوان بحائل.

وفي عام ١٣٠٧هـ طلب الشيخ سليمان من الإمام عبدالله أن يعود إلى أولاده بالرياض، فأبى، فطلب منه ابن رشيد التوسط في ذلك فقال له: إذا جاء عبدالله بن فيصل يا حمود استرخص من عبدالله لسليمان ينهج لوطنه ـ أي يذهب ـ فأبى، فلزّم عليه ابن رشيد وقال: يا والدي ـ مخاطباً عبدالله ـ: نَبِيك تسمح لسليمان ينهج لوغيداته، فقال عبدالله: أرخصوا له أنتم، فقال: وجه ولدك وجه ولدك ـ مرتين ـ، ثم أمر عليه ابن رشيد، فسافر مع الشيخ عبدالله وعاد معه إلى الرياض.



عقيدته:

هي ما كان عليه الفرقة الناجية، أهل السنة والجماعة، وهو اعتقادنا اعتقاد أئمتنا أئمة الدعوة النجدية، الذين كان إمامهم ومقدمهم شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، أجزل الله له الأجر والثواب، وهو ما أوضحه الله في كتابه، وعلى لسان عبده ورسوله، نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وقد ذكرها رحمه الله في عدة قصائد مذكورة في ديوانه.

شيوخه:

١- والده سحمان بن مصلح الخثعمي، المقرئ القارئ الفقيه الأمير القائد، وهو أول من فتح مدرسة لتحفيظ القرآن بتبالة ببلاد خثعم عام ١٢٥٩هـ، ثم فتح الثانية في (أبها) عاصمة عسير عام ١٢٦٨هـ، والثالثة في بلدة السُقا عام ١٢٧٠هـ، وشارك وعلم في مدرسة تحفيظ القرآن بمسجد الشيخ عبدالرحمن بن حسن ابن شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب (بدخنة)، في مدينة الرياض، وشارك ودرس في تحفيظ القرآن بالأفلاج، ومكث على ذلك حتى توفي رحمه الله.

٢- الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ.

٣- الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ.

٤- الشيخ حمد بن عتيق علامة الأفلاج الفقيه الجليل.

٥- الشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ.

تلاميذه:

١- ابنه الشيخ صالح بن سليمان بن سحمان.

٢- الشيخ عبدالعزيز بن سليمان بن سحمان.

٣- الشيخ سليمان بن عبدالرحمن بن حمدان.

٤- الشيخ عمر بن حسن بن حسين آل الشيخ.

٥- الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم آل الشيخ.

٦- الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري.

٧- عبدالرحمن بن ناصر بن حسين.

٨- عبدالعزيز بن صالح المرشد.

وفاته:

توفي يوم الأحد العاشر من شهر صفر من سنة ١٣٤٩هـ على رأس الثمانين من عمره، بعد أن أصيب بمرض أقعده على الفراش، وصلي عليه في الجامع الكبير بالرياض، ومشى مع جنازته أهل البلد، ودفن في مقبرة العود، وصلي عليه صلاة الغائب في جميع مساجد نجد.

ولم يُخلف إلا مسكناً صغيراً، وأربعة عشر ريالاً، وذمته بريئة من الديون، غفر الله له».

تعقبات

على بعض تعليقات الشيخ رشيد رضا ـ رحمه الله ـ
على كتب علماء الدعوة السلفية النجدية

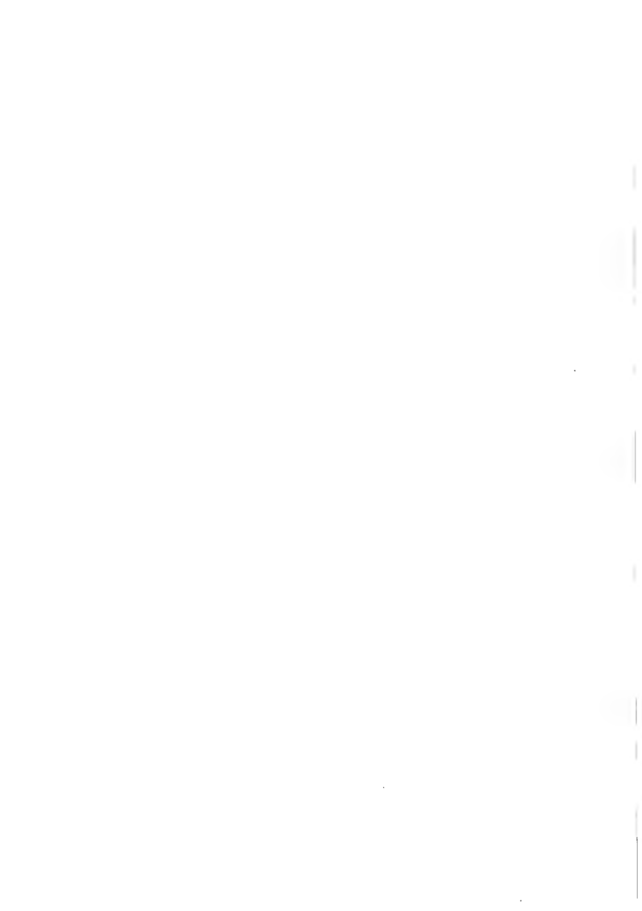
للشيخ العلّامة

سليمان بن سحمان

ـ رحمه الله ـ

اعتنى بها

سليمان بن صالح الخراشي



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، أما بعد:

فإني لما رأيت ما كتبه صاحب المنار على هوامش «مجموعة الحديث»[١] من الأمور التي لا نعتقدها، ولا ندين الله بها، أحببت أن أنبه على ذلك.

* فمن ذلك قوله في صفحة (٨٨)[٢] على قوله في الحديث القدسي: «كنتُ

---

(١) الطبعة الثانية، سنة ١٣٤٢هـ، المطبوعة على نفقة الملك عبدالعزيز – رحمه الله –.

(٢) أنقله بتمامه من (هامش ص٨٨ من مجموعة الحديث): «اتفق العلماء وسائر العقلاء على أن هذا التعبير من المجاز أو الكناية، لا من الحقيقة، إذ من المحال أن يكون الرب سبحانه أو غيره من الذوات صفة أو جارحة لذات أخرى، وقد اختلفوا في تفسير هذا المجاز، وأول قولي الشارح تأويل بعيد عن مدلول اللفظ، ومن أقرب ما قالوه إلى قواعد البيان أنه عبارة عن تأييد العبد وإعانته وتسديده، حتى كأنه سبحانه يُنزل نفسه من عبده منزلة الآلات التي يستعين بها، ويؤيده رواية: «فبي يسمع، وبي يُبصر، وبي يَبطش، وبي يمشي» ونحوه في موافقة القواعد.

قول العوفي: إن سمعه بمعنى مسموعه، فإن المصدر يرد بمعنى اسم المفعول، ولكن السمع هنا الجارحة، كالذي بعده لا مصدر، والأقرب في المعنى أنه من قبيل: إذا أحب الله عبداً استعمله، أي فإذا أحببته جعلتُ أعمالَ مشاعره وجوارحه كما أحب وأرضى له، ومنه، فلا يتوجه سمعُه ولا بصرُه ولا عملُ يديه ولا سعيُ رجليه إلا إلى ما يوافق شرعي وحكمتي في خلقتي من صلاح، وفيه وجه آخر وإصلاح، وهو أنه تغلب عليه مراقبة الله

=

سمعه الذي يسمع به» الحديث.[(١)] فذكر كلام النووي، وهو كلامٌ باطلٌ، من التأويلات المبتدَعة، فلا يُعَول عليه[(٢)]، وما ذكر صاحب «المنار»، من قوله: «اتفقت العلماء وسائر العقلاء على أن هذا التعبير من المجاز أو الكناية لا من الحقيقة»، هو أبطل من كلام النووي؛ لأن المجاز لا يتطرق على الكتاب والسنة، ولم يجئ ذكره في الكتاب ولا في السنة، ولا في كلام السلف هو اصطلاح حادث أرادوا به نفي صفات الله تعالى، ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم ـ رحمهما الله تعالى ـ.[(٣)]

تعالى وشهوده بعين البصيرة، فيلاحظ عند كل عمل أنه تعالى هو الذي سخره له وأنه لولا ذلك لم يكن له عمل، فإنه تعالى هو الذي ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]، ولكن الناس يغفلون عن هذه الحقيقة بما يُشغلهم عنها من كسبهم».

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢)، ولفظه: «إن الله تعالى قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيءٍ أحب إليَّ مما افترضته عليه، ومازال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه؛ فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته».

(٢) ينظر لرد تأويلاته – رحمه الله -: «الردود والتعقبات على ما وقع للإمام النووي في شرح صحيح مسلم من التأويل في الصفات ...» للشيخ مشهور سلمان.

(٣) كما في «الفتاوى» لشيخ الإسلام (٦/ ٣٥١-٣٧٣)، و «مختصر الصواعق المرسلة» (٢/ ٢-

=

قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ في كتاب «الاستغاثة»: «وأما حديث الأولياء فليس من هذا الباب بالكلية؛ وإنما فيه **«فبي يَسمع، وبي يُبصر، وبي يَبطش وبي يمشي»**، لم يقل أنا أسمع وأنا أبصر ولا أنا أبطش وأنا أمشي، وقد صرح فيه بالفرق بين الرب والعبد من وجوه متعددة؛ كقوله: **«من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة»**، ففرق بين نفسه ووليه، وعدوه ووليه، ثم قال: **«وما تقرب إليّ عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه»**، ففرّق بين المتقرِّب والمتقرَّب إليه، ثم قال: **«فإذا أحببته كنتُ سمعه الذي يسمع به ...»** الخ، فلم يقل كنت إياه، ولا فيه أن فعل أحدهما هو فعل الآخر؛ ولكن أخبر أن إحساس العبد وفعله يقع به؛ لأن العبد إذا صار موافقاً لله فيما يحبه ويرضاه، يُحب ما يحب، ويُبغض ما يبغض، ويرضى بما يرضى، ويأمر بما يأمر، وينهى عما ينهى: صار الإيمان به ومعرفته وتوحيده في قلبه، فإحساسه وأفعاله تقع به، وهذا فيما في القلب، نظير قوله فيما للسان: **«أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه»**[1]، فقال: تحركت بي، وإنما تتحرك باسمه، كذلك قوله: **«فبي يسمع، وبي يُبصر،**

---

٧٦). وينظر أيضا: رسالة «منع جواز المجاز في المُنَزَّل للتعبّد والإعجاز» للشنقيطي.

(١) أخرجه البخاري ـ تعليقاً ـ في «كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾ [القيامة: ١٦]».

وبي يبطش، وبي يمشي»؛ أي بما في قلبه من الإيمان بي، وقد يسمى هذا المثال العلمي ...» إلى آخر كلامه ـ رحمه الله ـ[١].

وأما دعوى صاحب المنار اتفاق العلماء وسائر العقلاء على أن هذا التعبير من المجاز؛ فدعوى باطلة لم يُقِم عليها دليلاً، فلا يُعوَّل عليه؛ ثم ذكر بعد ذلك كلاماً في تفسير المجاز لا يصح؛ ثم قال: «والأقرب في المعنى أنه من قبيل قوله: «**إذا أحب الله عبداً استعمله**»[٢] الخ، فهذا الكلام هو الحق، وهو الموافق لما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية ـ قدس الله روحه ـ.

* **وفي صفحة (٧٣٢) ذكر صاحب المنار** أن أهل النظر المشتغلين بالفلسفة اليونانية يتأولون جميع الآيات والأحاديث الواردة في صفات الرب تعالى، وينكرون على علماء الأثر الأخذ بظواهرها مع التنزيه والتفويض ... الخ»[٣]،

---

(١) الاستغاثة في الرد على البكري (١/ ٢١٦-٢١٩).

(٢) السلسلة الصحيحة، (حديث رقم ١٣٣٤)، بلفظ «إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله قبل موته، فوفقه لعمل صالح، ثم يقبضه».

(٣) ذكره تعليقاً على الفائدة السادسة والثلاثين من فوائد ذكر الله، التي أوردها ابن القيم في رسالته «الوابل الصيب» المطبوعة ضمن «مجموعة الحديث»: «أن الذكر نور للذاكر في الدنيا ... الخ»، ونص كلام الشيخ رشيد: «كان أهل النظر المشتغلون بالفلسفة اليونانية يتأولون جميع الآيات والأحاديث الواردة في صفات الرب تعالى، وينكرون على علماء الأثر الأخذ بظواهرها مع التنزيه والتفويض، حتى أن الأشعرية الذين أرادوا أن يكونوا وسطاً بين غلاة

=

فأقول: اعلم أن علماء الأثر يأخذون بظواهر النصوص مع إثبات الحقيقة والتنزيه، وأما التفويض فهو مذهب طائفة من أهل البدع، ذكر شيخ الإسلام في كتاب «العقل والنقل»: أن مذهبهم من أشر المذاهب وأخبثها؛ لأنه يستلزم تجهيل الرسول وتضليله، وأنه لا يعلم معاني ما أنزل الله عليه[1]، فلا تغتر بمذهب أهل التفويض،

النُظار من الجهمية وغيرهم، وبين أهل الحديث؛ كالحنابلة، قد بالغ بعضهم في التأويل حتى صار الخلاف بينهم وبين غلاة النظار لفظياً. والباعث لهم على ذلك محاولة تطبيق النصوص على نظريات الفكر التي عدوا الكثير منها قطعياً، وليس بقطعي، ولحمد الله تعالى أن العلوم الكونية قد نقضت في هذا العصر أكثر تلك النظريات الفلسفية اليونانية، وقرَّبت نصوص الكتاب والسنة من الأفهام، ومما ثبت بها أخيراً أن هذه الكهربائية التي رأى البشر كثيراً من عجائبها هي الأصل في تكوين مادة العالم كله وأطوارها، وهي نور أو مصدر النور والحركة التي يحدثها النور، وإذا كان الخالق البارئ المنزه عن نقص المخلوقات، والتي لا يكمل شيء منها إلا به قد حُجب عنها بالنور، فلك أن تفهم أن الكهربائية وما جعلها اللهُ أصلاً له من تكوين العالم المادي، هي الحجاب المانع من رؤية الرب تعالى فيه، كما ورد في صحيح مسلم مرفوعاً «نورٌ أنّى أراه»؟ وإن انكشاف هذا الحجاب لا يكون إلا في الجنة، وإن انكشافه الذي يوصل أهلها إلى أعلى وأكمل درجات المعرفة به تعالى ـ وهي الرؤية بغير كيف ولا إدراك ـ، ولكن مع بقاء حجاب الكبرياء، كما ورد في الصحيح، وقد نصر العلم مذهب السلف على تأويلات الخلف ولله الحمد».

(١) ونص كلام شيخ الإسلام في «درء التعارض» (١/ ٢٠١-٢٠٥): «وأما التفويض: فإن من المعلوم أن الله تعالى أمرنا أن نتدبر القرآن، وحضنا على عقله وفهمه، فكيف يجوز مع ذلك أن يُراد منا الإعراض عن فهمه ومعرفته وعقله؟

وأيضاً، فالخطاب الذي أريد به هدانا والبيان لنا، وإخراجنا من الظلمات إلى النور، إذا كان

=

ما ذكر فيه من النصوص ظاهرُه باطل وكفر، ولم يرد منا أن نعرف لا ظاهره ولا باطنه، أو أريد منا أن نعرف باطنه من غير بيان في الخطاب لذلك، فعلى التقديرين لم نخاطب بما بُيِّن فيه الحق، ولا عرفنا أن مدلول هذا الخطاب باطل وكفر.

وحقيقة قول هؤلاء في المخاطب لنا: أنه لم يبين الحق، ولا أوضحه، مع أمره لنا أن نعتقده، وأن ما خاطبنا به وأمرنا باتباعه والرد إليه لم يبين به الحق ولا كشفه، بل دل ظاهره على الكفر والباطل، وأراد منا أن لا نفهم منه شيئاً، أو أن نفهم منه ما لا دليل عليه فيه، وهذا كله مما يُعلم بالاضطرار تنزيه الله ورسوله عنه، وأنه من جنس أقوال أهل التحريف والإلحاد.

وبهذا احتج الملاحدة، كابن سينا وغيره، على مثبتي المعاد، وقالوا: القول في نصوص المعاد كالقول في نصوص التشبيه والتجسيم، وزعموا أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يبين ما الأمر عليه في نفسه، لا في العلم بالله تعالى ولا باليوم الآخر، فكان الذي استطالوا به على هؤلاء هو موافقتهم لهم على نفي الصفات، وإلا فلو آمنوا بالكتاب كله حق الإيمان لبطلت معارضتهم ودحضت حجتهم.

ولهذا كان ابن النفيس المتطبب الفاضل يقول: ليس إلا مذهبان: مذهب أهل الحديث، أو مذهب الفلاسفة، فأما هؤلاء المتكلمون فقولهم ظاهر التناقض والاختلاف، يعني أن أهل الحديث أثبتوا كل ما جاء به الرسول، وأولئك جعلوا الجميع تخييلاً وتوهيما. ومعلوم بالأدلة الكثيرة السمعية والعقلية فساد مذهب هؤلاء الملاحدة، فتعين أن يكون الحق مذهب السلف أهل الحديث والسنة والجماعة.

ثم إن ابن سينا وأمثاله من الباطنية المتفلسفة والقرامطة يقولون: إنه أراد من المخاطبين أن يفهموا الأمر على خلاف ما هو عليه، وأن يعتقدوا ما لا حقيقة له في الخارج، لما في هذا التخييل والاعتقاد الفاسد لهم من المصلحة.

والجهمية والمعتزلة وأمثالهم يقولون: إنه أراد أن يعتقدوا الحق على ما هو عليه، مع علمهم

=

بأنه لم يبين ذلك في الكتاب والسنة، بل النصوص تدل على نقيض ذلك، فأولئك يقولون: أراد منهم اعتقاد الباطل وأمرهم به، وهؤلاء يقولون: أراد اعتقاد ما لم يدلهم إلا على نقيضه.

والمؤمن يعلم بالاضطرار أن كلا القولين باطل، ولابد للنفاة أهل التأويل من هذا أو هذا: وإذا كان كلاهما باطلاً كان تأويل النفاة للنصوص باطلاً: فيكون نقيضه حقاً، وهو إقرار الأدلة الشرعية على مدلولاتها، ومن خرج عن ذلك لزمه من الفساد ما لا يقوله إلا أهل الإلحاد.

وما ذكرناه من لوازم قول أهل التفويض: هو لازمٌ لقولهم الظاهر المعروف بينهم، إذ قالوا: إن الرسول كان يعلم معاني هذه النصوص المشكلة المتشابهة، ولكن لم يبين للناس مراده بها، ولا أوضحه إيضاحاً يقطع به النزاع.

وأما على قول أكابرهم: إن معاني هذه النصوص المشكلة المتشابهة لا يعلمه إلا الله، وأن معناها الذي أراده الله بها هو ما يوجب صرفها عن ظواهرها. فعلى قول هؤلاء يكون الأنبياء والمرسلون لا يعلمون معاني ما أنزل الله عليهم من هذه النصوص، ولا الملائكة، ولا السابق،ون الأولون، وحينئذٍ فيكون ما وصف الله به نفسه في القرآن، أو كثير مما وصف الله به نفسه، لا يعلم الأنبياء معناه، بل يقولون كلاماً لا يعقلون معناه، وكذلك نصوص المثبتين للقدر عند طائفة، والنصوص المثبتة للأمر والنهي، والوعد والوعيد عند طائفة، والنصوص المثبتة للمعاد عند طائفة.

ومعلوم أن هذا قدح في القرآن والأنبياء، إذ كان الله أنزل القرآن، وأخبر أنه جعله هدى وبياناً للناس، وأمر الرسول أن يبلغ البلاغ المبين، وأن يبين للناس ما نزل إليهم، وأمر بتدبر القرآن وعقله، ومع هذا فأشرف ما فيه ـ وهو ما أخبر به الرب عن صفاته، أو عن كونه خالقاً لكل شيء، وهو بكل شيء عليم، أو عن كونه أمر ونهي، ووعد وتوعد، أو عما أخبر به عن اليوم الآخر ـ لا يعلم أحد معناه، فلا يُعقل ولا يُتدبر، ولا يكون الرسول بيّن

=

فإنه من أخبث المذاهب[(١)].

للنسا ما نزل إليهم، ولا بلَّغ البلاغ.

وعلى هذا التقدير فيقول كل ملحد ومبتدع: الحق في نفس الأمر ما علمته برأيي وعقلي، وليس في النصوص ما يناقض ذلك؛ لأن تلك النصوص مشكلة متشابهة لا يعلم أحد معناها، وما لا يعلم أحد معناه لا يجوز أن يستدل به.

فيبقى هذا الكلام سداً لباب الهدى والبيان من جهة الأنبياء، وفتحاً لباب من يعارضهم ويقول: إن الهدى والبيان في طريقنا لا في طريق الأنبياء، لأنا نحن نعلم ما نقول ونبينه بالأدلة العقلية، والأنبياء لم يعلموا ما يقولون، فضلاً عن أن يبينوا مرادهم.

فتبين أن قول أهل التفويض الذين يزعمون أنهم متبعون للسنة والسلف من شر أقوال أهل البدع والإلحاد».

(١) ينظر لبيان بدعة التفويض بتفصيل: رسالة الدكتور أحمد القاضي: «مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات : عرض ونقد».

وقال الشيخ ابن سحمان ـ رحمه الله ـ في رسالته «رجم أهل التحقيق والإيمان في الرد على مكفري صديق حسن خان» (ص٤٣):

«وتفويض آيات الصفات ضلالة ... ومذهبُ قوم حرروه تحكما

فهم أثبتوا ألفاظ آي صفاته ... وقالوا عن المعنى مقالاً مُحَرما

نُفوض معناها إلى الله وحده ... ولا نُثبت المعنى ولن نتكلما

وذلك لما كان نفي صفاته ... بأصل اعتقاد القوم كان محتما

وقد وردتْ آياته بصفاته ... ولابد من معنىً لها كان أقوما

=

وأما قوله في الكهربائية: هي الأصل في تكوين العالم كله الخ[1]، فاعلم

فلما رأوا هذا وخالوه مذهبا	لمن سلفوا ممن مضى وتقدما
بقوا بين تفويض المعاني بحيرة	وإيمانهم باللفظ إذ كان أسلما
فقالوا جهاراً في العقائد إننا	نُفوض آياتِ الصفات وكن وما
فهل قال هذا مالكٌ في اعتقاده	وهل قال نعمانٌ بذاك وأفهما
وهل قال هذا الشافعي وأحمد	فممن أخذتم يا ذوي الجهل والعمى؟
أجاء به نصٌ صحيح مُصرّح	بذلك عمن كان بالله أعلما؟
وهل قاله من صحب أحمد قائلٌ	وتابعهم أو تابعي نهج من سَما؟
فما هو إلابدعة وضلالة	قفيتم بها آثار مَنْ قد تجهما»

(١) وقد سبق نقل كلامه الباطل بالكامل، وهو قد نقله من تفسيره «المنار» (٩/ ١٧١-١٧٢ الهامش)، عند تفسيره لقوله تعالى لموسى ـ عليه السلام ـ: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾[الأعراف: ١٤٣]، حيث أطال إطالة متكلفة ومتشعبة في مسألة رؤية المؤمنين لله عز وجل بأبصارهم في الجنة (٩/ ١٢٣-١٧٨)، وزاحم الآيات والأحاديث المثبتة لها بأقوال أهل البدع! من المعتزلة والصوفية وأهل الكشف والنوم المغناطيسي!، إلى أن انتهى إلى القول «بأن رؤية العباد لربهم في الآخرة حق، وأنها أعلى وأكمل النعيم الروحاني الذي يرتقي إليه البشر في دار الكرامة والرضوان ... إلى أن قال وهي أنها رؤية بلا كيف ...»، فلم يثبت الرؤية البصرية!، وظني أن الذي قاده إلى هذا البحث المطوَّل المُتشعب المتردد هو تنازع مذهب السلف وبقايا أثارة من مذهب العقلانيين المنهزمين أمام الحضارة المادية في ذهنه، مما أداه إلى محاولة الجمع بين المذهبين،

=

ثم الزعم بأن الكهرباء المكتشفة حديثاً هي أصل الكائنات، وأنها آخر حجاب مادي يحول بين العباد ورؤية الله «التي هي أكمل المعرفة» - كما يقول - (٩/ ١٧٦)!

ولو استحضر - رحمه الله - قوله تعالى: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الكهف: ٥١]، لما خاض فيما خاض فيه دون برهان من الله.

هذا؛ وقد أشار - رحمه الله - في تفسيره (٧/ ١٧٤) إلى «أن بعض الذين اطلعوا على هذه الحاشية في مجموعة الحديث لم يفهموها؛ فاضطربوا فيها، ولهم العذر، فإنها على غرابة موضوعها وجيزة لم توضح المقام - إلى أن قال -: على أننا إنما نذكر أمثال هذه المسائل في المنار، وفي تفسيره؛ لتقريب معاني النصوص من عقول المطلعين على هذه العلوم من أبناء هذا العصر المفتونين بها؛ فإذا رأى هؤلاء أن أبعد ما ورد في الكتاب والسنة عن مألوف البشر من أخبار عالم الغيب، يتفق مع أحدث ما قرره العلم المبني على التجارب والبحث العلمي، فالمرجو أن يكون أجذب لهم إلى الإيمان».

قلت: هذا التعسف في حمل آيات الله على المخترعات أو النظريات الحديثة ضرره أكبر من نفعه، إذا ما تغيرت تلك النظريات - مثلاً -، كما أنه من القول على الله بلا علم، والدعوة إلى دين الله مستغنية عنه؛ إذا ما عُرض الدين كما أُنزل على محمد صلى الله عليه وسلم.

بقي أمران:

الأول: أن الناس -جميعاً - قد عرفوا حقيقة الكهرباء في هذا الزمان؛ وأنها أحد أشكال الطاقة، وأن لفظ الكهرباء، مشتق من الكهرب، وهو الاسم القديم لمادة الكهرمان، إذ إنه تم الربط بين الكهرباء والكهرمان نظراً لاكتساب الأخير بالاحتكاك خاصية جذب بعض الأجسام الخفيفة، وهي أحد شواهد الكهربية الإستاتيكية؛ وقد لوحظت هذه الظاهرة منذ قرون طويلة مضت، وورد وصف لها في كتابات الفيلسوف الإغريقي طاليس، عام ٦٠٠ ق.م . أما حقيقتها العلمية ، فلابد لها من التعرف على بناء الذرة. فالذرة لها كتلة ، و الكتلة هي

=

التي تجعل الذرة تشغل جزءً من الفراغ ، حتى لو كان يسيرًا ، و هذه الكتلة من الممكن أن تكون في عدة صور أو حالات :

الحالة الصلبة - الحالة السائلة - الحالة الغازية - حاله البلازما .

و الذرة تتحرك تحت تأثير نوعين من الطاقة

طاقة الوضع POTENTIAL ENERGY

وطاقه الحركة KINETIC ENERGY

فالذرة الكاملة تشبه النظام الشمسي .لها مركز كالشمس : النواة (وتتكون من بروتونات و نيترونات) ، و الكواكب تدور حولها (الإلكترونات).

وتوجد مدارات حول النواة تدور فيها الإلكترونات . وكل مدار له عدد معين من الإلكترونات المسموح لها بالتواجد فيه.

فالمدار الأول القريب من النواة مسموح فيه ب ٢ ألكترون ، و المدار الثانى ٨ ، و الثالث ٨ ، و الرابع ١٨ . إلخ.

فإذا مليء أحد المدارات بدئ في استعمال المدار التالي .. حتى يمتلئ المدار الأخير فتعتبر الذرة خاملة . ومن أمثلة الذرات الخاملة (الهيليوم و النيون والأرجون).

والمزج بن ذرتين أو أكثر يُكون ما يعرف بالجزيء . مثل ملح الطعام (NaCl) و هو مركب من مزج كميائى بين ذرات الصوديوم (Na) و الكلور (Cl).

أما كيف تنتج الكهرباء ؟ فإن البروتونات توجد في النواة ، والإلكترونات تدور حول النواة في مداراتها الخارجية متأثرة بقوى الجذب من النواة(الناتجة من التجاذب بين الإلكترونات السالبة الشحنة ، البروتونات الموجبة الشحنة) ، وقوى الطرد (الناتجة عن دورانها السريع حول النواة). وهنا يجب أن تتساوى القوتان حتى تتزن الذرة .

ولكن في وجود قوى شد خارجية (ذرات أخرى أو جهود موجبة) ، فإن الإلكترونات تترك النواة وتسير مكونة الكهرباء» . (انظر : الكهرباء ، للمفيل ، ترجمة : أمين سليم) .

=

وفقك الله أن الكهربا لم تُذكر في كتاب الله، ولا في سنة نبيه، ولا في كلام الصحابة ﷺ، ولا من بعدهم من التابعين والأئمة المهتدين، بل أصل مادة البشر من التراب، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾ [الحج: ٥]، وقال تعالى: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ ﴾ [طه: ٥٥]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ﴾ [آل عمران: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ

الثاني: أن أفضل من تكلم عن حديثي: «أنى أراه»، و «حجابه النور أو النار»، الذين سيتعرض لهما الشيخ ابن سحمان ـ رحمه الله ـ هو شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في «بيان تلبيس الجهمية» (٥/ ٤٨٦-٥٣٠)، و(٨/ ٦٢-٧٦) بما لا مزيد عليه، وملخصه: قوله: «وقد دل الكتاب والسنة على أنه ـ سبحانه ـ نور، وله نور، وحجابه النور» (٨/ ٧٠-٧١).

مَّسۡنُونٖ ﴾ [الحجر: ٢٦ - ٣٣]، وقال تعالى: ﴿ إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ﴿٧١﴾ ﴾ [ص: ٧١]، وقال عن إبليس: ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأعراف: ١٢].

والآيات في هذا المعنى كثيرة، وقد كان من المعلوم أن الله سبحانه خلق آدم من طين، ثم قال له: كن؛ فكان[1]، وفي الحديث: «**إن الله سبحانه خلق الملائكة من نور، وخلق الجان من مارجٍ من نار، وخلق آدم مما وُصف لكم**»[2]، فمن أين له أن أصل تكوين العالم من الكهرباء؟! وهذا كتاب الله وسنة رسوله، ودواوين أهل الإسلام وتفاسيرهم طافحة بذلك لا تخفى إلا على من أعمى الله بصيرة قلبه، وإذا كان ذلك كذلك ففي أي كتاب وفي أي باب ذكر ذلك العلماء؟! فإن ذلك لو كان حقاً لتوفرت الهمم والدواعي إلى نقله .

وأما قوله: «فلك أن تفهم الكهربائية، وما جعلها الله أصلاً له من تكوين العالم المادي، هي الحجاب المانع من رؤية الرب تعالى، فيه كما ورد في صحيح مسلم مرفوعاً: «**نورٌ أنى أراه؟**»[3]».

---

(١) قال تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾ [آل عمران: ٥٩].

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٩٦).

(٣) أخرجه مسلم (١٧٨).

فأقول: قد علمنا وتحققنا أن أصل مادة خلق البشر هو ما ذكره الله في كتابه وسنة رسوله، وأما دعوى أن الكهرباء هي الأصل في تكوين العالم المادي، وأنها هي الحجاب المانع من رؤية الرب تعالى؛ كما ورد في صحيح مسلم مرفوعاً: «**نور أنى أراه؟**»[1]؛ فاعلم أن هذا الكلام من أبطل الباطل، وأمحل المحال، وأصل الضلال، ولا يقول ذلك أحدٌ يؤمن بالله واليوم الآخر، ولو قدّرنا أن الكهرباء نور، فحاشا وكلا أن يكون على المعنى الذي أراد؛ فإن هذا أمر يتوقف ثبوته وتحقيقه على التوقيف بنقل العدول الثقات الأثبات إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا توقيف في ذلك.

وأما زعمه أنها هي الحجاب المانع من رؤية الرب تعالى فيه.

فيقال: هذا الكلام لا يكون إلا من أوهام الصوفية وشطحاتهم الباطلة، واستدلاله بالحديث على ذلك من أبعد ما يكون في العقول، فضلاً عن أن يكون مأثوراً عن الرسول ﷺ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[2]: «إن للسلف في العرش والقلم أيهما خلق

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٨).

(٢) في «بغية المرتاد»، (ص٢٨٥ -١٩٤)، وقد نقله الشيخ ابن سحمان ـ رحمه الله ـ أيضاً ـ في كتابه «الصواعق المرسلة الشهابية»، (ص٤٦-٥٥).

قبل الآخر قولين، كما ذكر ذلك الحافظ أبوالعلاء الهمداني وغيره:

أحدهما: أن القلم خُلق أولاً، كما أطلق ذلك غير واحد، وذلك هو الذي يفهم في الظاهر في كتب من صنف في الأوائل؛ كالحافظ أبي عروبة بن أبي معشر الحراني، وأبي القاسم الطبراني، للحديث الذي رواه أبوداود في سننه عن عبادة بن الصامت أنه قال: يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان؛ حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن لخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**إن أول ما خلق الله القلم، فقال له اكتب، فقال: يا رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة**»، يا بني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**من مات على غير هذا فليس مني**»[١].

والثاني: أن العرش خُلق أولاً: قال الإمام عثمان بن سعيد الدارمي في «مصنفه» في الرد على الجهمية[٢]:

«حدثنا محمد بن كثير العبدي، حدثنا سفيان الثوري، حدثنا هاشم، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: «إن الله كان على عرشه قبل أن يخلق شيئاً، فكان أول ما خلق الله القلم، فأمره أن يكتب ما هو كائن، وإنما يجري الناس على أمر قد فرغ

---

(١) أخرجه أبوداود (٤٧٠٠)، وصححه الألباني.

(٢) (ص ٣٨)، وصحح إسناده محقق الكتاب: الشيخ بدر البدر.

منه». ورواه أيضاً أبوالقاسم اللالكائي في كتابه «شرح أصول السنة»[١] من حديث يعلى عن سفيان عن أبي هاشم، عن مجاهد، قال: قيل لابن عباس: إن أناساً يقولون في القدر، قال: يكذبون، لئن أخذت بشعر أحدهم لأنصونه ـ أي لآخذن بناصيته ـ إن الله كان على عرشه قبل أن يخلق شيئاً، فخلق القلم، فكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، وإنما يجري الناس على أمرٍ قد فُرغ منه».

وكذلك ذكر الحافظ أبوبكر البيهقي في كتاب «الأسماء والصفات»[٢] لما ذكر بدء الخلق، فذكر حديث عبدالله بن عمرو، وعمران بن حصين، وغيرهما، وسنذكر هذين الحديثين إن شاء الله تعالى، ثم ذكر حديث الأعمش عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير؛ أنه سئل عن قول الله تعالى: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ [هود: ٧] على أي شيء كان الماء؟ قال: «على متن الريح»[٣].

وروى حديث القاسم بن أبي بزة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه كان يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إن أول شيء خلقه الله القلم، وأمره فكتب كل شيء يكون**»[٤].

---

(١) (٤/ ٦٦٩-٦٧٠).

(٢) (٢/ ٢٣٣-٢٣٤)، ط: مكتبة السوادي، بتحقيق الشيخ عبدالله الحاشدي.

(٣) المصدر السابق (٢/ ٢٣٧)، وصحح المحقق وقفه على ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ.

(٤) المصدر السابق (٢/ ٢٣٧-٢٣٨)، وصحح المحقق وقفه على ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ.

قال البيهقي: «ويروى ذلك عن عبادة بن الصامت مرفوعاً» قال البيهقي: «وإنما أراد والله أعلم أول شيء خلقه بعد خلق الماء والريح والعرش، القلم» وذلك بَيِّن في حديث عمران بن حصين، «ثم خلق السموات والأرض».

وفي حديث أبي ظبيان عن ابن عباس موقوفاً عليه: «ثم خلق النون فدحا الأرض عليها»[(١)].

وروى بإسناده الحديث المعروف عن وكيع عن الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس، قال: «أول ما خلق الله عز وجل من شيء القلم، فقال له: اكتب، فقال: يا رب وما أكتب؟ قال: «اكتب القدر» قال: فجرى بما هو كائن من ذلك إلى قيام الساعة، قال: ثم خلق النون فدحا الأرض عليها، فارتفع بخار الماء ففتق منه السموات، واضطرب النون فمادت الأرض فأُثبتت بالجبال، وإن الجبال لتفخر على الأرض إلى يوم القيامة»[(٢)].

قلت: حديث عمران بن حصين الذي ذكره هو ما رواه البخاري من غير وجه.

منها: ما رواه في كتاب «التوحيد» في باب (وكان عرشه على الماء) (وهو رب العرش العظيم).

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٢٣٨).
(٢) المصدر السابق (٢/ ٢٣٩)، وصححه المحقق، وأطال في تخريجه.

قال أبو العالية: «استوى إلى السماء»: ارتفع.

وقال مجاهد: «استوى»: علا على العرش.

وذكر من حديث أبي حمزة عن الأعمش عن صفوان بن محرز عن عمران بن حصين، قال: إني عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاءه قوم من بني تميم، فقال: «**اقبلوا البشرى يا بني تميم**» فقالوا: بشرتنا فأعطنا. فدخل ناس من أهل اليمن، فقال: «**اقبلوا البشرى يا أهل اليمن، إذ لم يقبلها بنو تميم**» فقالوا: قبلنا، جئناك لنتفقه في الدين ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان؟ قال: «**كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، ثم خلق السموات والأرض، وكتب في الذكر كل شيء**». ثم أتاني رجل فقال: يا عمران أدرك ناقتك فقد ذهبت، فانطلقت أطلبها، فإذا السراب ينقطع دونها، وأيم الله لوددت أنها قد ذهبت ولم أقم[1].

ورواه البيهقي، كما رواه محمد بن هارون الروياني في مسنده[2]، وعثمان بن سعيد الدارمي[3] وغيرهما من حديث الثقات المتفق على ثقتهم، عن أبي إسحاق

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤١٨).

(٢) برقم (١٤٠).

(٣) في «الرد على الجهمية»، (ص٣٤-٣٥).

الفزاري، وعن الأعمش، عن جامع بن شداد، عن صفوان بن محرز عن عمران بن حصين قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم، فعقلت ناقتي بالباب، ثم دخلت، فأتاه نفر من بني تميم فقال: «**اقبلوا البشرى يا بني تميم**» قالوا: بشرتنا فأعطنا، فجاءه نفر من أهل اليمن، فقال: «**اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذا لم يقبلها إخوانكم من بني تميم**» فقالوا: قبلنا يا رسول الله، أتيناك لنتفقه في الدين، ونسألك عن أول هذا الأمر، كيف كان؟ قال: «**كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، ثم كتب في الذكر كل شيء، ثم خلق السموات والأرض**»، قال: ثم أتاني رجل فقال: أدرك ناقتك فقد ذهبت، فخرجت فوجدتها ينقطع دونها السراب، وأيم الله لوددت أني كنت تركتها.

ففي الحديث الصحيح بيان أنه كتب في الذكر ما كتبه بعد أن كان عرشه على الماء، وقبل أن يخلق السموات والأرض.

وأما حديث عبدالله بن عمرو؛ فقد رواه مسلم في صحيحه من حديث ابن وهب، أخبرني أبوهانئ الخولاني، عن أبي عبدالرحمن الحبلي، عن عبدالله بن عمرو بن العاص، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وعرشه على الماء**»[1]، ورواه مسلم أيضاً من حديث حيوة، ونافع بن يزيد، كلاهما عن أبي

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٣).

هانئ الخولاني مثله، غير أنهما لم يذكرا «وعرشه على الماء»[1]، وقد رواه البيهقي من حديث حيوة بن شريح، أخبرني أبوهانئ الخولاني أنه سمع أبا عبدالرحمن الحبلي، أنه سمع عبدالله بن عمرو بن العاص يقول: إنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **«قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة»**[2]، ورواه البيهقي أيضاً من حديث ابن أبي مريم، حدثنا الليث ونافع بن يزيد قالا: حدثنا أبوهانئ، عن أبي عبدالرحمن الحبلي، عن عبدالله بن عمرو بن العاص، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«فرغ الله من المقادير وأمور الدنيا قبل أن يخلق السموات والأرض وعرشه على الماء بخمسين ألف سنة»**[3].

ففي هذا الحديث ما في ذلك الحديث من أنه قدر المقادير وعرشه على الماء قبل أن يخلق السموات والأرض، لكن بين فيه مقدار السبق، وأن ذلك قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة. وقد ضبط هذه الزيادة الإمامان الفقيهان، الليث بن سعد، وعبدالله بن وهب.

فقوله في الحديث: **«فرغ الله من المقادير وأمور الدنيا قبل أن يخلق السموات والأرض، وعرشه على الماء بخمسين ألف سنة»** يوافق حديث عبادة الذي في

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٣).
(٢) «الأسماء والصفات»، (٢/ ٢٣٣).
(٣) المصدر السابق (٢/ ٢٣٤).

يوم القيامة»، وكذلك في حديث ابن عباس وغيره، وهذا يبين إنما أمره حينئذٍ أن يكتب مقدار هذا الخلق إلى قيام الساعة، لم يكتب حينئذٍ ما يكون بعد ذلك، وهذا يؤيد حجة من جعله أول المخلوقات من هذا الخلق الذي أمره بكتابته، فإنه سبحانه كتبه وقدره قبل أن يخلقه بخمسين ألف سنة». انتهى.

فإذا تبين هذا، فهذه أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وآثار الصحابة وأقوال من نقلها من علماء الأئمة في أصل تكوين مادة العالم، لم يذكروا شيئاً من هذه الخرافات التي تمجها الأسماع، وتنفر منها الطباع، وأيضاً فقوله في الكهرباء: هي النور أو مصدر النور والحركة التي يحدثها النور، إن أراد أن الكهرباء هو النور الذي هو الأصل في تكوين مادة العالم كله؛ فهذا عين المحال، وأبطل الباطل، وإن أراد أنها هي مصدر النور والحركة التي يحدثها النور الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم: «**حجابه النور أو النار، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره في خلقه**»[1]، وقوله: «**نور أنى أراه**»[2]، وأن هذا النور الذي هو الأصل في تكوين مادة العالم كله؛ فهذا لم يقل به أحد من العلماء فيما نعلم، فإن قال به أحد من العلماء، فليُوجدناه في أي كتاب؛ فإن هذا ليس من أقوال أهل الإسلام؛ بل هو من نتائج أقوال أهل الفلسفة، نعوذ بالله من رين الذنوب، وانتكاس القلوب.

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٩).
(٢) أخرجه مسلم (١٧٨).

وأيضاً: قد ثبت في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**خُلقت الملائكة من نور، وخُلقت الجان من مارج من نار، وخُلق آدم مما وُصف لكم**»[1]، ولم يقل أحد من العلماء إن هذا النور الذي خلقت منه الملائكة هو الكهرباء، الذي هو الحجاب، أو مصدر النور والحركة التي يحدثها النور، وكذلك الأصل في خلق الجن وآدم وذريته عليه السلام.

وأيضاً: فما ذكره في الكهرباء التي رأى البشر كثيراً من عجائبها قول باطل، فإنما رأى البشر على زعمه شيئاً موجوداً مصنوعاً مشاهداً بالأبصار، بخلاف الحجاب الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**حجابه النور أو النار، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**»، فإن كثيراً من الناس لم يروه، ولا شيئاً من عجائبه.

وقال شيخ الإسلام ـ قدس الله روحه ـ أيضاً في «منهاج السنة» في صفحة ١٠٠ : «إن الله أخبر أنه خلق السموات والأرض في ستة أيام، وكان عرشه على الماء، وأخبر أنه: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [فصلت: ١١]، وقد ثبت في صحيح مسلم عن

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٩٦).

عبدالله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء**»[١]، وقد ثبت في صحيح البخاري وغيره عن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال: «**كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السموات والأرض**»[٢] وفي رواية «**ثم خلق السموات والأرض**»[٣].

والآثار متواترة عن الصحابة والتابعين بما يوافق القرآن والسنة من أن الله تعالى خلق السموات من بخار الماء الذي سماه الله دخاناً، وقد تكلم علماء المسلمين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم في أول هذه المخلوقات على قولين، حكاهما الحافظ أبو العلاء الهمداني وغيره: أحدهما: أنه هو العرش، والثاني: أنه هو القلم، ورجحوا القول الأول؛ لما دل عليه الكتاب والسنة أن الله تعالى لما قدر مقادير الخلائق بالقلم الذي أمره أن يكتب في اللوح كان عرشه على الماء، وكان العرش مخلوقاً قبل القلم.

قالوا: والآثار المروية أن: «**أول ما خلق الله القلم**» معناها: من هذا العالم،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣١٩١).

(٣) أخرجه البخاري (٧٤١٨).

وقد أخبر الله تعالى أنه خلقه في ستة أيام، فكان حين خلقه زمن يقدر به خلقه ينفصل إلى أيام، فعُلم أن الزمان كان موجوداً قبل أن يخلق الله الشمس والقمر، ويخلق في هذا العالم الليل والنهار، وفي الصحيحين[١] عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في خطبته عام حجة الوداع «**إن الزمان استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم، ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان**»، وفي الصحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خطبة، فذكر بدء الخلق، حتى دخل أهل الجنة منازلهم، وأهل النار منازلهم[٢].

هذا: وفي التوراة ما يوافق خبر الله تعالى في القرآن، وأن الأرض كانت مغمورة بالماء، والهواء يهب فوق الماء، وأن في أول الأمر خلق الله السموات والأرض، وأنه خلق ذلك في أيام، ولهذا قال من قال من علماء أهل الكتاب: ما ذكره الله تعالى في التوراة يدل على أنه خلق هذا العالم من مادة أخرى، وأنه خلق ذلك في أزمان قبل أن يخلق الشمس والقمر، وليس فيما أخبر الله تعالى به في القرآن وغيره أنه خلق السموات والأرض من غير مادة، ولا أنه خلق الإنس أو الجن أو الملائكة من غير مادة، بل يُخبر أنه خلق ذلك من مادة، وإن كانت المادة

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٦٢)، ومسلم (١٦٧٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣١٩٢).

مخلوقة من مادة أخرى، كما خلق الإنس من آدم، وخلق آدم من طين، وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**خُلقت الملائكة من نور، وخلقت الجان من نار، وخُلق آدم مما وصف لكم**»[1]»[2].

فصل

ومما ذكره صاحب المنار من الأمور التي لا نعتقدها ولا ندين الله بها ما كتبه في مجموعة الحديث في «شرح الأربعين» للنووي ـ رحمه الله ـ على قوله صلى الله عليه وسلم: «**لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة**» رواه البخاري ومسلم [3]، قال النووي على قوله: «**والتارك لدينه المفارق للجماعة**»: «وهو المرتد ـ والعياذ بالله تعالى ـ وقد يكون موافقاً للجماعة؛ كاليهودي إذا تنصر، وبالعكس، يُقتل؛ لأنه تارك لدينه غير مفارق للجماعة، وفيه قولان، أصحهما: لا يُقتل بل يُلحق بالمؤمَّن، والثاني: يُقتل؛ لأنه اعتقد بطلان دينه الذي كان عليه، وانتقل إلى دين كان يرى بطلانه قبل ذلك، وهو غير الحق، فلا يُترك؛ بل إن لم يُسلم يُقتل، وقد تقدم القتل ـ أيضاً ـ في صورة سبق الكلام عليها»[4] انتهى.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٩٦).

(٢) منهاج السنة (١/ ١٠٠ الطبعة الأولى)، و(١/ ٣٦٠-٣٦٤ طبعة رشاد سالم ـ رحمه الله ـ).

(٣) أخرجه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦).

(٤) مجموعة الحديث (ص٤٥).

فقال صاحب المنار على كلام النووي ـ رحمه الله ـ : «مفارقة الجماعة عبارة عن ترك جماعة المسلمين والانفصال منهم؛ سواء التحق بإحدى الملل الأخرى أم لا، فالمراد: المجاهرة بترك الإسلام، وعدم مشاركتهم في شعائرهم، فعلى هذا لا يُقتل من أتى بشيء يدل على الكفر؛ كأكثر ما يذكره الفقهاء في كتب الردة، ما دام ملازماً لجماعة المسلمين؛ لجواز أنه قال أو فعل ذلك متأولاً أو جاهلاً...»[1].

---

(١) المصدر السابق، هامش (ص٤٣). وتمام كلامه: «ويدل على ذلك عدم قتله صلى الله عليه وسلم لأحد من المنافقين الذين كان يبدر منهم ما يدل على كفرهم، فضلاً عن المسلمين الذين كانوا يخطئون فيما من شأنه أن لا يقع من المسلم؛ كإرسال حاطب بن أبي بلتعة الكتاب إلى كفار قريش بمكة يُعْلمهم بعزم النبي صلى الله عليه وسلم على غزوهم، لما نقضوا عهده الذي استدل به عمر على نفاقه، واستأذن النبي صلى الله عليه وسلم بقتله، فلم يأذن له. وما ذكره الشارح هنا في مفارقة الجماعة خطأ ظاهر، ولعله قد سقط منه شيء، ورجح الحافظ في الفتح تبعاً لغيره أن تارك الجماعة صفة كاشفة أو مؤكدة لا مقيدة. ونقل عن ابن دقيق العيد أن المراد بها مخالفة الإجماع، وقد قال النووي في كلامه على هذا الحديث من شرح صحيح مسلم: وأما قوله صلى الله عليه وسلم: «والتارك لدينه المفارق للجماعة» فهو عام في كل مرتد عن الإسلام بأي ردة كانت، فيجب قتله إن لم يرجع إلى الإسلام. قال العلماء: ويتناول كل خارج عن الجماعة ببدعة أو بغي أو غيرهما، وكذا الخوارج، والله أعلم.

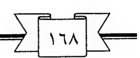
قال: واعلم أن هذا عام يُخص منه الصائل ونحوه، فيباح قتله في الدفع. وقد يجاب عن هذا بأنه داخل في المفارق للجماعة ـ أو يكون المراد لا يحل تعمد قتله قصداً إلا في هذه الثلاثة، والله أعلم. اهـ.

ومثله للقرطبي في المفهم مع بسط وإيضاح ذكرهما الحافظ في شرح الحديث من الفتح،

=

والجواب ـ ومن الله أستمد الصواب ـ أن نقول: التارك لدينه مفارق

وتعقبهما بأن أصل الخصلة الثالثة الارتداد، فلا بد من وجوده، والمفارق للجماعة بغير ردة لا يسمى مرتداً، فيلزم الخلف في الحصر. والتحقيق في جواب ذلك: أن الحصر فيمن يجب قتله عيناً، وأما من ذكرهم فإن قتل الواحد منهم إنما يباح إذا وقع حال المحاربة والمقاتلة؛ بدليل أنه لو أسر لم يجز قتله صبراً اتفاقاً في غير المحاربين، وعلى الراجح في المحاربين أيضاً. ثم ذكر الخلاف في تارك الصلاة، وأن التحقيق أنه لا يكفر ولا يُقتل بتركها ـ وذكر استثناءهم الصائل وما أجاب به بعضهم عنه. وأحسن الأجوبة عنه أنه لا يجب قتله عيناً، وإنما يدفعه من صال هو عليه عن نفسه؛ فإن لم يندفع إلا بالقتل قتله دفاعاً، وإلا فلا.
هذا؛ وقد ورد في الكتاب قتال الطائفة التي تبغي على أخرى من المسلمين، وتقتيل الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً، وهذان على كونهما خروجاً عن الجماعة لا يدخلان في موضوع الحديث؛ لأنه وارد فيما.. يحل به دم المرء المسلم، وهو في الأفراد لا في الجماعات، وإنما أمرنا بقتالهما، ومقاتلة الجماعة غير قتل الأفراد، وفي معناهما الصائل من الأفراد، ولا يدخل فيه لما تقدم من أن دمه غير مباح مطلقاً، وإنما يقتل للضرورة، فإذا ترك الصيال أو أمكن دفعه بغير القتل لم يجز قتله، ومثله المعتدي على المال والعرض إذا دُفع ولم يندفع. وورد في السنة أيضاً قتل من يبايع بالخلافة مع وجود خليفة بويع قبله، ومن خرج وأمر الناس جميعاً يريد تفرقتهم، وهو بمعنى ما تقدم، من أنه إذا تُرك وانكف بما دون القتل لم يُقتل، ومثله من بايع خليفة بدون مشاورة المسلمين، فقد قال عمر على منبر الرسول صلى الله عليه وسلم: «تغرة أن يقتلا»، أي تغريراً بأنفسهما أن يقتلا، ووافقه جمهور الصحابة على ذلك، فإذا لم يتصديا لسلب السلطة بهذه المبايعة الباطلة لا يتعين قتلهما. وورد في بعض الأخبار قتل من يعمل عمل قوم لوط، ومن يأتي البهيمة، ولم يصحا؛ كما قال الحافظ، وأما القتل بالأدلة الاجتهادية الظنية فلا وجه له، وقد أسرف بعض الفقهاء في هذا إسرافاً يقتضي قتل أكثر المسلمين، ولا سيما مسلمي زماننا».



للجماعة، والمفارق لجماعة في دينهم تارك لدينه لا فرق، فمن ترك دينه وفارق الجماعة فهو كافر يُستتاب فإن تاب وإلا قُتل، لقوله صلى الله عليه وسلم: «من بدل دينه فاقتلوه»(١)، ومن المعلوم بالضرورة من دين الإسلام أن الله سبحانه وتعالى قد أكمل لنا الدين.... (٢)

قال شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ: «أصل دين الإسلام وقاعدته أمران:

الأول: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، والتحريض على ذلك، والموالاة فيه، وتكفير من تركه.

الثاني: الإنذار عن الشرك في عبادة الله وحده لا شريك ، والتغليظ في ذلك، والمعاداة فيه، وتكفير من فعله» إلى آخر كلامه ـ رحمه الله ـ (٣).

قال شيخنا الشيخ عبدالرحمن بن حسن ـ رحمه الله ـ حفيد المصنف، ومفتي الديار النجدية، وإمامها، وعالمها الأكبر، في الكلام على قول جده: أصل دين الإسلام، ما نصه:

---

(١) أخرجه البخاري (٦٩٢٢).

(٢) كلمات ساقطة من الأصل.

(٣) الدرر السنية (٢/ ٢٢).

«قلت: وأدلة هذا في القرآن أكثر من أن تحصى؛ كقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[آل عمران: ٦٤] الآية، أمر الله تعالى نبيه أن يدعو أهل الكتاب إلى معنى لا إله إلا الله، الذي دعا إليه العرب وغيرهم، والكلمة هي لا إله إلا الله ففسرها بقوله: ﴿ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾، فقوله: ﴿ أَلَّا نَعْبُدَ ﴾ فيه معنى لا إله، وهو نفي العبادة عما سوى الله، قوله: ﴿ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾: هو المستثنى في كلمة الإخلاص، فأمره تعالى أن يدعوهم إلى قصر العبادة عليه وحده، ونفيها عمن سواه، ومثل هذه الآية كثير، يبين أن الإلهية هي العبادة، وأنها لا يصلح منها شيء لغير الله.

كما قال تعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء: ٢٣]، قوله: ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ ﴾ فيه معنى لا إله، وقوله: ﴿ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ فيه معنى إلا الله، وهذا هو توحيد العبادة، وهو دعوة الرسل؛ إذ قالوا لقومهم: ﴿ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ [الأعراف: ٥٩]، فلابد من نفي الشرك في العبادة رأساً، والبراءة منه، وممن فعله، كمال قال تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾ [الزخرف: ٢٦ - ٢٧]. فلابد من البراءة من عبادة ما كان يعبد من دون الله.

وقال عنه عليه السلام: ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [مريم: ٤٨]، فيجب: اعتزال الشرك، وأهله، بالبراءة منهما، كما صرح به في قوله تعالى: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤]، والذين معه هم: الرسل، كما ذكره ابن جرير.

وهذه الآية: تتضمن جميع ما ذكره شيخنا ـ رحمه الله ـ، من التحريض على التوحيد، ونفي الشرك، والموالاة لأهل التوحيد، وتكفير من تركه، بفعل الشرك المنافي له، فإن من فعل الشرك فقد ترك التوحيد، فإنهما ضدان لا يجتمعان، فمتى وجد الشرك، انتفى التوحيد.

وقد قال تعالى، في حال من أشرك: ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ قُلۡ تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ قَلِيلًاۖ إِنَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ [الزمر: ٨]، فكفره تعالى: باتخاذ الأنداد، وهم الشركاء في العبادة، وأمثال هذه الآيات كثيرة، فلا يكون موحداً، إلا بنفي الشرك، والبراءة منه، وتكفيره من فعله.

ثم قال ـ رحمه الله تعالى ـ: الثاني: الإنذار عن الشرك في عبادة الله، والتغليظ في ذلك، والمعاداة فيه، وتكفير من فعله، فلا يتم مقام التوحيد إلا بهذا؛ وهو دين الرسل أنذروا قومهم عن الشرك، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ

رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ﴾ [الأحقاف: ٢١].

قوله: في عبادة الله؛ العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة.

قوله: والتغليظ في ذلك؛ وهذا موجود في الكتاب، والسنة، كقوله تعالى: ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٠ - ٥١]، ولولا التغليظ، لما جرى على النبي ﷺ وأصحابه من قريش ما جرى، من الأذى العظيم، كما هو مذكور في السير مفصلاً، فإنه بادأهم بسبب دينهم، وعيب آلهتهم.

قوله ـ رحمه الله ـ: والمعاداة فيه؛ كما قال تعالى: ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾ [التوبة: ٥]، والآيات في هذا كثيرة جداً، كقوله: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال: ٣٩]، والفتنة: الشرك.

ووسم تعالى أهل الشرك، بالكفر فيما لا يحصى من الآيات؛ فلا بد من

تكفيرهم أيضاً، وهذا هو مقتضى: لا إله إلا الله، كلمة الإخلاص، فلا يتم معناها، إلا بتكفير من جعل لله شريكاً في عبادته، كما في الحديث الصحيح: «**من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله، ودمه، وحسابه على الله**»[1]، فقوله: وكفر بما يعبد من دون الله: تأكيد للنفي، فلا يكون معصوم الدم والمال إلا بذلك، فلو شك، أو تردد، لم يعصم دمه وماله.

فهذه الأمور: هي تمام التوحيد، لأن: لا إله إلا الله، قيدت في الأحاديث، بقيود ثقال؛ بالعلم، والإخلاص، والصدق، واليقين، وعدم الشك، فلا يكون المرء موحداً، إلا باجتماع هذا كله، واعتقاده، وقبوله، ومحبته، والمعاداة فيه، والموالاة، فبمجموع ما ذكره شيخنا، ـ رحمه الله ـ يحصل ذلك.

ثم قال ـ رحمه الله تعالى ـ: والمخالف في ذلك أنواع، فأشدهم مخالفة، من خالف في الجميع، فقبل الشرك واعتقده ديناً، وأنكر التوحيد، واعتقده باطلاً، كما هو حال الأكثر، وسببه: الجهل بما دل عليه الكتاب والسنة، من معرفة التوحيد، وما ينافيه من الشرك، والتنديد، واتباع الأهواء، وما عليه الآباء، كحال من قبلهم من أمثالهم، من أعداء الرسل، فرموا أهل التوحيد، بالكذب، والزور، والبهتان، والفجور، وحجتهم: ﴿بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: ٧٤].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣).

وهذا النوع من الناس، والذي بعده، قد ناقضوا ما دلت عليه كلمة الإخلاص، وما وضعت له، وما تضمنته من الدين، الذي لا يقبل الله ديناً سواه، وهو دين الإسلام، الذي بعث الله به جميع أنبيائه، ورسله، واتفقت دعوتهم عليه، كما لا يخفى فيما قص الله عنهم في كتابه.

ثم قال ـ رحمه الله ـ: ومن الناس من عبد الله وحده، ولم ينكر الشرك، ولم يعاد أهله.

قلت: ومن المعلوم أن من لم ينكر الشرك لم يعرف التوحيد، ولم يأت به، وقد عرفتَ أن التوحيد لا يحصل إلا بنفي الشرك والكفر بالطاغوت المذكور في الآية.

ثم قال ـ رحمه الله تعالى ـ: ومنهم من عاداهم ولم يكفرهم.

فهذا النوع أيضاً لم يأت بما دلت عليه لا إله إلا الله من نفي الشرك، وما تقتضيه من تكفير من فعله بعد البيان إجماعاً، وهو مضمون سورة الإخلاص، و﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ ﴾ [الكافرون: ١]، وقوله في آية الممتحنة: ﴿ كَفَرْنَا بِكُمْ ﴾ [الممتحنة: ٤]، ومن لم يُكفِّر من كفَّره القرآن فقد خالف ما جاءت به الرسل من التوحيد وما يوجبه.

ثم قال ـ رحمه الله ـ: ومنهم من لم يحب التوحيد ولم يبغضه.

فالجواب: أن من لم يحب التوحيد لم يكن موحداً؛ لأنه هو الدين الذي رضيه الله لعباده؛ كما قال تعالى: ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[المائدة: ٣]، فلو رضي

بما رضي به الله، وعمل به؛ لأحبه، ولابد من المحبة؛ لعدم حصول الإسلام بدونها، فلا إسلام إلا بمحبة التوحيد.

قال الشيخ ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ: الإخلاص: محبة الله، وإرادة وجهه، فمن أحب الله أحب دينه، وما لا فلا [1]، وبالمحبة يترتب عليها كلمة الإخلاص من شروط التوحيد.

ثم قال ـ رحمه الله تعالى ـ: ومنهم من لم يبغض الشرك ولم يحبه.

قلت: ومن كان كذلك فلم ينف ما نفته لا إله إلا الله من الشرك والكفر بما يُعبد من دون الله، والبراءة منه، فهذا ليس من الإسلام في شيء أصلاً، ولم يعصم دمه ولا ماله؛ كما دل عليه الحديث المتقدم.

وقوله ـ رحمه الله ـ: ومنهم من لم يعرف الشرك، ولم ينكره.

قلت: من لم يعرف الشرك، ولم ينكره؛ لم ينفه، ولا يكون موحداً إلا من نفى الشرك وتبرأ منه، وممن فعله، وكفرهم، وبالجهل بالشرك لا يحصل شيء مما دلت عليه لا إله إلا الله، ومن لم يقم بمعنى هذه الكلمة ومضمونها؛ فليس من الإسلام

---

(١) قال ـ رحمه الله ـ في «قاعدة في المحبة» (١/ ٨٩): «من أحب الله، وأحبه الله، أحب ما يحبه الله، وأبغض ما يُبغضه الله».

في شيء؛ لأنه لم يأت بهذه الكلمة ومضمونها عن: علم، ويقين، وصدق، وإخلاص، ومحبة وقبول، وانقياد، وهذا النوع ليس معه من ذلك شيء، وإن قال لا إله إلا الله، فهو لا يعرف ما دلت عليه، ولا ما تضمنته.

ثم قال ـ رحمه الله تعالى ـ: ومنهم من لم يعرف التوحيد ولم ينكره.

فأقول: هذا كالذي قبله، لم يرفعوا رأساً بما خلقوا له من الدين الذي بَعث الله به رسله، وهذه الحال حال من قال الله فيهم: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان: ٤٤].

وقوله ـ رحمه الله ـ : ومنهم ـ وهو أشد الأنواع خطراً ـ من عمل بالتوحيد ولم يعرف قدره، فلم يبغض من تركه ولم يكفرهم.

فقوله ـ رحمه الله ـ: وهو أشد الأنواع خطراً؛ لأنه لم يعرف قدر ما عمل به، ولم يجئ بما يصحح توحيده من القيود الثقال التي لابد منها، لما عملت أن التوحيد يقتضي نفي الشرك والبراءة منه، ومعاداة أهله وتكفيرهم، مع قيام الحجة عليهم، فهذا قد يُغتر بحاله، وهو لم يجئ بما عليه من الأمور التي دلت عليها كلمة الإخلاص نفياً وإثباتاً.

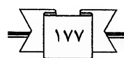
وكذلك قوله ـ رحمه الله ـ : ومنهم من ترك الشرك وكرهه ولم يعرف قدره، فهذا أقرب من الذي قبله، لكن لم يعرف قدر الشرك؛ لأنه لو عرف قدره لفعل ما دلت عليه الآيات المحكمات، كقول الخليل: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا

ﵟٱلَّذِي فَطَرَنِيﵞ [الزخرف: ٢٦ – ٢٧]، وقوله: ﵟإِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًاﵞ [الممتحنة: ٤]، فلابد لمن عرف الشرك وتركه من أن يكون كذلك، من الولاء والبراء من العابد والمعبود، وبغض الشرك وأهله وعداوتهم، وهذان النوعان هما الغالب على أحوال كثير ممن يدعي الإسلام، فيقع منهم من الجهل بحقيقة ما يمنع الإتيان بكلمة الإخلاص، وما اقتضته على الكمال الواجب الذي يكون به موحداً، فما أكثر المغرورين الجاهلين بحقيقة الدين.

فإذا عرفت أن الله كفَّر أهل الشرك ووصفهم به في الآيات المحكمات، كقوله: ﵟمَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِﵞ[التوبة: ١٧]، وكذلك السنة.

قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله تعالى ـ: «فأهل التوحيد والسنة يُصدقون الرسل فيما أخبروا، ويُطيعونهم فيما أمروا، ويحفظون ما قالوا، ويفهمونه ويعملون به، وينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، ويجاهدون من خالفهم تقرباً إلى الله، وطلباً للجزاء من الله لا منهم، وأهل الجهل والغلو لا يميزون بين ما أمروا به ونهوا عنه، ولا بين ما صح عنهم ولا ما كذب عليهم، ولا يفهمون حقيقة مرادهم، ولا يتحرون طاعتهم؛ بل هم جهال بما أتوا به، معظمون لأغراضهم»[1]، قلت: ما ذكره

(١) الاستغاثة في الرد على البكري (٢/ ٤٩٩).



شيخ الإسلام يشبه حال هذين النوعين الأخيرين»[١].

إذا تحققتَ ما ذكرتُه لك من كلام أئمة الإسلام وهداة الأنام، فاعلم أن التارك لدينه المفارق للجماعة فيه ـ سواء أكان ملتحقاً بالكفار أو كان معهم في ديارهم وأماكنهم ـ كافر مرتد في تركه دين الإسلام؛ الذي هو توحيد الله بإفراد العبادة له، وترك عبادة من سواه، فإن عبادة الله بالإخلاص؛ كما عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية ـ قدس الله روحه ـ حيث قال: «العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة». انتهى[٢].

ومن أنواعها: الحب، والدعاء، والخوف، والرجاء، والتوكل، والإنابة، والرغبة، والرهبة، والذبح، والنذر، والخشوع، والخشية، والتوبة، وغير ذلك من أنواع العبادة التي اختص الله بها تعالى دون خلقه، فمن صرف منها شيئاً لغير الله فهو كافر مرتد، مشرك بإلهه في عبادته، وإن كان مع ذلك يتلفظ بالشهادتين، ويصلي، ولم يفارق المسلمين في شعائر الإسلام وشرائعه الظاهرة إذا كان قد قام به ناقض من نواقض الإسلام المخرج من الملة، فإن ذلك لا ينفعه، ولا يجدي عليه ذلك شيئاً.

وما ذكره النووي على هذا الحديث هو الحق والصواب[٣]، وكذلك ما ذكره

---

(١) الدرر السنية (٢/ ٢٠٢-٢١٠).

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/ ١٤٩).

(٣) وهو قوله: «قوله صلى الله عليه وسلم: التارك لدينه المفارق للجماعة. وهو المرتد ـ والعياذ =

على هذا الحديث في شرحه لمسلم[١]، ويؤيده ما قاله الحافظ ابن حجر في الفتح على هذا الحديث حيث قال: «إن تارك الجماعة صفة كاشفة أو مؤكدة لا مقيدة. ونقل عن ابن دقيق العيد: أن المراد بها مخالفة الإجماع»[٢].

وما ذكره عن هؤلاء الأئمة الأعلام مؤيد لكلام النووي لا مخالف له، ونزيد ذلك إيضاحاً بما قاله الحافظ ابن رجب على هذا الحديث؛ حيث قال: «قوله صلى الله عليه وسلم: التارك لدينه المفارق للجماعة» يدل على أنه لو تاب ورجع إلى الإسلام لا يُقتل؛ لأنه ليس بتارك لدينه بعد رجوعه، ولا مفارق للجماعة، فإن قيل: بل استثناء هذا ممن يُعصم دمه من أهل الشهادتين يدل على

بالله تعالى ـ، وقد يكون موافقاً للجماعة؛ كاليهودي إذا تنصر، وبالعكس، يُقتل؛ لأنه تارك لدينه، غير مفارق للجماعة» ـ كما سبق ـ.

(١) وهو قوله: «وأما قوله صلى الله عليه وسلم: والتارك لدينه المفارق للجماعة. فهو عامّ في كل مرتد عن الإسلام، بأي ردة كانت، فيجب قتله إن لم يرجع إلى الإسلام». (شرح مسلم: ١١/ ١٦٥).

(٢) ونص كلامه: «والمراد بالجماعة جماعة المسلمين، أي فارقهم أو تركهم بالارتداد؛ فهي صفة للتارك أو المفارق، لا صفة مستقلة، وإلا لكانت الخصال أربعاً. وهو كقوله قبل ذلك: «مسلم يشهد أن لا إله إلا الله»، فإنها صفة مفسرة لقوله: «مسلم»، وليست قيداً فيه، إذ لا يكون مسلماً إلا بذلك ـ إلى أن قال ـ قد يؤخذ من قوله «المفارق للجماعة» أن المراد المخالف لأهل الإجماع ... الخ» (فتح الباري: ١٢/ ٢١٠).

أنه يُقتل ولو كان مقراً بالشهادتين، كما يُقتل الزاني والمحصَن وقاتل النفس، وهذا يدل على أن المرتد لا تُقبل توبته؛ كما حكي عن الحسن، أو أن يُحمل ذلك على من ارتد ممن وُلد على الإسلام؛ فإنه لا تُقبل توبته؛ وإنما تُقبل توبة من كان كافراً ثم أسلم ثم ارتد، على قول طائفة من العلماء، منهم: الليث بن سعد، وأحمد في رواية عنه، وإسحاق.

قيل: إنما استثناه من المسلمين باعتبار ما كان عليه قبل مفارقة دينه كما سبق تقريره، وليس هذا كالثيب الزاني وقاتل النفس؛ لأن قتلهما وجب عقوبةً لجريمتهما الماضية، ولا يمكن تلافي ذلك، وأما المرتد فإنما قُتل لوصفٍ قائم به في الحال، وهو ترك دينه ومفارقة الجماعة، فإذا عاد إلى دينه وإلى موافقته للجماعة فالوصف الذي أبيح به دمه قد انتفى، فتزول إباحة دمه، والله أعلم»[1] ـ ثم ذكر كلاماً طويلاً إلى أن قال ـ: «وأما ترك الدين ومفارقة الجماعة فمعناه الارتداد عن دين الإسلام، ولو أتى بالشهادتين، فلو سب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وهو مقر بالشهادتين أبيح دمه؛ لأنه قد ترك بذلك دينه، وكذلك لو استهان بالمصحف وألقاه في القاذورات، أو جحد ما يُعلم من الدين بالضرورة؛ كالصلاة وما أشبه ذلك، مما يُخرج من الدين.

---

(١) جامع العلوم والحكم (١/ ٣١٩).

وهل يقوم مقام ذلك ترك شيء من أركان الإسلام الخمس؟ هذا ينبني على أنه: هل يخرج من الدين بالكلية بذلك أم لا؟ فمن رآه خروجاً عن الدين كان عنده كترك الشهادتين وإنكارهما، ومن لم يره خروجاً عن الدين، فاختلفوا: هل يلحق بتارك الدين في القتل، لكونه ترك أحد مباني الإسلام أم لا؟ لكونه لم يخرج عن الدين». انتهى [١].

وقال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ فيما لخصه الشيخ محمد بن عبدالوهاب في «الصارم المسلول» بعد كلام طويل، قال: «ونحن نقدر نقول: إن الكفر أنواع مختلفة، كما أن الزنى أنواع مختلفة ـ ثم ذكر أنواع الكبائر كلها، وذكر أنواع الكفر إلى أن قال ـ: فنفرق أيضاً بين الكفر الأصلي والردة؛ فإنه قال: «**من بدل دينه فاقتلوه**»[٢]، وقال: «**كفرٌ بعد إيمان**»[٣]، فتبديل الدين بالكفر بعد الإيمان موجب للقتل؛ سواء كان معه أو لم يكن، لتغليظه بالتبديل، ولهذا كانت أحكام المرتد بالإجماع أغلظ من حكم الكافر الأصلي.

فنقول: المرتد ليس قتله لمجرد كفره وحرابته، ولهذا لو بذل الجزية لم تُقبل

(١) المصدر السابق، (١/ ٣٢٧-٣٢٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠١٧).

(٣) أخرجه ـ بهذا اللفظ ـ الدارمي (٢٢٩٨)، وصححه حسين سليم أسد.

منه، فابتداء الكفر أعظم من البقاء عليه، فليس جرم من هوَّداه أبواه أو نصَّراه كمن هو بنفسه ابتدأ الكفر، ودخل فيه بعد إسلامه، ولهذا يُعَظم الله في القرآن أمرَ من كفر بالله من بعد إيمانه.

وكذلك نقول: ليس من خان بعد معاهدته بمنزلة المحارب المستمر؛ كما أنه ليس زنا المحصن الذي كمل بالوطء المباح، وعدل عنه إلى الحرام، بمنزلة غيره.

ثم نقول: الردة نوعان: مجردة ومغلظة، كما أن أصل الكفر كذلك، فالردة كفر مغلظ، وهي بنفسها مجردة ومغلظة، فالمجردة أن لا يفعل سوى الكفر، فهذا يُستتاب، بخلاف الأسير الحربي فلا تجب استتابته؛ لأنه دعي قبل القتال، وهذا لم يُدعَ من كفر الردة؛ فلا يُقتل حتى يدعى، وقد نوزع في استتابته: هل هي واجبة أو مستحبة؟ والجمهور على أنه إذا دعي إلى الإسلام لم يُقتل. وعن أحمد رواية: أن من وُلد على الفطرة إذا كفر قُتل، وإن عاد إلى الإسلام، وهو قول طائفة؛ فإنه لم يرتد إلى دين كان عليه؛ بل مجرد كفر بعد إيمان، فيُقتل كالمقاتل في المحاربة.

وفي السلف من قال: يُقتل كل مرتد ولو تاب، وجعلوا الردة موجبة للقتل؛ كقتل الساعي في الأرض بالفساد، وقد يقال في كثير من هؤلاء إنه لا يستتاب بحال، لكن لو تاب قُبل منه؛ كالأسير، وأما الردة المغلظة؛ فإنه يُقتل عندنا وعند جمهور السلف بها، وإن تاب بعد القدرة عليه؛ مثل من كانت ردته بسب الرسول صلى الله عليه وسلم، في أشهر الروايتين، وكذلك سب الله، وكذلك من تكررت ردته، على إحدى الروايتين، وكذلك الكافر بسحره، كما تقام الحدود على

أصحابها، وإن تابوا بعد القدرة عليهم؛ وذلك لأن الردة المجردة مقصودُ صاحبها هو الكفر الذي يدوم عليه كالكافر الأصلي، فإذا قُتل بالمقام عليها امتنع منها، وأما المغلظة فقد يكون مقصودُه الاستهزاء بآيات الله، والتلاعب بالدين بالرجوع عنه مرة بعد مرة، وترك تعظيم كتاب الله ورسوله ودينه، وهذا يحصل له، فيفعله، فإذا قُدر عليه تاب؛ كما يحصل غرض الزاني وغيره، فلو كان من قُدر عليه من هؤلاء فتاب قُبلت توبته؛ لم تُدرأ هذه المفاسد، ولهذا أمر صلى الله عليه وسلم بقتل من تغلظت ردته عام الفتح؛ كابن خطل ونحوه، ولم يقبل منهم ما قبله من سائر الكفار.

وكذلك أبوبكر كتب إلى خالد بن الوليد يأمره بقتل بني حنيفة، وإن عادوا إلى الإسلام[1]، وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل ابن سرح، ثم استؤمن له، فأَمَّنَه بعد أن قال: «**أما فيكم رجلٌ نظر إلي وقد أمسكت عن هذا فيضرب عنقه**»[2]؛ فإنه يجوز فيه الأمران إذا جاء تائباً: قتله، وحقن دمه، يُخير الإمام فيه كما يُخير في الأسير الحربي، وليس في الأدلة الشرعية ما يوجب حقنَ دم مرتد قد أسلم؛ بل فيها ما يدل على أن منهم من يُحقن دمه، ومنهم من

---

(١) انظر: «البداية والنهاية»، (٦/ ٣٢١ وما بعدها).

(٢) أخرجه أبوداود (٢٦٨٣)، وصححه الألباني – رحمه الله –.

يجوز قتله، فقتل المرتد سببه أغلظ، وهو الخروج عن الإيمان، والمقصود منع الناس من الردة، كما أن المقصود بالعقوبات المنع من الزنا والسرقة ونحوها. انتهى المقصود منه.(١)

وأما قوله: «فالمراد المجاهرة بترك الإسلام، وعدم مشاركتهم في شعائرهم».

فالجواب أن نقول: إن من فعل الشرك فدعا مع الله معبوداً غيره، فهو كافر؛ كالذين يدعون علياً والحسن والحسين، والكاظم وعبدالقادر وغيرهم، وكذلك من يدعو أحمد البدوي والرفاعي والدسوقي وغيرهم من المعبودين؛ فإن هذه مجاهرة بالشرك المنافي للتوحيد، ومن فعل الشرك ودعا مع الله غيره فهو كافر مرتد؛ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾ ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقال تعالى: ﴿ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ

---

(١) انظر: «الصارم المسلول»، (ص٣٢١-٣٢٦). ولم أقف على مختصر الشيخ محمد ـ رحمه الله ـ للصارم.

أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝ ﴾ [الأحقاف: ٥ - ٦] ... إلى غير ذلك من الآيات.

ففاعل الشرك تارك لدينه، ولو كان مع ذلك يتلفظ بالشهادتين، ويصلي ويصوم ويحج؛ فإن ذلك لا ينفعه، مع وجود ناقض من نواقض الإسلام التي تُخرج من الملة، ولابد مع ذلك من تكفير من فعل الشرك، فقد وسم تعالى أهل الشرك بالكفر فيما لا يحصى من الآيات، فلابد من تكفيرهم أيضاً، هذا هو مقتضى لا إله إلا الله كلمة الإخلاص، فلا يتم معناها إلا بتكفير من جعل لله شريكاً في عبادته؛ كما في الحديث الصحيح: «**من قال لا إله إلا الله، وكفر بما يُعبد من دونه؛ حرُم ماله ودمه وحسابه على الله**»[1].

فقوله: «**وكفر بما يعبد من دون الله**»، تأكيد للنفي، فلا يكون معصومَ الدم والمال إلا بذلك[2]، فلو شك أو تردد لم يُعصم دمه وماله، فهذه الأمور هي تمام التوحيد؛ لأن لا إله إلا الله قُيِّدت في الأحاديث بقيود ثقال؛ بالعلم، والإخلاص، والصدق، واليقين، وعدم الشك، فلا يكون المرء موحداً إلا باجتماع هذا

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣).

(٢) قال الشيخ سليمان بن عبدالله - رحمه الله - في «تيسير العزيز الحميد» (ص١١٨) تعليقاً على الحديث : «اعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث علق عصمة المال والدم بأمرين: الأول: قول لا إله إلا الله. الثاني: الكفر بما يُعبد من دون الله. فلم يكتفِ باللفظ المجرد عن المعنى، بل لابد من قولها، والعمل بها».

كله،واعتقاده، وقبوله، ومحبته، والمعاداة فيه والموالاة، كما تقدم بيانه.

فإذا تحققت ذلك؛ تبين لك أن ما يفعله عُبَّاد القبور عند ضرائح الأنبياء والأولياء والصالحين مجاهرة بالكفر، وتركٌ لدين الإسلام، ومن أنكر ذلك فهو مكابر في الحسيات، مباهت في الضروريات.

وأما قوله: «وعدم مشاركتهم في شعائرهم».

فالجواب أن نقول: من كفر بالله وأشرك به في عبادته، لا ينفعه مشاركة المسلمين في شعائر الإسلام؛ لأنه قد كان من المعلوم بالضرورة أن هؤلاء الذين يدعون الأنبياء والأولياء والصالحين مشاركون للمسلمين في التلفظ بالشهادتين والصلاة والزكاة والحج؛ كما سيأتي بيانه ـ إن شاء الله تعالى ـ.

وأما قوله: «فعلى هذا لا يُقتل من أتى بشيء يدل على الكفر؛ كأكثر ما يذكره الفقهاء في كتب الردة، ما دام ملازماً لجماعة المسلمين، لجواز أنه قال أو فعل ذلك متأولاً أو جاهلاً».

والجواب أن نقول: لا نُسَلم له هذا القول، ونأخذ به على الإطلاق، بل المسألة فيها تفصيل، قد بينه العلماء وقرروه، وحسبنا أن نسير على منهاجهم وطريقهم، ونسلك في هذه المسالك على ما أوضحوه في تحقيقهم.

فنقول: من أتى بشيء يدل على الكفر، إذا كان ما أتى به من نواقض الإسلام التي تُخرجه من الملة، فإنَّا نستتيبه؛ فإن تاب وإلا قُتل، كما قرر ذلك شيخ

الإسلام ابن تيمية ـ قدس الله روحه ـ في (الرسالة السنية)[١]، قال: «فإذا كان على عهد النبي ﷺ ممن انتسب إلى الإسلام، من مرق منه، مع عبادته العظيمة فليُعلم، أن المنتسب إلى الإسلام والسنة في هذه الأزمان؛ قد يمرق أيضاً من الإسلام لأسباب منها: الغلو في بعض المشايخ، بل الغلو في علي بن أبي طالب، بل الغلو في المسيح عليه السلام، فكل من غلا في نبي، أو رجل صالح، وجعل فيه نوعاً من الألوهية، مثل أن يقول: يا سيدي فلان انصرني، أو أغثني، أو ارزقني، أو أنا في حسبك، ونحو هذه الأقوال، فكل هذا شركٌ يُستتاب صاحبه، فإن تاب وإلا قُتل، فإن الله سبحانه وتعالى إنما أرسل الرسل، وأنزل الكتب؛ ليُعبد وحده لا شريك له، ولا يُدعى معه إله، والذين يدعون مع الله آلهة أخرى؛ مثل المسيح والملائكة والأصنام لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق الخلائق، وتنزل المطر، أو تنبت النبات، وإنما كانوا يعبدونهم، ويعبدون قبورهم، أو يعبدون صورهم، ويقولون: ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ [الزمر: ٣]، ويقولون: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس: ١٨]، فبعث الله سبحانه رسله تنهي عن أن يُدعى أحد من دونه،

---

(١) وتسمى «الوصية الكبرى»؛ لأنه أرسلها إلى المنتسبين للشيخ الزاهد عدي بن مسافر. وهي منشورة في «الفتاوى» (٣/ ٣٦٣-٤٣٠). وطُبعت مفردة بتحقيق الشيخ محمد الحمود.

لا دعاء عبادة، ولا دعاء استعانة. انتهى[1].

وقال أيضاً: «من جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم ويسألهم، كفر إجماعاً»، نقله عنه صاحب الفروع، وصاحب الإنصاف، وصاحب الإقناع وغيرهم. انتهى[2].

وقوله: «كما يذكره الفقهاء في كتب الردة ما دام ملازماً لجماعة المسلمين؛ لجواز أنه قال أو فعل ذلك متأولاً أو جاهلاً».

فأقول: اعلم ـ وفقك الله لما يحبه ويرضاه ـ أن أكثر ما يذكره الفقهاء في كتب الردة هو الحق والصواب، الذي لا مرية فيه ولا ارتياب، ولم نعلم أن أحداً من العلماء المحققين الذين لهم قدمُ صدقٍ في العالمين أنكر على الفقهاء ما ذكروه في باب حكم المرتد؛ بل أقر ذلك كثيرٌ من العلماء ـ كما تقدم عن الحافظ ابن رجب، وشيخ الإسلام ابن تيمية وغيرهم من العلماء ـ، فلا عبرة بمن استنكر هذا من متأخري متعلمي هذه الأزمان، الذين لا معرفة لهم بحقائق الإسلام، ولا دراية لهم بمدارك الأحكام.

---

(١) الوصية الكبرى (ص٢١، ٣١، ٣٢).

(٢) مجموع الفتاوى (١/ ١٢٤)، ونقله صاحب الفروع (٦/ ١٦٥)، وصاحب الإنصاف (٢٧/ ١٠٨ مع الشرح الكبير)، وصاحب الإقناع (٤/ ٢٨٥).

وقوله: «ما دام ملازماً لجماعة المسلمين».

فيقال في جوابه: إن أراد بجماعة المسلمين أنه يتلفظ بين ظهرانيهم بالشهادتين ويصلي ويقوم بشعائر الإسلام الظاهرة، وهو مع ذلك كله يدعو غير الله عند ضرائح الأموات، ويستغيث بهم في جميع الملمات والمهمات، ويسألهم قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، ومعافات أولي العاهات؛ فقد بينا فيما تقدم عن أهل العلم أنه لا ينفعه ذلك، ولا يجدي عليه شيئاً، مع وجود ما يناقض ذلك من الكفر والإشراك بالله.

فإن هؤلاء الذين يدعون غير الله، ويستغيثون بهم، ليسوا بجماعة المسلمين، الذين أخلصوا توحيدهم وعبادتهم لله رب العالمين؛ بل هم جماعة المشركين.

وأما قوله: «لجواز أنه قال أو فعل ذلك متأولاً أو جاهلاً».

فالجواب أن نقول: قد بينا فيما تقدم أن هذه المسألة فيها تفصيل، وكلامٌ للعلماء، والتحقيق في المسألة ما قاله شيخنا الشيخ عبداللطيف ـ رحمه الله ـ في الرد على عثمان بن منصور، حيث قال:

«أما كلام شيخ الإسلام في عدم تكفير المعين، فالمقصود به في مسائل مخصوصة قد يخفى دليلها على بعض الناس؛ كما في مسائل القدر والإرجاء ونحو ذلك مما قاله أهل الأهواء؛ فإن بعض أقوالهم تتضمن أموراً كفرية؛ من رد الكتاب والسنة المتواترة، فيكون القول المتضمن لرد بعض النصوص كفر، ولا يُحكم على قائله بالكفر؛ لاحتمال وجود مانع؛ كالجهل وعدم العلم بنفس النص وبدلالته؛

فإن الشرائع لا تلزم إلا بعد بلوغها، ولذلك ذكر هذا في الكلام على بدع أهل الأهواء، وقد نص على هذا فقال في تكفير أناس من أعيان المتكلمين بعد أن قرر هذه المسألة، قال: وهذا إذا كان في المسائل الخفية فقد يُقال بعدم التكفير، وأما ما يقع منهم في المسائل الظاهرة الجلية، أو ما يُعلم من الدين بالضرورة؛ فهذا لا يُتوقف في كفر قائله. انتهى[١].

فتأمل ما ذكره ـ رحمه الله ـ عن شيخ الإسلام؛ من أن عدم تكفير المعين إنما هو في المسائل المخصوصة التي يخفى دليلها على بعض الناس؛ كما في مسائل القدر والإرجاء ونحو ذلك، وأما ما يقع في المسائل الظاهرة الجلية، وما يُعلم من الدين بالضرورة؛ فهذا لا يُتوقف في كفر قائله[٢].

وإذا أردت بيان ذلك وتوضيحه، فاعلم أن من أتى بشيء يدل على كفره أنه يُقتل كما ذكر العلماء ذلك في مثل قتل الجهم بن صفوان، قتله سلم بن أحوز أمير خراسان، حين أظهر مذهب الجهمية، وهو شخص معين، مع أنه ما دام ملازماً لجماعة المسلمين في خراسان[٣].

---

(١) مصباح الظلام (ص٥١٧-٥١٨). وكلام شيخ الإسلام موجود في الفتاوى (٤/ ٥٤).

(٢) وينظر للمزيد عن المسائل الخفية التي يُعذر فيها بالجهل، والمسائل الظاهرة الجلية التي هي من المعلوم من الدين بالضرورة، فلا يُعذر فيها بالجهل: رسالة «عارض الجهل وأثره على أحكام الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة» للشيخ أبي العلا بن راشد، راجعها وقَدَّم لها: الشيخ صالح الفوزان.

(٣) قال الذهبي عنه: «أس الضلالة، ورأس الجهمية، وكان ينكر الصفات، ويقول بخلق القرآن،

=

وكذلك عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قتل ابن النوّاحة وأصحابه الذين هاجروا معه إلى الكوفة، وقد ابتنوا فيها مسجداً، فلما ظهر من بعضهم شيء في حق مسيلمة أنه على الحق، أو كلاماً هذا معناه، وسمع هذا بعضُ المسلمين فأخبر به عبدالله بن مسعود، فجمع من عنده من الصحابة فاستشارهم في قتلهم، فأشار بعضهم بقتلهم من غير استتابة، وبعضهم أشار باستتابتهم، فقتل ابن النواحة وآخرين معه، ولم يستتبهم، واستتاب الباقين؛ فتابوا[1]، وهم مع ذلك ما زالوا ملازمين للجماعة، ولم يُظهروا شيئاً مما قالوه؛ بل كانوا مستخفين به.

وكذلك: خالد بن عبدالله القسري قتل الجعد بن درهم لما أظهر شيئاً من إنكار الصفات، ضحى به يوم عيد النحر، فقال في خطبته: أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضحٍ بالجعد بن درهم: إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً، تعالى الله عما يقول الجعد بن درهم علواً كبيراً، ثم نزل فذبحه؛ فشكر ذلك له جميعُ أهل السنة؛ كما قال ابن القيم في «الكافية الشافية»[2]:

ويقول إن الله في الأمكنة كلها»! ـ تعالى الله عن قوله علواً كبيراً ـ، قتله الأمير سلم بن أحوز سنة ١٢٨هـ. سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٦).

(١) أخرج القصة: أبوداود (٢٧٦٢)، وابن حبان (٤٨٧٩)، وصححها الألباني والأرناؤوط.

(٢) (١/ ٢٥) مع شرح هراس – رحمه الله –. وقصة قتل خالد القسري للجعد بن درهم تناقلها

=

العلماء دون نكير. وانظر للرد على من حاول تضعيفها ـ مع لمزه للأمير خالد القسري! ـ: رسالة «مقالة التعطيل والجعد بن درهم» للدكتور محمد بن خليفة التميمي، (ص١٨١-١٩٨). وقد فاته ـ وفقه الله ـ ذِكرُ كلامٍ متين للعلامة المعلمي اليماني – رحمه الله – في رده على الكوثري «التنكيل» بخصوص الأمير خالد القسري ـ الذي طعن فيه الكوثري! ـ، فقال المعلمي – رحمه الله –: «أقول: كان خالد أميراً مسلماً خلط عملاً صالحاً كإقامة الحدود، وآخر سيئاً، الله أعلم ما يصح عنه منه، وقد جاء عن جماعة من الأئمة كما في «التأنيب» نفسه أن أبا حنيفة استتيب في الكفر مرتين، فإن كان خالد هو الذي استتابه في إحداهما، وقد شهد أولئك الأئمة أنها استتابة عن الكفر، فأي معنىً للطعن في خالد؟ هبه كان كافراً! أيجوز أن يحنق عليه مسلم لأنه رُفع إليه إنسان يقول قولاً شهد علماء المسلمين أنه كفر فاستتابه منه؟ وكان خالد يماني النسب، وكان له منافسون على الإمارة من المضريين وأعداء كثير يحرصون على إساءة سمعته، وكان القصاصون ولا سيما بعد أن نُكب خالد يتقربون إلى أعدائه بوضع الحكايات الشنيعة في ثلبه، ولا ندري ما يصح من ذلك؟ وقضية الكنيسة إن صح فيها شيء فقد يكون بر أمه بمال، فبنى لها وكيلها كنيسة، فإنها كانت نصرانية وليس في هذا ما يعاب به خالد، فقد أحل الله عز وجل نكاح الكتابيات والتسري بهن، ونهى عن إكراههن على الإسلام، وأمر بإقرارهن على دينهن، وأمر ببر الأمهات.

فأما قضية الجعد، فإن أهل العلم والدين شكروا خالداً عليها، ولا يزالون شاكرين له إلى يوم القيامة، ومغالطة الأستاذ في قضية التضحية مما يُضحك ويُبكي، يُضحك لتعجرفه، ويُبكي لوقوعه من رجل ينعته أصحابه أو ينعت نفسه «الإمام الفقيه المحدث، والحجة الثقة المحقق العلامة الكبير ...»، لا يخفى على أحد أن الأضحية الشرعية هي ذبح شاة أو بقرة أو بدنة بصفة مخصوصة في أيام الأضحى تقرباً إلى الله تعالى بإراقة دمها، وليأكل منها المضحي وأهله ويهدي من لحمها إلى أصحابه ويتصدق منه على المساكين، وأن خالداً لم يذبح الجعد ليأكل من لحمه ويهدي ويتصدق!! وإنما سماه تضحية؛ لأنه إراقة دم يوم الأضحى تقرباً إلى الله تعالى،

=

ولأجل ذا ضحى بجعدٍ خالدُ الـ ... ـقسري يومَ ذبائح القُربانِ
إذ قال إبراهيم ليس خليله ... كلا ولا موسى الكليم الدان
شكر الضحية كلُ صاحب سُنة ... لله درُّك من أخي قربانِ

وكذلك قتل الحلاج، كان مشهوراً عند العلماء، لما أظهر مذهب الباطنية

فشبهه بالأضحية المشروعة من هذا الوجه؛ كما سمى بعض الصحابة وغيرهم قتل عثمان رضي الله عنه تضحية؛ لأنه وقع في أيام الأضحى.

فقال حسان:

ضحوا بأشمط عنوان السجود به ... يُقطع الليل تسبيحاً وقرآنا

وقال أيمن بن خريم:

ضحوا بعثمان في الشهر الحرام ضحى ... وأيُ ذبحٍ حرامٍ ويلهم ذبحوا

وقال القاسم بن أمية:

لعمري لبئس الذبح ضحيتم به ... وخنتم رسول الله في قتل صاحبه

فإن قيل: لكن يظهر من القصة أن خالداً لم يضحّ، بل اجتزأ بذبح الجعد. قلت: ليس ذلك بواضح، وكان خالد يذبح كل يوم عدة ذبائح، وهب أنه لم يضحّ ذاك اليوم، فغاية الأمر أن يكون اجتزأ بإقامة ذلك الحد من جهة كونه قربة إلى الله عز وجل وإقامة حد من حدوده، والأضحية عند جمهور أهل العلم ليست بواجبة، فلا إثم على من تركها، فإن كان مع تركه لها قد قام بقربة عظيمة، ورأى أن ما يفوته من أجر الأضحية وإقامة الشعائر بما يجبره ما يرجوه على تلك القربة الأخرى، فهو أبعد عن الإثم، ولو ضحى الرجل ألف أضحية لما بلغ من أجرها وإقامة الشعائر بها أن توازن إقامة الحد على الجعد، وإماتة فتنته» (التنكيل ١/ ٢٥٥-٢٥٦).

الإسماعيلية، وهو فردٌ معين، لم يزل ملازماً لجماعة المسلمين، وقيل: إنه كان يصلي في اليوم ألف ركعة[1]، إلى غير ذلك من الوقائع المعلومة المشهورة عند أهل العلم، فبطل جميع ما موه به هذا الرجل من هذه الأباطيل التي ليست على صراط مستقيم، ولا قِوام لها على المنهج القويم.

وأما قوله: «ويدل على ذلك عدم قتله صلى الله عليه وسلم لأحد من المنافقين الذين كان يبدر منهم ما يدل على كفرهم، فضلاً عن المسلمين الذين كانوا يخطئون فيما من شأنه أنه لا يقع من المسلم؛ كإرسال حاطب بن أبي بلتعة الكتاب إلى كفار قريش».

فنقول: قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ في «إعلام الموقعين»: وأما قوله: «إنه لم يحكم في المنافقين بحكم الكفر مع الدلالة التي لا أقوى منها، وهي خبر الله تعالى عنهم وشهادته عليهم».

فجوابه: أن الله تعالى لم يُجْرِ أحكام الدنيا على علمه في عباده، وإنما أجراها على الأسباب التي نصبها أدلة عليها، وإن علم سبحانه وتعالى أنهم مبطلون فيها مظهرون لخلاف ما يبطنون، وإذا أَطْلَعَ الله رسوله على ذلك لم يكن ذلك مناقضاً

---

(١) انظر شيئاً من أخباره في «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٣١٣-٣٥٤). وقال عنه: «من رؤوس القرامطة، ودعاة الزنادقة»، أفتى العلماء بقتله؛ فقُتل سنة ٣٠٩ هـ.

لحكمه الذي شرعه ورتبه على تلك الأسباب، كما رتَّب على المتكلم بالشهادتين حكمه، وأطلع رسوله وعباده المؤمنين على أحوال كثير من المنافقين، وأنهم لم يطابق قولهم اعتقادهم، وهذا كما أجرى حكمه على المتلاعنين ظاهراً، ثم أطلع رسوله والمؤمنين على حال المرأة بشبه الولد لمن رميت به، وكما قال: «**إنما أقضي بنحو ما أسمع، فمن قضيتُ له بشيء من حق أخيه فإنما أقطع له قطعة من النار**»[١]، وقد يُطلعه الله على حال آخذ ما لا يحل له أخذه، ولا يمنعه ذلك من إنفاذ الحكم.

وأما الذي قال: «يا رسول الله إن امرأتي ولدت غلاماً أسود»[٢]؛ فليس فيه ما يدل على القذف، لا صريحاً ولا كناية، وإنما أخبره بالواقع مستفتياً عن حكم هذا الولد: أيستلحقه مع مخالفة لونه للونه، أم ينفيه؟ فأفتاه النبي صلى الله عليه وسلم، وقرب له الحكم بالشبه الذي ذكره؛ ليكون أَذْعن لقبوله، وانشراح الصدر له، ولا يقبله على إغماض، فأين في هذا ما يُبطل حد القذف بقول مَنْ يشاتم غيره: أما أنا فلستُ بزانٍ، وليست أمي بزانية. ونحو هذا من التعريض الذي هو أوجع وأنكى من التصريح، وأبلغ في الأذى، وظهوره عند كل سامع بمنزلة ظهور

(١) أخرجه البخاري (٧١٦٩)، ومسلم (١٧١٣).

(٢) أخرجه البخاري (٧٣١٤)، ومسلم (١٥٠٠).

الصريح، فهذا لون وذلك لون، وقد حدَّ عمر بالتعريض في القذف، ووافقه الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

وأما قوله ـ رحمه الله ـ : «إنه استشار الصحابة فخالفه بعضهم» فإنه يريد ما رواه عن مالك عن أبي الرجال عن أمه عمرة بنت عبدالرحمن أن رجلين اسْتَبَّا في زمن عمر بن الخطاب، فقال أحدهما للآخر: والله ما أنا بزانٍ ولا أمي بزانية، فاستشار في ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال قائل: مَدَحَ أباه وأمه، وقال آخرون: قد كان لأبيه وأمه مَدْحٌ غير هذا، نرى أن تجلده الحد، فجلده عمر الحد ثمانين، وهذا لا يدل على أن القائل الأول خالف عمر؛ فإنه لما قيل له إنه قد كان لأبيه وأمه مَدْحٌ غير هذا فهم أنه أراد القذف فسكت، وهذا إلى الموافقة أقرب منه إلى المخالفة، وقد صح عن عمر من وجوه أنه حَدَّ في التعريض، فروى مَعْمر عن الزهري عن سالم عن أبي أن عمر كان يحد في التعريض بالفاحشة، وروى ابن جُريج عن ابن أبي مليكة عن صفوان وأيوب عن عمر أنه حد في التعريض، وذكر أبوعمر أن عثمان كان يحد في التعريض، وذكره ابن أبي شيبة، وكان عمر بن عبدالعزيز يرى الحد في التعريض، وهو قول أهل المدينة والأوزاعي، وهو محض القياس، كما يقع الطلاق والعتق والوقف والظهار بالصريح والكناية، واللفظ إنما وضع لدلالته على المعنى؛ فإذا ظهر المعنى غاية الظهور لم يكن في تغيير اللفظ كثير فائدة.

وأما قوله: «من حكم على الناس بخلاف ما ظهر عليهم لم يسلم من خلاف

التنزيل والسنة»؛ فإنه يشير بذلك إلى قبول توبة الزنديق، وحقن دمه بإسلامه، وقبول توبة المرتد وإن ولد على الإسلام، وهاتان مسألتان فيهما نزاع بين الأمة مشهور، وقد ذكر الشافعي الحجة على قبول توبتهما، ومن لم يقبل توبتهما يقول: إنه لا سبيل إلى العلم بها؛ فإن الزنديق قد عُلم أنه لم يزل مظهراً للإسلام، فلم يتجدد له بإسلامه الثاني حال مخالفة لما كان عليه، بخلاف الكافر الأصلي؛ فإنه إذا أسلم فقد تجدد له بالإسلام حالٌ لم يكن عليها، والزنديق إنما رجع إلى إظهار الإسلام، وأيضاً فالكافر كان معلناً لكفره غير مستتر به ولا مُخْفٍ له، فإذا أسلم تيقنَّا أنه أتى بالإسلام رغبةً فيه لا خوفاً من القتل، والزنديق بالعكس؛ فإنه كان مخفياً لكفره مستتراً به، فلم نؤاخذه بما في قلبه إذا لم يظهر عليه، فإذا ظهر على لسانه واخذناه به، فإذا رجع عنه لم يرجع عن أمر كان مظهراً له غير خائف من إظهاره، وإنما رجع خوفاً من القتل، وأيضاً فإن الله تعالى سنَّ في عباده أنهم إذا رأوا بأسه لم ينفعهم الإسلام، وهذا إنما أسلم عند معاينة البأس، ولهذا لو جاء من تلقاء نفسه وأقر بأنه قال كذا وكذا وهو تائب منه؛ قبلنا توبته ولم نقتله.

وأيضاً: فإن الله تعالى سنَّ في المحاربين أنهم إن تابوا من قبل القدرة عليهم قُبلت توبتهم، ولا تنفعهم التوبة بعد القدرة عليهم، ومحاربة الزنديق للإسلام بلسانه أعظم من محاربة قاطع الطريق بيده وسنانه؛ فإن فتنة هذا في الأموال والأبدان، وفتنة الزنديق في القلوب والإيمان، فهو أولى ألا تُقبل توبته بعد القدرة عليه، وهذا بخلاف الكافر الأصلي؛ فإن أمره كان معلوماً، وكان مُظهراً لكفره

غير كاتم له، والمسلمون قد أخذوا حِذْرهم منه، وجاهروه بالعداوة والمحاربة، وأيضاً فإن الزنديق هذا دأبه دائماً، فلو قُبلت توبته لكان تسليطاً له على بقاء نفسه بالزندقة والإلحاد، وكلما قُدر عليه أظهر الإسلام وعاد إلى ما كان عليه، ولاسيما وقد علم أنه أَمِنَ بإظهار الإسلام من القتل، فلا يَزَعُهُ خوفه من المجاهرة بالزندقة والطعن في الدين ومسبة الله ورسوله، فلا ينكف عدوانه عن الإسلام إلا بقتله.

وأيضاً: من سب الله ورسوله فقد حارب الله ورسوله وسعى في الأرض فساداً، فجزاؤه القتل حداً، والحدود لا تسقط بالتوبة بعد القدرة اتفاقاً، ولا ريب أن محاربة هذا الزنديق لله ورسوله وإفساده في الأرض أعظم محاربة وإفساداً، فكيف تأتي الشريعة بقتل مَنْ صال على عشرة دراهم لذمي أو على بدنه، ولا تقبل توبته ولا تأتي بقتل من دأبه الصول على كتاب الله وسنة رسوله، والطعن في دينه وتقبل توبته بعد القدرة عليه؟، وأيضاً: فالحدود بحسب الجرائم والمفاسد، وجريمة هذا أغلظ الجرائم، ومفسدة بقائه بين أظهر المسلمين من أعظم المفاسد.

وههنا قاعدة يجب التنبيه إليها لعموم الحاجة إليها، وهي أن الشارع إنما قبل توبة الكافر الأصلي من كفره بالإسلام؛ لأنه ظاهرٌ لم يعارضه ما هو أقوى منه، فيجب العمل به؛ لأنه مقتضٍ لحقن الدم والمعارِضُ منتفٍ، فأما الزنديق فإنه قد أظهر ما يبيح دمه، فإظهاره بعد القدرة عليه للتوبة والإسلام لا يدل على زوال ذلك الكفر المبيح لدمه دلالة قطعية ولا ظنية، أما انتفاء القطع فظاهر، وأما انتفاء الظن فلأن الظاهر إنما يكون دليلاً صحيحاً إذا لم يثبت أن الباطن بخلافه، فإذا قام

دليل على الباطن لم يُلتفت إلى ظاهر قد عُلم أن الباطن بخلافه، ولهذا اتفق الناس على أنه لا يجوز للحاكم أن يحكم بخلاف علمه، وإن شهد عنده بذلك العدول، وإنما يحكم بشهادتهم إذا لم يعلم خلافها، وكذلك لو أقر إقراراً علم أنه كاذب فيه، مثل أن يقول لمن هو أَسَنُّ منه «هذا ابني»، لم يثبت نسبه ولا ميراثه اتفاقاً، وكذلك الأدلة الشرعية مثل خبر الواحد العدل والأمر والنهي والعموم والقياس إنما يجب اتباعها إذا لم يقم دليل أقوى منها يخالف ظاهرها.

وإذا عُرف هذا: فهذا الزنديق قد قام الدليل على فساد عقيدته، وتكذيبه واستهانته بالدين، وقدحه فيه؛ فإظهاره الإقرار والتوبة بعد القدرة عليه ليس فيه أكثر مما كان يظهره قبل هذا، وهذا القدر قد بطلت دلالته بما أظهره من الزندقة؛ فلا يجوز الاعتماد عليه؛ لتضمنه إلغاء الدليل القوي وإعمال الدليل الضعيف الذي قد ظهر بطلان دلالته، ولا يخفى على المنصف قوة هذا النظر وصحة هذا المأخذ، وهذا مذهب أهل المدينة ومالك وأصحابه والليث بن سعد، وهو المنصور من الروايتين عن أبي حنيفة، وهو إحدى الروايات عن أحمد، نَصَرَها كثير من أصحابه، بل هي أَنَصُّ الروايات عنه.

وعن أبي حنيفة وأحمد أنه يستتاب، وهو قول الشافعي، وعن أبي يوسف روايتان؛ إحداهما: أنه يستتاب، وهي الرواية الأولى عنه، ثم قال آخراً: أقتله من غير استتابة، لكن إن تاب قبل أن يُقدر عليه قبلت توبته، وهذا هو الرواية الثالثة لأحمد.

ويا لله العجب! كيف يقاوم دليل إظهاره للإسلام بلسانه بعد القدرة عليه أدلة زندقته وتكررها منه مرة بعد مرة، وإظهاره كل وقت للاستهانة بالإسلام والقدح في الدين والطعن فيه في كل مجمع؟ مع استهانته بحرمات الله واستخفافه بالفرائض وغير ذلك من الأدلة؟ ولا ينبغي لعالم قط أن يتوقف في قتل مثل هذا، ولا تُترك الأدلة القطعية لظاهر قد تبين عدم دلالته، وبطلانها، ولا تسقط الحدود عن أرباب الجرائم بغير موجب.. إلى آخر كلامه ـ رحمه الله ـ.(١)

وأما قوله: «فضلاً عن المسلمين الذين كانوا يخطئون فيما من شأنه أن لا يقع من المسلم؛ كإرسال حاطب بن أبي بلتعة الكتاب إلى كفار قريش.. إلى آخره».

فالجواب أن نقول: ما فعله حاطب ـ رضي الله عنه ـ من إرساله إلى كفار قريش يخبرهم بمسير رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ليس كالذي يفعله هؤلاء الذين يزعم أنهم مسلمون، فإن ما يفعله هؤلاء كفر وردة عن الإسلام، بخلاف فعل حاطب بن أبي بلتعة؛ فإنه هاجر إلى الله ورسوله، وجاهد في سبيله، لكن حدث منه نوعُ موالاة لم يكن بها كافراً مرتداً، ولم يكن شاكاً في دينه ولا مرتاباً، وإنما فعل ذلك لغرض دنيوي.

---

(١) إعلام الموقعين، (٣/ ١٤٠-١٤٤)، وقد تعرض الشيخ ابن سحمان ـ رحمه الله ـ في كتابه «تبرئة الشيخين..» (ص١١٣-١١٤) إلى أسباب عدم قتله صلى الله عليه وسلم للمنافقين في زمانه، وقال: «فإذا تبين لك هذا علمت أن استدلال هذا المعترض بهذه الأحاديث التي ذكرها في المنافقين على ترك مقاتلة من كفر بالله وأشرك به من دعاة الأولياء والصالحين والأحجار والأشجار، وطواغيت البوادي الذين يحكمون بأسلاف طواغيتهم، وعاداتهم الجاهلية؛ لأجل أنهم يصلون ويزكون؛ استدلال باطل، وهل هذا إلا قلب للحقائق، ولبس للحق بالباطل بهذه الشقائق؟».

وقد قال شيخنا الشيخ عبداللطيف ـ رحمه الله ـ في رسالته للخطيب ـ بعد كلام سبق ـ: «وتأمل قصة حاطب بن أبي بلتعة وما فيها من الفوائد؛ فإنه هاجر إلى الله ورسوله، وجاهد في سبيله؛ لكن حدث منه أنه كتب بسرِّ رسول الله إلى المشركين من أهل مكة، يخبرهم بشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسيره لجهادهم؛ ليتخذ بذلك يداً عندهم، يحمي أهله وماله بمكة، فنزل الوحي بخبره، وكان قد أعطى الكتاب ظعينة جعلته في شعرها، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً والزبير في طلب الظعينة، وأخبرهما أنهما يجدانها في روضة خاخ[1] فكان ذلك، فتهدداها حتى أخرجت الكتاب من ضفائرها؛ فأتيا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا حاطب بن أبي بلتعة فقال له: **«ما هذا؟»**، فقال: يا رسول، إني لم أكفر بعد إيماني، ولم أفعل هذا رغبة عن الإسلام، وإنما أردت أن تكون لي عند القوم يداً أحمي بها أهلي ومالي، فقال صلى الله عليه وسلم: **«صدقكم خلو سبيله»**، واستأذن عمر في قتله، فقال: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال: **«وما يدريك أن الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»**[2]، وأنزل الله في ذلك صدر سورة المحتحنة فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١] الآيات، فدخل حاطب في المخاطبة باسم الإيمان، ووصفه به، وتناوله النهي بعمومه، وله خصوص السبب الدال على

---

(١) موضع بين الحرمين، بقرب حمراء الأسد من المدينة. معجم البلدان (٢/ ٣٣٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤).

إرادته، مع أن في الآية الكريمة ما يُشعر أن فعل حاطب نوع موالاة، وأنه أبلغ إليهم بالمودة، فإن فاعل ذلك قد ضل سواء السبيل ، لكن قوله: «**صدقكم خلو سبيله**»، ظاهر في أنه لا يكفر بذلك؛ إذا كان مؤمناً بالله ورسوله غير شاك ولا مرتاب، وإنما فعل ذلك لغرض دنيوي، ولو كفر لما قيل: «**خلوا سبيله**»، لا يقال: قوله صلى الله عليه وسلم لعمر: «**ما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**»، هو المانع من تكفيره؛ لأنا نقول: لو كفر لما بقي من حسناته ما يمنعه من لحاق الكفر وأحكامه، فإن الكفر يهدم ما قبله، لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، والكفر محبط للحسنات والإيمان بالإجماع، فلا يُظن هذا». انتهى [١].

فإذا عرفت ذلك؛ فقياس من أتى بما يدل على كفره على فعل حاطب بن أبي بلتعة من أفسد القياس وأبطله؛ لأن حاطباً لم يكفر بذلك، وإنما كان حكمه حكم الجاسوس المسلم، وقد ذكر ابن القيم في «الهدي النبوي» اختلاف العلماء في قصة حاطب ، وذكر أن الصحيح في قتله راجع إلى رأي الإمام، فإن رأى في قتله مصلحةً للمسلمين قَتَله، وإن كان بقاؤه أصلح استبقاه والله أعلم. انتهى [٢]، ذكر ذلك في فقه غزوة الفتح في الهدي النبوي، في صفحة أربعمائة وتسع وعشرين.

---

(١) عيون الرسائل والمسائل (١/ ١٧٨-١٨٠).

(٢) زاد المعاد (٣/ ٤٢٢-٤٢٣).

فصل

وأما قوله: «وما ذكره الشارح هنا في مفارقة الجماعة خطأ ظاهر، ولعله قد سقط منه شيء».

والجواب أن نقول: التارك لدينه مفارق للجماعة، سواء كان قد لحق بالكفار أو كان مع المسلمين في أماكنهم وديارهم، فهو كافر مرتد، ويدل على ذلك ما ذكره النووي في «شرح مسلم» الذي ذكره صاحب المنار عنه؛ حيث قال: وأما قوله صلى الله عليه وسلم: **«والتارك لدينه المفارق للجماعة»** فهو عام في كل مرتد عن الإسلام، بأي ردة كانت، فيجب قتله إن لم يرجع إلى الإسلام.. إلى آخر كلامه[1]، وهذا هو الحق والصواب؛ لموافقته ما قاله العلماء غيره، مما تقدم بيانه فيما قبل.

وأما قوله: «وقد أسرف بعض الفقهاء في هذا إسرافاً يقتضي قتل أكثر المسلمين، ولاسيما مسلمي زماننا».

والجواب أن نقول: بل الذي أسرف إسرافاً لا يستريب فيه من عقل عن الله ما يقول، وعرف ما يقوله الأئمة الفحول، هو أنت أيها المعترض، فما ذكره الفقهاء

---

(١) شرح مسلم (١١/ ١٦٥).

في باب حكم المرتد هو الحق والصواب الذي لا مرية فيه ولا ارتياب، ولا نعلم أحداً من العلماء اعترض عليه في ذلك، خصوصاً ما ذكره أئمتنا الحنابلة، إلا من لا غيرة له على دين الله ورسوله من كفر هؤلاء المتعمقين الحيارى المفتونين، وهذا لا عبرة بخلافه ومعارضته لأهل الحق. فلو ذكر شيئاً مما أسرفوا فيه وخالفوا فيه الحق؛ لوجب علينا وعلى كل مسلم نصر الحق ورد الباطل، ولكنه لم يذكر من ذلك شيئاً؛ فوجب اطراح قوله، لسقوطه.

وأما قوله: «يقتضي قتل أكثر المسلمين، ولاسيما مسلمي زماننا».

فنقول: مَنْ هؤلاء المسلمون الذين حكم بعض الفقهاء بما يقتضي قتل أكثرهم؟ أهم الذين ارتدوا عن الإسلام، وفارقوه، وعملوا بالشرك وفعلوه جحدوا أسماء الله وصفاته بعدما بينها الله في كتابه وبينها رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته، وقررها علماء المسلمين في كل كتاب، وبينوا كفر من فعلها مما هو معلوم من الدين بالضرورة، وكان من المسائل الظاهرة الجلية، التي لا تخفى على أكثر البرية؟! فما ذكره العلماء في قتلهم وكفرهم هو الحق والصواب، وتسميتهم بالمسلمين من أبطل الباطل، وأضل الضلال؛ لأنهم تركوا دينهم، وفعلوا ما ينافيه ويناقضه؛ من الكفر بالله، والإشراك به، وجحد أسمائه وصفاته.

وإن كان أراد بذلك: من أخطأ في المسائل التي قد يخفى دليلها على أكثر الناس؛ إما بجهل أو بتأويل، فقد تقدم الجواب عن ذلك فيما سبق، ولا فائدة في إعادته، وأما مسلمو هذا الزمان ـ على زعمه ـ ممن يدعوا الأموات والغائبين،

ويستغيث بهم في مهماته وملماته، ويهرع إليهم في جميع طلباته ورغباته، ويستشفع بهم فيما ينوبه من جميع حاجاته؛ فهؤلاء ليسوا بالمسلمين، وتكفيرهم بعد قيام الحجة عليهم هو الذي نعتقده وندين الله به، وعلى هذا: فمن نسب عن الفقهاء أنهم قد أسرفوا في قتلهم وتكفيرهم ـ أعني مسلمي هذا الزمان ممن هذه صفته وهذا دينه ونحلته ـ فقد أخطأ، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به، في دعواه أنهم مسلمون؛ لمجرد التلفظ بالشهادتين، ومشاركة المسلمين في شعائرهم الظاهرة وعدم مفارقتهم فيها، فهؤلاء على ما ذكره المحققون من أهل العلم: ليس معهم من الإسلام شيء، لما سنبينه ـ إن شاء الله تعالى ـ.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ في الكلام على المواضع التي نقلها من السيرة: [1] «ونزيد هذه المسألة إيضاحاً ودلائل؛ لشدة الحاجة إليها، فنقول: يتفطن العاقل لقصة واحدة منها، وهي أن بني حنيفة أشهر أهل الردة، وهم عند الناس أقبح أهل الردة وأعظمهم كفراً، وهم مع هذا يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويؤذنون ويصلون، ومع هذا فإن أكثرهم يظنون أن النبي صلى الله عليه وسلم أمرهم بذلك؛ لأجل الشهود الذين معهم الرجال، والذي يعرف هذا ولا يشك فيه يقول: من قال لا إله إلا الله فهو

---

(١) الدرر السنية (٩/ ٣٨٧-٣٩٢).

المسلم، ولو لم يكن معه من الإسلام شعرة؛ بل تركه واستهزأ به متعمداً، فسبحان مقلب القلوب كيف يشاء! كيف يجتمع في قلب من له عقل ـ ولو كان من أجهل الناس ـ أنه يعرف أن بني حنيفة كفروا مع أن حالهم ما ذكرنا، وأن البدو إسلام ولو تركوا الإسلام كله، وأنكروه، واستهزأوا به عمداً؛ لأنهم يقولون لا إله إلا الله! لكن؛ أشهد أن الله على كل شيء قدير، ونسأله أن يثبت قلوبنا على دينه، ولا يزيغها بعد إذ هدانا، وأن يهب لنا من لدنه رحمة، إنه هو الوهاب.

الدليل الثاني: قصة أخرى وقعت في زمان الخلفاء الراشدين؛ وهي أن بقايا بني حنيفة لما رجعوا إلى الإسلام وتبرؤا من مسيلمة، كبُر ذنبهم في أنفسهم، وتحملوا بأهليهم إلى الثغر لأجل الجهاد في سبيل الله؛ لعل الله أن يمحوا عنهم تلك الردة؛ لأن الله يقول: ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾ [طه: ٨٢]، فنزلوا الكوفة، وصار بها محلة معروفة فيها مسجد يسمى مسجد بني حنيفة، فمر بعض المسلمين بمسجدهم بين المغرب والعشاء؛ فسمعوا منهم كلاماً معناه: أن مسيلمة على حق، وهم جماعة كثيرون، ولكن الذي لم يقل لم يُنكر على من قال، فرفعوا أمرهم إلى ابن مسعود، فجمع من عنده من الصحابة واستشارهم: هل يقتلهم وإن تابوا، أو يستتيبهم، فأشار بعضهم بقتلهم بغير استتابة، وأشار بعضهم باستتابتهم؛ فاستتاب بعضهم ،وقتل بعضهم ولم يستتبه، وقتل عالمهم «ابن النواحة»[1].

---

(١) أخرج القصة: أبوداود (٢٧٦٢)، وابن حبان (٤٨٧٩)، وصححها الألباني والأرناؤوط.

=

فتأمل ـ رحمك الله ـ إذا كانوا قد أظهروا من الأعمال الصالحة ما أظهروا لما تبرؤا من الكفر وعادوا إلى الإسلام، ولم يظهر منهم إلا كلمة أخفوها في مدح مسيلمة، لكن سمعها بعض المسلمين، ومع هذا لم يتوقف أحد في كفرهم كلهم، المتكلم والحاضر الذي لم يُنكر، ولكنهم اختلفوا: هل تُقبل توبتهم أم لا، والقصة في صحيح البخاري، فأين هذا من كلام من يزعم أنه من العلماء ويقول: البدو إسلام، ولو ما معهم من الإسلام شعرة، إلا قول لا إله إلا الله، وحكم بإسلامهم بذلك، فأين هذا مما أجمع عليه الصحابة فيمن قال تلك المقالة أو حضرها ولم ينكر؟! فهيهات هيهات ما بين الفريقين، وبعد مسافة ما بين الطريقين.

سارت مشرقةً وسرتُ مغرباً ... شتّان بين مُشَرِّق ومُغَرِّب

ربنا إنا نعوذ بك أن نكون ممن قلت فيهم: ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾ [البقرة: ١٧ – ١٨]، ولا ممن قلت فيهم: ﴿۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ

وأصلها في البخاري: كتاب الكفالة: باب الكفالة في القرض والديون بالأبدان وغيرها. قال تحته: «وقال جرير والأشعث لعبدالله بن مسعود في المرتدين: استتبهم وكفّلهم؛ فتابوا، وكفّلهم عشائرهم». (فتح الباري: ٤/٥٤٨).

ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٢].

الدليل الثالث: ما وقع في زمن الخلفاء الراشدين؛ وهي قصة أصحاب علي، لما اعتقدوا فيه الألوهية التي تُعتقد في أناس اليوم من أكفر بني آدم وأفسقهم، فدعاهم إلى التوبة، فأبوا، فخدَّ لهم الأخاديد وملأها حطباً، وأضرم فيها النار، وقذفهم فيها وهم أحياء[1]، ومعلوم أن الكافر مثل اليهودي والنصراني إذا أمر الله بقتله لم يجز إحراقه بالنار، فعُلم أنهم أغلظ كفراً من اليهود والنصارى، هذا وهم يقومون الليل، ويصومون النهار، ويقرأون القرآن، آخذين له عن الصحابة، فلما غلوا في علي ذلك الغلو حَرَّقهم بالنار وهم أحياء، وأجمع الصحابة والعلماء على كفرهم.

فأين هذا ممن يقول: البدو إسلام؟! مع اعترافه بهذه القصة وأمثالها، واعترافه أن البدو كفروا بالإسلام كله، إلا أنهم يقولون: لا إله إلا الله؟! واعلم أن جناية هؤلاء على الألوهية، ولا علمنا لهم جناية على النبوة، والذين من قبلهم جنايتهم على النبوة، ولا علمنا لهم جناية على الألوهية، هذا الذي يبين معنى الشهادتين اللتين هما أصل الإسلام.

الدليل الرابع: ما وقع في زمن الصحابة؛ وهي قصة المختار بن عبيد، وهو

---

(١) أخرجه البخاري ـ مختصراً ـ (٦٩٢٢). وانظر: فتح الباري (٦/ ١٧٥)، والتمهيد (٥/ ٣١٧).

رجل من التابعين مُصَاهر لعبدالله بن عمر، مظهر للصلاح، فظهر في العراق، يطلب بدم الحسين وأهل بيته، فقتل ابنَ زياد، ومال إليه من مال لأجل طلب دم أهل البيت ممن ظلمهم، فاستولى على العراق، وأظهر شرائع الإسلام ونصَّب القضاة والأئمة من أصحاب ابن مسعود، وكان هو الذي يصلي بالناس الجمعة والجماعة، ولكن في آخر عمره زعم أنه يُوحى إليه! فسير عليه عبدالله بن الزبير جيشاً، وأمير الجيش مصعب بن الزبير، وتحته امرأة أبوها من الصحابة، فدعاها مصعب إلى تكفيره، فأبت، فكتب إلى أخيه عبدالله يستفتيه فيها، فكتب إليه: إن لم تبرأ منه فاقتلها، فامتنعت، فقتلها مصعب، وأجمع العلماء كلهم على كفر المختار، مع إظهاره شرائع الإسلام؛ لما جنى على النبوة[1]، فإذا كان الصحابة قتلوا المرأة التي من بنات الصحابة لما امتنعت من تكفيره، فكيف بمن لم يكفر البدو، مع إقراره بحالهم؟! فكيف بمن زعم أنهم إسلام؟! ومن دعاهم إلى الإسلام فهو

---

(١) انظر أخباره، ومقتله في: «البداية والنهاية» لابن كثير (٨/ ٢٩٠-٢٩٥). قال ـ رحمه الله ـ :
«وقد سأل مصعب .. زوجة المختار: عمرة بنت النعمان بن بشير عنه، فقالت: رحمه الله، لقد كان عبداً من عباد الله الصالحين. فسجنها، وكتب إلى أخيه ـ عبدالله بن الزبير ـ أنها تقول إنه نبي، فكتب إليه أن أخرجها فاقتلها».
وقال ـ رحمه الله ـ عن المختار: «لم يكن في نفسه صادقاً، بل كان كاذباً، يزعم أن الوحي يأتيه على يد جبريل». قلت: وقد ذكر العلماء أنه المقصود بحديث النبي صلى الله عليه وسلم: «إن في ثقيف كذاباً ومبيراً»، فالكذاب هو، والمبير: الحجاج. والله أعلم.

الكافر! يا ربنا نسألك العفو والعافية.

الدليل الخامس: ما وقع في زمن التابعين وذلك قصة: الجعد بن درهم[1]، وكان من أشهر الناس بالعلم والعبادة، فلما جحد شيئاً من صفات الله تعالى، مع كونها مقالة خفية عند الأكثر، ضحى به خالد القسري يوم عيد الأضحى، فقال: أيها الناس ضحوا، تقبل الله ضحاياكم، فإني مُضَحٍ بالجعد بن درهم، فإنه يزعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً، ثم نزل فذبحه، ولم نعلم أحداً من الصحابة أنكر ذلك، بل ذكر ابن القيم إجماعهم على استحسان قتله فقال:

شكر الضحيّةَ كلُّ صاحب سُنةٍ　　　لله دَرُّك من أخي قُربان

فإذا كان رجل من أشهر الناس بالعلم والعبادة، وأخذ العلم عن الصحابة، أجمعوا على استحسان قتله، فأين هذا من اعتقاد أعداء الله في البدو؟».

فهذا ما حكم به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهم القدوة، وبهم الأسوة، وليس علينا من تمويه من قال بغير هديهم وسنتهم، والله أعلم.

---

(١) أول من ابتدع أن الله ما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولا كلّم موسى، وأن ذلك لا يجوز على الله، وكان شيخاً للجهم بن صفوان. قتله الأمير خالد القسري ـ رحمه الله ـ في عيد الأضحى سنة ٩٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٣٣)، والبداية والنهاية (١٠/ ١٩)، وانظر للرد على من حاول تضعيف قصة مقتله: رسالة «مقالة التعطيل والجعد بن درهم» للدكتور محمد بن خليفة التميمي ـ وفقه الله ـ (ص١٨١-١٩٨).

وأما ما ذكر من كلام العلماء، فيما عدا ما أجبنا عنه؛ من المسائل التي اختلف فيها العلماء فقد ذكر الحافظ ابن رجب في شرح هذا الحديث ما فيه الكفاية، وهو عندنا من أئمة العلماء الذين يُعتمد عليه في تصحيح هذه المسائل وتضعيفها، فلا نطيل بذكرها.

وأما ما ذكر في تضعيف الحديث الوارد في قتل من يعمل عمل قوم لوط، أو من يأتي بهيمة، فقد ذكر ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ في «الدواء الشافي» أقوال العلماء واختلافهم، وقرر ما ذهب إليه أبوبكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ ومن معه من الصحابة، وذكر أنه إجماع منهم، وأن ذلك ثابت بالسنة، وأجاب عمن خالفهم بوجوه كثيرة تُبطل ما ذهبوا إليه من مخالفة السنة وإجماع الصحابة، وأن جميع أقوالهم التي احتجوا بها فاسدة، ونَقَضها بما هو الحق والصواب[1].

وقد تقدم من كلام عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ في حق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأنهم كانوا على الصراط المستقيم، ولا عبرة بمن خالفهم كائناً من كان.

وأما تارك الصلاة؛ فالصحيح من أقوال العلماء أنه يُستتاب؛ فإن تاب، وإلا

---

(١) الدواء الشافي (ص٢٩٢-٣٠٢).

قُتل؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «**آخر العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر**»[١]، وقد ذكر ابن القيم في كتاب« الصلاة»[٢] ما فيه الكفاية لمن أراد الله هدايته.

فصل

ومن الورطات التي أدخلها صاحبُ المنار: ما علقه على ما قلناه في «منهاج أهل الحق والاتباع ومخالفة أهل الجهل والابتداع»، حيث قلنا في جواب المسائل: «وأما من لم يكن في ولاية إمام المسلمين؛ فلا ندري بجميع أحوالهم وما هم عليه، لكن الغالب على أكثرهم ما ذكرناه أولاً من عدم الإسلام»[٣].

فقال المعترض: «حذفنا هنا مثل ما قبله من الحكم على أكثرهم بغير علم، والحق أن أهل الحضر كلهم على الإسلام، والكثير من أهل البوادي في اليمن، فقد أخبرنا من اخترق أرضهم من تلاميذنا مشياً من اليمن إلى الحجاز: أنهم يُصلون، حتى إنه كان يرى النساء المحتطبات إذا زالت الشمس يُلقين الحطب عن

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٢١)، وصححه الألباني ـ رحمه الله ـ.

(٢) مطبوع مشهور.

(٣) منهاج أهل الحق والاتباع (ص٧٩)، تحقيق الدكتور عبدالسلام بن برجس ـ رحمه الله ـ، وقد أعاد ما حذفه الشيخ رشيد رضا، ـ عفى الله عنه ـ قائلاً: «ما بين القوسين أسقطه عمداً صاحب المنار: محمد رشيد رضا».

رؤوسهن ويتيممن ويُصلين، وغير من ذكر محتاج إلى الدعوة» انتهى[1].

والجواب أن نقول: قد كان من المعلوم عند كل من طاف البلاد، وخبر أحوال العباد، ممن كان له معرفة بحقيقة الإسلام؛ أن غالب أهل هذه الأمصار على الكفر بالله والإشراك به، كما بيناه فيما تقدم؛ فمن ذلك: ما يفعله عُبّاد القبور عند مولد أحمد البدوي والرفاعي والدسوقي والست زينب، وغير ذلك من المعبودين في مصر وغيرها من البلاد؛ من دعائهم والاستغاثة بهم في جميع المهمات والملمات، وتفريج الكربات، وإغاثة اللهفات، والاستشفاع بهم في جميع الطلبات والرغبات.

وكذلك ما يفعل عُبَّاد علي والحسن والحسين والكاظم على مصادمة الحق الشهير وراموا إطفاء مصباحه المنير، وإخماد ضيائه المستنير، وحاولوا تغيير محيا الصواب: ﴿ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ ﴾ [غافر: ٥]، ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [فاطر: ٣٧].

وقد ذكر الشيخ حسين بن غنام ـ رحمه الله ـ في ما عدا الحرمين الشريفين؛ كمصر والشام والعراق واليمن وغيرها من الأمصار، ما يفعله عُبّاد القبور عند ضرائح الأولياء والصالحين، من صرف خالص حق الله تعالى لمن كان بها من

---

(١) من هامش طبعة الشيخ رشيد لمنهاج أهل الحق.. (ص٦١).

المعبودين؛ كأحمد البدوي والرفاعي والدسوقي والست نفيسة مما هو معلوم مشهور، فمن أراد الوقوف عليه، فهو مذكور في التاريخ[1]، والأمر لا يزداد إلا شدة، والصبح لاح لمن له عينان.

ولما أرسل الإمام ـ أعزه الله بطاعته ـ سرية إلى الطائف في سنة ١٣٤٣هـ ـ ثلاث وأربعين وثلاث مئة وألف في شهر صفر، وجدوا بها من القباب المبنية على القبور شيئاً كثيراً، وقد صرفوا لها من العبادة ما هو خالص حق الله، الذي من صرفه لغير الله كان مشركاً؛ كما هو معروف متحقق عند من عرف حقيقة الإسلام، وما يضاده من الكفر والإشراك بالله، ومن أعظمها وأشهرها القبة المبنية على قبر عبدالله بن عباس ـ رضي الله عنه ـ، وقد وجدوا على القبر من الديباج والفرش العظيمة وأباريق الذهب وغيرها من الأواني، وقد زوقوها بأنواع التزوقات، وعظموها بأنواع التعظيمات، وصرفوا لها من الهدايا والصلات، مما لا يُحصى ولا يُستقصى إلا بكلفة، ووجدوا على القبر صنماً على صورة ابن عباس، وقد منَّ الله بهدم هذه القبة، وبهدم جميع ما هنالك من القباب، فلله الحمد والمنة. فإن أبيت إلا المكابرة في الحسيات، والمباهتة في الضروريات، وتظن أن ذلك في قوم كانوا فبانوا، ولم يُخَلفوا وارثاً؛ فانظر بعينيك إلى ما يُفعل عند قبر عبدالقادر الجيلاني، وكذلك ما يُفعل في الحرمين الشريفين، وما يُفعل في الشام وفلسطين وسوريا وحلب، وغيرها في البلاد، عند ضرائح الأولياء والصالحين، وقد ذكر أهل العلم ذلك ووضحوه؛ كما ذكر ذلك

---

(١) تاريخ ابن غنام، (١/ ٥-١٤).

الإمام حسين ابن غنام ـ رحمه الله ـ ؛ حيث قال[1]: «ومن ذلك ما يُفعل عند قبره عليه الصلاة والسلام؛ من الأمور المحرمة العظام، من تعفير الخدود بالخضوع والسجود، واتخاذ ذلك القبر عيداً، وقد لعن عليه الصلاة والسلام فاعله، وكفى بذلك زجراً ووعيداً، ونهى عما يُفعل عنده الآن غالبُ العلماء نهياً شديداً، وغلظوا في ذلك تغليظاً أكيداً، فهو مما لا يخفى ولا يُنكر، وأعظم من أن يُذكر، فهو في الشهرة والانتشار، كالشمس في رابعة النهار، ويكل اللسان عما يُفعل عند قبر حمزة والبقيع وقباء من ذلك القبيل، ويعجز القلم عن بيانه على التفصيل، ولو لم يُذكر منه إلا القليل.

وليس يصح في الأذهان شيء ... إذا احتاج النهار إلى دليل

وأما ما يُفعل الآن في الحرم المكي الشريف ـ زاده الله رفعة وتشريفاً ـ فهو يزيد على غيره وينيف، فيُفعل في تلك البقاع المطهرة المكرمة، والمواضع المعظمة المحترمة، ما يحق أن تُسفح عند رؤيته سحائب العيون والأجفان، وتزال لأجله الدموع ولا تصان، وتتلهب في القلب لواعج الأحزان، إذا رأى ما يصدر في تلك الأماكن من أولئك العربان، من الفسوق والضلال والعصيان، وما عرا الدين فيه من الهوان، فلقد انتهكت فيه المحرمات والحدود، وكان لأهل الباطل فيه قيام وقعود، كما هو

---

(١) في تاريخه، (١/ ٨-١٤)، وينظر للزيادة: «دمعة على التوحيد: حقيقة القبورية وآثارها في واقع الأمة»، من إصدارات المنتدى الإسلامي.

الآن مشاهد موجود، أين قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الحج: ٢٦].

ويشهد بذلك من رآه ممن له قلب سليم، ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الحج: ٢٥]، ولقد تظاهر بذلك منهم جم غفير، وتجاهر به بين أظهره جمع كثير، ولم يكن لأهل العلم إزالة ولا تغيير؛ بل تألبوا على مصادمة الحق الشهير، وراموا إطفاء مصباحه المنير، وإخماد ضيائه المستنير، وحاولوا تغيير محيا الصواب، ﴿ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ [غافر: ٥]، ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ [فاطر: ٣٧]، فمن ذلك: ما يُفعل عند قبر المحجوب وقبة أبي طالب، وهم يعلمون أنه شريف حاكم، متعد غاصب، كان يخرج إلى بلدان نجد، ويضع عليهم من المال خرجاً ومطالب، فإن أعطي ما أراد انصرف، وإلا أصبح لهم معادياً محارب، فيأتون قبره بالسماعات والعلامات، للاستغاثة عند حلول المصائب، ونزول النُوَب الكوارب، وكذلك عند قبر المحجوب؛ يطلبون الشفاعة لغفران الذنوب، لأنه عندهم المقرب المحبوب، فلهذا كانوا من سره يحذرون، وإن دخل متعدٍ أو سارق أو غاصب مال قبر أحدهما، لم يتعرض له أحد من الرجال، ولا يخشى معاقبة ولا أنكال، ولا

يُتوصل إليه بما يكره ولا ينال، وإن تعلق جانٍ، ولو أقل جناية، بالكعبة سُحب منها بالأذيال، فهم في تعظيمها مفرطون ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [يس: ٧٤ – ٧٥].

ومن ذلك: ما يُفعل عند قبر ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين رضي الله عنها في سرف، وعند قبر خديجة رضي الله عنها في المعلى، مما لا يسوغ لمسلم أن يطلق عليه إباحة وحلا، فضلاً عن كونه يراه قربة يدرك بها أجراً وفضلا، من اختلاط النساء بالرجال، وفعل الفواحش والمنكرات، وارتفاع الأصوات عندهم بالدعوات، وحصول الفدية وشهرة الاستغاثات، وعند قبر عبدالله بن عباس رضي الله عنهما في الطائف، من الأمور التي تشمئز منها نفس الجاهل، فكيف بالعارف، فيقف عند قبره متضرعاً مستغيثاً كلُ مكروب وخائف، وينادي أكثرُ الباعة في الأسواق من غير نكير ولا زجر على الإطلاق، ويقول بلهجة قلب واحتراق كثير من أهل الشرك والإبلاس، وذوي الفقر والإفلاس: اليوم على الله وعليك يا ابن عباس!! ويسألونه الحاجات، ويسترزقون ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴾ [يس: ٢٣].

وأما ما يُفعل في جدة مما عمت به البلوى، فقد بلغ من الضلال والفحش الغاية القصوى، وعندهم قبر طوله ستون ذراعاً عليه قبة، يزعمون أنه قبر حوَّا، وضعه بعض الشياطين من قديم وهَيَّئه وسَوَّى، يجبو عنده السدنة من الأموال كل

سنة ما لا يكاد يخطر على البال، ولا يدخل يسلم على أمه كلُ إنسان إلا مسلماً دراهم عاجلاً من غير توان، أيبخل أحد من اللئام فضلاً عن الكرام ببذل بعض الحطام، ويدع الدخول على أمه والسلام؟! وعندهم معبد يسمى العلوي ونافوا في تعظيمه جميع الخلائق، وأربوا في الغلو على تلك الطرائق، فلو دخل قبره قاتلُ نفس أو غاصب أو سارق، لم يُعترض بمكروه من مؤمن ولا فاسق، ولم يجسر أحد أن يكون مُخرجاً له سائق، أو إلى المساعدة إليه مسارع مسابق، فمن استجار بتربته أُجير، ولم يعرج عليه حاكم ولا وزير. وفي سنة عشر بعد المائتين والألف اشترى تاجر من أهل جدة شهير، من أهل الهند التجار القادمين وأهل الحسا مالاً كثير، يزيد على سبعين ألف ريال في التقدير، فوقع عليه بعد أيام انكسار وإفلاس وتغيير، ولم يكن عنده ما يقابل شطر الذي عليه، فهرب إليه مستجير، فلم يتقدم إليه منهم شريف ولا وضيع ولا صغير ولا كبير، وترك بيته وما فيه من مال، ولم يُرزأ في قليل ولا كثير، حتى اجتمع التجار ورأوا له منهج الإنظار والتيسير، وجعلوا ذلك عليه نجوماً في سنين على التأخير، وكان بعضٌ من أهل الدَّيْن بذلك الحال مشير.

وأما ما في بلدان مصر وصعيدها من الأمور التي يُنزه الإنسان عن ذكرها وتعديدها، خصوصاً عند قبور الصلحاء والعُباد من ساداتها وعبيدها، كما ذكرها الثقات في نقل الأخبار وتوكيدها؛ فيأتون قبر أحمد البدوي [1]، وكذا قبور غيره

---

(١) وليس هو من الصلحاء. بل كان شيعياً متستراً بستار التصوف؛ لإعادة الدولة العبيدية «الرافضية» إلى حكم البلاد المصرية، وللتفصيل ينظر كتاب «السيد البدوي ودولة

=

من العباد، وسائر ترب المشهورين بالخير والزهاد، فيستغيثون ويندبون، ويعجلونهم بالإمداد، ويستحثونهم على زوال المصيبة عنهم والأنكاد، ويتداولون بينهم حكايات، وينسبون عنهم قضيات، ويحكون في محافلهم ماجريات، من أفحش المنكر والضلالات، فيقولون: فلان استغاث بفلان فأغيث فوراً، في ذلك الأوان، وفلان شكا لصاحب ذلك القبر حاله وأمره؛ فأغاثه وكشف عنه ضره، وفلان شكا إليه حاجته فأزال عنه فقره، وأمثال هذا الهذيان، الذي هو زور وبهتان، ويصدر هذا الكلام في تلك البلدان، وهي مملوءة بالعلماء من أهل الزمان، وذوي التحقيق والعرفان، ولا يزال ذلك المحظور، ولا يغار من صدور تلك الأمور، بل ربما تنشرح منهم له الصدور.

وأما ما يفعل في بلدان اليمن من الشرك والفتن، قبل هذا الوقت في هذا الزمن، فأكثر من أن يحسب أو يحصى، أو يُعَد ويُستقصى، أو يُدرك له أقصى؛ فمن ذلك ما يفعله أهل شرقي صنعاء بقبر عندهم يسمى الهادي، والكل على دعوته والاستغاثة به رائحٌ غادي، فتأتيه المرأة إذا تعسر عليها الحمل أو كانت عقيمة، فتقول عنده كلمة قبيحة عظيمة، فسبحان من لا يعاجل بالمعاقبة على الجريمة. وأما أهل بلد برع، فعندهم البرعي، رجل يُرحل إلى دعوته كل ناءٍ عن محله

الدراويش في مصر»؛ للأستاذ محمد فهمي عبداللطيف.

وبلدته، ويؤتى إليه من غير إشكال، من مسيرة أيام وليال؛ لطلب الإغاثة وشكاية الحال، ويقيمون عند قبره للزيارة، ويتقربون بالذبائح عنده، كما حقق أخبارة من شاهد حضرته واحتضاره.

وأما أهل الهجرية ومن حذا حذوهم، فعندهم قبر يسمى ابن علوان، وقد أقبل عليه العامة في نوائب الزمان، واستغاث به منهم كل لهفان ، فهم يلجئون به في كل وقتٍ وأوان، ويسميه غوغاهم منجي الغارقين، كما حكاه بعض السامعين، وأغلب أهل البر منهم والبحر، يطربون عند سماع ذكره، ويستغيثون به، وإن لم يصلوا إلى قبره، وينذر له في البحر والبر، وعند أهل بلده وتعظيمه ما يزيد على الحصر، ويفعلون عند قبره السماعات والموالد، ويجتمع عنده أنواع من المعاصي والمفاسد، فليس في أقطار اليمن في هذا الزمن من يساويه في الاشتهار، بل ولا في سائر الأقطار، ولهم في حضرته أمور يفعلونها ديناً، ويتوخونها حيناً فحيناً، يطعنون أنفسهم بالسكاكين والدبابيس، وقد جعلها لهم عبادةً إبليس، ويقولون وهم يرقصون، وبما يغنيه طربون، قد ملأ للوجد منهم ألباً وذهنا: يا سادتي قلبي بكم مُعَنى.

وأما حال حضرموت والشحر ويافع وعدن، فقد ثوى فيهم الغي وقطن، وعندهم العيدروس يُفعل عند قبره من السفه والضلال الوبيل، ما يغني مجمله عن التفصيل، ويقول قائلهم: شيء لله يا عيدروس، شيء لله يا محيي النفوس!!

وأما بلدان الساحل؛ فعندهم من ذلك مسائل، فعند أهل المخا: علي بن

عمر الشاذلي، أكثرهم بدعوته والاستغاثة به قد ابتلي، لا تفتر ألسنتهم عن ذكره قعوداً وقياماً، ويتنابون تربته وحداناً وقياماً.

وأما أهل الحديدة؛ فعندهم الشيخ صديق، أقبل على تعظيمه والغلو فيه كل فريق، وقد أدى بهم الأمر والحال، وأوداهم الشيطان في هوة الضلال، إلى أنه لا يمكن أحد يريد ركوب البحر، أو يريد منه النزول إلى البر، حتى يجيء إليه، ويسلم فوراً عليه، ويطلب منه الإعانة والمدد، فيما أراده وقصد.

وأما أهل اللحية؛ فعندهم: الزيلعي من غير لبس، واسمه عندهم الشمس؛ لأن قبره ليس عليه قبة، بل مكشوف، وكان إليه جميع النذر مصروف، وهم فيه أظلم وأجهل وأطغى، وفي تعظيمه ودعوته أضل وأبغى.

وقبر رابعة عندهم مشهور، لا يحلفون صدق اليمين إلا بها وغير ذلك من الأمور، وعندهم الطامة العظيمة والمعضلة الجسيمة، وهي أراضي نجران، وما يليها من البلدان، وما حولها من الأعراب والبدوان، وهو الرئيس المعروف عندهم السيد، المتقدم في رياستهم وسياستهم، والمطلق فيهم والمقيد، فلقد أتوا من تعظيمه وتوقيره وتقديمه في جميع الأمور وتصديره، وقبح الغلو فيه والاعتقاد، ما أفضى بهم إلى طريقة الضلال والإلحاد، فصرفوا له من أنواع العبادة سهماً، وجعلوا فيه للألوهية وسماً، حتى كادوا أن يجعلوه لله نداً وقسماً، وكان عندهم بذلك الحال شهيراً، فتعالى الله عما يقولون الظالمون علواً كبيراً.

وأما في حلب ودمشق وأقصى الشام وأدناه، فهو مما لا يوقف له على حد، ولم يمكن ضبط أقصاه، ولا يُعرف قدره ومنتهاه، ولو استفرغ الإنسان في ذلك قصاراه، بحسب ما يحكيه من يشاهد ذلك أو يراه، من العكوف على عبادة القبور، وصرف القربان إليها والنذور، والمجاهرة بالفسوق والفجور، وأخذ الأمكاس والدستور، ووضع الخراج على البغايا من تلك المهور.

وفي الموصل وبلدان الأكراد، وما يليها من سائر البلاد، وكذا في العراق، خصوصاً المشهد وبغداد، ما لا يحتاج إلى حصر وتعداد، فيُفعل عند قبر الإمام أبي حنيفة ومعروف الكرخي والشيخ عبدالقادر رضي الله تعالى عنهم، من الدعاء والاستغاثة بهم ومنهم في سائر الأوقات والأزمان، ما لا يعرف له صفة ولا شأن، وتُسفح عندهم العبرات والدموع، ويحصل من التعظيم والتذلل عندهم والخضوع، أعظم مما يصدر بين يدي الله في الصلاة في الحضور والخشوع، بل كثير ممن فعل ذلك مراراً وجرب، هم لقضاء الحوائج ترياق مُجرَّب.

وأما مشهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقد صيرته الرافضة وثناً يُعبد، ويدعى بخالص الدعاء، دون من ذرأ الخلق وأوجد، ويُصلى له في قبته ويُركع ويُسجد، وليس في صدور أولئك الضُلال وغيرهم من الجُهال، وذوي الفسق والضلال، من التعظيم والهيبة والإجلال، لذي الفضل والنوال، معشار ما فيها لعلي رضي الله عنه من غير إشكال، ولا إسراف ولا إفراط في المقال، فتراهم يحلفون الأيمان الكاذبة بالله، ولا يخاف أحدهم مولاه، ولا يراقبه سراً وجهراً ولا

يخشاه، ولا يحلف بعلي كاذباً أبداً، يُعظم بذلك حماه، فلا ينتهك ذلك ويتعداه، ويجزمون أن عنده مفاتح الغيب، من غير شك، قبحهم الله ولا ريب، ولهذا يقولون: إن زيارته أفضل من سبعين حجة، وكفى بها ذكرناه في خروجهم عن الإسلام حجة، وإخراجهم عن واضح السنن والمحجة، ولقد غلوا فيه وأتوا من الشرك القبيح، أعظم مما فعل النصارى بالمسيح، سوى دعوى الولدية، فلم تصدر من هذه البرية، وساووهم أو زادوا عليهم في غيرها من الخصائل الردية، وزخرفوا على قبره الذي يدعونه قبة مذهبة، وخالفوا هديه رضي الله عنه ومذهبه، ولقد كان في حياته حَرَّق ممن غلا فيه أناس، فما أغناهم عن انتهاج منهج الضلال والإبلاس، ومثل ذلك يُفعل من الشرك والمنكر والشين، عند مشهد الكاظم ومشهد الحسين، فعندهم من التعظيم لهما والعبادة والوقار، والملازمة لذلك بالعشي والإبكار، والإقبال على ذلك على سائر الأحوال والإكثار، أجل وأكثر مما عندهم لله الواحد القهار، ولقد شب فيهم على ذلك الكفر، وقبيح ذلك المنكر والفُجْر، الرعاع والأطفال، وشاب عليه الصغار من الرجال، فلا يُسْمع في سائر الأحوال، بين أولئك السفلة الأنذال، والأرذال الضلال، ذكر لرب ذي العزة والجلال، وإنما ديدنهم ذكر علي والحسين وبقية الآل.

وأما جميع قرى الشط والمجرة، فقد لبسوا ثياب الشرك والضلال والمعرة، بل كانوا أهله وأصله ومقره، وكذلك ما حول البصرة، وما توسط فيها من تلك القبب والمشاهد، التي أصبح كل إليها مقبل وقاصد، لا سيما قبر الحسن البصري

والزبير رضي الله عنهما، فقد طلبوا الفرج منهما، وصرفوا لهما من العبادة الدعاء والاستغاثة عند الشدائد، وطلبوا منهما جميع الفوائد، وليس لهذا مُنْكر ولا جاحد، سوى ما يصدر وما يشاهد، في تلك البلدان من المنكرات والفواحش والمفاسد، ولا يجحد ذلك إلا مباهت معاند.

وأما في القطيف والبحرين من البدع الرفضية، والأمور القبيحة الشركية، والمشاهد المعظمة الوثنية، وما يفعله أولئك الضلال والأنجاس، من الضلال والغي والإبلاس، وما يأتونه من الشرك والأرجاس، فلا يكاد يخفى على أحد من الناس، ويقف دون ساحل إحصائه الإدراك، ويقصر عن مقتضاه ونظمه في هذه الأسلاك، وما يجحد ذلك إلا كل معتد أفاك، وإذا رأى أفعالهم كل عارف بالإيمان، وشاهده بالروية والعَيان، تبين له غربة الدين في هذا الزمان، وزاد بصيرة في دينه وإيقان، وجَدَّ في طاعة سيده ومولاه، وحمده على ما خوله وأعطاه، وسارع في خدمته ورضاه، وبادر إلى القيام بوظائف العبودية فيما أمره ونهاه، وأكثر من شكره على ما منحه من فضله وحباه، وجعله من حزبه الفائزين الذين هم لديه مقربون ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [يونس: ٦٢ – ٦٣]، وتحدث لدى الناس بنعمة الله، وألزم بذلك جنانه ولسانه وفاه، ونادى برفيع صوته وفاه ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يونس: ٥٨]،

وسأل ربه ودعاه، فهو الذي أنقذه من الضلال، وسلك به سبل الهداية ونجاه، وقال في الدعاء والمناجاة: ﴿ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [المؤمنون: ٩٤ – ٩٥].

وما يفعله عباد القبور الآن في مولد أحمد البدوي، وكذلك ما يُفعل عند ضرائح من ذكرنا من المعبودين بمصر، مما لا يخفى عند من له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

وتعرَّ من ثوبين من يلبسهما	يلقَ الردى بمذلة وهوان
ثوبٌ من الجهل المركب فوقه	ثوب التعصب بئست الثوبان

وقد قال الشاعر:

خذ ما رأيت ودع شيئاً سمعت به	في طلعة الشمس ما يغنيك عن زُحَل

وقال الآخر:

وكيف يصح في الأذهان شيء	إذا احتاج النهار إلى دليل؟

فإن كان ما ذكره أئمة الإسلام مما يقع في تلك المشاهد العظام من الكفريات والمنكرات والآثام، ليس بكفر، بل هو الحق الذي يدان الله به، وليس بشرك كما ذكره الأئمة الأعلام، فعلى وجه من أنكر ذلك العفا والتباب، ولا يشك في ذلك إلا جاهلٌ مرتاب.

فإن كان هذا عندك الدين والهدى	فقد فُتحت للدين أعينُه الرمد

ويزيد ما تقدم إيضاحاً: ما ذكره بعض المحققين من أهل العلم في بعض أجوبته لما ذكر ما يفعله عباد القبور من أهل مصر، حيث قال: وقد آل الأمر إلى فعل المنكرات؛ من بذل الفروج ثلاثة أيام من كل سنة، في مولد أحمد البدوي ومشهده الذي في القاهرة، يخرجن إليه الغواني، جاعلين ذلك في صحائفه، ولينالوا من بركته وأنهم محسوبون إليه، زيادة على فعلهم عند قبر الست نفيسة ومشهد الحسين، هذا والمردان مع الفجار المدعين الولاية، والمتزيين بها مجتمعون، وفي فراش واحد بلا حائل ليلاً ينامون، وفي النهار معهم مختلفون، ويدعون أنهم لهم يربون، والعلماء والحالة هذه لا يُنكرون، والعباد لله لا يغارون، مع أنهم متمكنون من فعل العبادة ولأجلها يُعَظمون ويُعَزرون ويُوَقرون، وليس أحدٌ من الكفار لهم عن فعل العبادة مانعاً، ولا عن إظهارها جاهراً دافعاً، لكنهم لهذه الأفعال لا يُنكرون، ولا الحق يقولون، بل كلا الفريقين يُصنفون الكتب في ذلك ويعتذرون عنهم بأجوبة ليست صواباً ولا سديدة، بل هي عن الحق بعيدة، منها قولهم:

تنبيه: اعلم أنه قد يعترض بعض الناس على أحمد البدوي، وعلى هؤلاء المجتمعين عنده في حضرة ضريحه، ويقولون: إذا كان له المولد العظيم والتصرف التام النافذ بعد الممات، فكيف لا يتصرف في دفع أصحاب المعاصي عن مولده؟! فالجواب عن ذلك من أوجه:

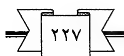
أحدهما: أنه في غاية من ربه، فكل من حضر مولده من أهل العصيان وافق نزول الرحمة والغفران، فغُفر له، وتيب عليه، ولو بعد حين من الزمان!

الثاني: أن الغالب على من حاله البسط، وجاهه عريض يسع الخلق، ولو وافقه جميع فساق أهل الأرض، كذلك، لكان مغفوراً لهم بسببه.

الثالث: أنه قد خرج إلى مقام لا تكليف فيه، وهؤلاء العاملون عملهم لهم وعليهم. انتهى [1].

وقال شيخنا الشيخ عبداللطيف ـ رحمه الله ـ في رده شبهات داود بن جرجيس العراقي ـ بعد أن ذكر كلاماً طويلاً في أحوال عُبَّاد القبور في مصر وغيرها ـ قال: «وقد اجتمع جماعة من الموحدين من أهل الإسلام في بيت رجل من أهل مصر وبقربه رجل يدعي العلم، فأرسل إليه صاحب البيت فسأله بمسمعٍ من الحاضرين، فقال له: كم يتصرف في الكون؟ قال: يا سيدي سبعة، قال: من هم؟ قال: فلان وفلان .. وعد أربعة من المعبودين بمصر!! فقال صاحب الدار لمن بحضرته من الموحدين: إنما بعثتُ لهذا الرجل وسألته لأعرِّفكم قدر ما أنتم فيه من نعمة الإسلام، أو كلام نحو هذا ـ إلى أن قال ـ: حدثني سعد بن عبدالله بن سرور الهاشمي ـ رحمه الله ـ أن بعض المغاربة قدموا مصر يريدون الحج، فذهبوا إلى الضريح المنسوب إلى الحسين، رضي الله عنه، بالقاهرة؛ فاستقبلوا القبلة، وأحرموا، ووقفوا وركعوا، وسجدوا لصاحب القبر، حتى أنكر

(١) الدرر السنية (٨/ ٤٦٥-٤٦٧).



عليهم سدنة المشهد وبعض الحاضرين، فقالوا: هذا محبة في سيدنا الحسين! وذكر بعض المؤلفين من أهل اليمن، أن مثل هذا وقع عندهم.

وقد حدثني الشيخ خليل الرشيدي بالجامع الأزهر أن بعض أعيان المدرسين هناك قال: لا يُدق وتد في القاهرة إلا بإذن السيد أحمد البدوي، قال: فقلت له: هذا لا يكون إلا لله، أو كلاماً نحو هذا، فقال: حبي في سيدي أحمد البدوي اقتضى هذا!

وحكى أن رجلاً سأل الآخر: كيف رأيت الجمع عند زيارة الشيخ الفلاني؟ فقال: لم أر أكثر منه إلا في جبال عرفات، إلا أني لم أرهم سجدوا لله سجدة قط، ولا صلوا، مدة الثلاثة الأيام! فقال السائل: قد تحملها الشيخ .. إلى آخر كلامه ـ رحمه الله ـ [(١)].

ولو ذهبنا نذكر ما ذكره في هذا الفصل من حال عُبَّاد القبور وما شاهدوه هناك من هذه الأمور التي لا ينكرها إلا من أعمى الله بصيرة قلبه، لطال الكلام، والمقصود أن هذه الأمور التي يفعلها عُبَّاد القبور بمصر وغيرها مشهورة معلومة، والأمر لا يزداد إلا شدة، ومما يدل على أنه لا ينفعهم عملهم مع هذه الأفعال التي يفعلونها عند ضرائح الموتى من المعبودين، وما يفعلونه في هذه الموالد التي ذكرناها فيما

---

(١) منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس (ص٥٢-٥٤).

تقدم، ما ذكره الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد ـ رحمه الله تعالى ـ في «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» على قوله سبحانه وتعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [هود: ١٥] الآية.

قال ـ رحمه الله ـ: قال المصنف ـ رحمه الله ـ : فذكر من أقوال السلف على هذه الآية أنواعاً، إلى أن قال: النوع الرابع: أن يعمل بطاعة الله مخلصاً في ذلك وحده لا شريك له، لكنه على عمل يكفره كفراً يخرجه من الإسلام؛ مثل اليهود والنصارى إذا عبدوا الله أو تصدقوا أو صاموا، ابتغاء وجه الله والدار الآخرة، ومثل كثير من هذه الأمة الذين فيهم كفر أو شرك أكبر يُخرجهم من الإسلام بالكلية، إذا أطاعوا الله طاعة خالصة يريدون بها ثواب الله في الدار الآخرة، لكنهم على أعمال تخرجهم من الإسلام، وتمنع قبول أعمالهم، فهذا النوع أيضاً قد ذكر في هذه الآية، عن أنس بن مالك وغيره، وكان السلف يخافون منها، قال بعضهم: لو أعلم أن الله تقبل مني سجدة واحدة لتمنيت الموت؛ لأن الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [المائدة: ٢٧]، إلى آخر ما ذكر [1].

---

(١) فتح المجيد (ص٣٨٥).

إذا تحققت ذلك؛ فقول هذا المعترض: «والحق أن أهل الحضر كلهم على الإسلام، والكثير من البوادي في اليمن .. إلى آخر كلامه». كلام باطل، لا يقوله من عرف الإسلام على الحقيقة، ولا ما الإسلام العاصم للدم والمال، ولا عرف الكفر والشرك المبيح لذلك، فعلى زعمه أن جميع الحضر ممن يدعو الأولياء والصالحين من أهل مصر وبواديهم، وجميع الحضر من أهل الشام وفلسطين وسوريا، والحضر من أهل العراق الذين يعبدون علياً والحسن والحسين والكاظم وعبدالقادر الجيلاني، وغيرهم من حضر أهل الأمصار، الذين ذكرنا أحوالهم فيما تقدم، أنهم كلهم مسلمون؛ لأنهم مع هذه المكفرات، إذا تلفظوا بمجرد الشهادتين، وبمجرد فعل الصلاة أنهم مسلمون، وشبهته التي اعتمد عليه قوله: فقد أخبرنا من اخترق أرضهم من تلاميذنا مشياً من اليمن إلى الحجاز؛ أنهم يصلون، حتى أنه كان يرى النساء المحتطبات إذا زالت الشمس يلقين الحطب عن رؤوسهن ويتيممن ويصلين، وغير من ذكر محتاج إلى الدعوة!!

فجعل مجرد فعل الصلاة من جميع هؤلاء المذكورين هو الإسلام العاصم للدم والمال، ومن المعلوم أن غالب من ذكرنا أحوالهم وأفعالهم يصلون ويحجون ويتصدقون، ولم يكن ذلك نافعاً لهم، ولا مُدخلاً لهم في الإسلام؛ مع الكفر بالله والإشراك به.

وجوابه عن هذه الشبهات: ما ذكره الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ فيما تقدم؛ من الدلائل الناطقة، والبراهين الساطعة، وإجماع العلماء على ذلك،

وفيه كفاية لمن أصلح الله سريرته، ونوَّر بصيرته.

والله يقول الحق، وهو يهدي السبيل، وحسبنا الله ونعم الوكيل، وصلى الله على أشرف المرسلين؛ نبينا محمد وآله أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

حرر في ١٤/ ربيع ١/ ١٣٤٣هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين
وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين أما بعد فإني لما رأيت ما كتبه صاحب المنار على هوامش
مجموعة الحديث من الأمور التي لا نعتقدها ولا ندين الله بها أحببت أن أنبه
على ذلك فمن ذلك قوله في صفحة ٨٨ على قوله في الحديث القدسي كنت سمعه
الذي يسمع به الحديث فذكر كلام النووي وهو كلام باطل من التأويلات المبتدعة فلا
يعول عليه وما ذكر صاحب المنار من قوله اتفق العلماء وسائر العقلاء على أن هذا
التعبير من المجاز أو الكناية لا من الحقيقة فهو أبطل من كلام النووي لأن المجاز لا
ينطبق على الكتاب والسنة ولم يجئ ذكره في الكتاب ولا في السنة ولا في كلام السلف
إنما هو اصطلاح حادث أرادوا به نفي صفات الله تعالى كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية
وابن القيم رحمهما الله تعالى قال شيخ الإسلام رحمه الله في كتاب الاستغاثة وأما حديث الأولياء
فليس في هذا الباب بالكلية وإنما فيه فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي
لم يقل أنا أسمع وأنا أبصر ولا أنا أبطش وأنا أمشي وقد صح فيه الفرق بين
الرب والعبد من وجوه متعددة لقوله من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة
ففرق بين نفسه ووليه وعدوه ووليه ثم قال وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما
افترضت عليه ففرق بين المتقرب والمتقرب إليه ثم قال فإذا أحببته كنت سمعه الذي
يسمع به إلخ فلم يقل كنت إياه ولا فيه وإن جعل أحدهما هو نفس الآخر ولكن أخبر
عن إحساس العبد وفعله يقع به لأن العبد إذا صار موافقاً لله فيما يحبه ويرضاه
يحب ويبغض ما يبغض ويرضى بما يرضى ويأمر بما يأمر وينهى عما ينهى صار
لإيمانه به ومعرفته وتوحيده في قلبه فأحاسيسه وأفعاله يقع به ولهذا فيما في
القلب نظيره قوله فيما في اللسان أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه تعالى
تحركت بي وإنما تحرك باسمه كذلك قوله فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي
يمشي أي بما في قلبه من الإيمان بي وقد يسمى هذا المثال العلمي إلى آخر كلامه
رحمه الله وأما دعوى صاحب المنار اتفاق العلماء وسائر العقلاء على أن هذا
التعبير من المجاز دعوى باطلة لم يقم عليها دليلاً فلا يعول عليه ثم ذكر بعد ذلك
كلاماً في تفسير المجاز لا يصح ثم قال والأقرب عندي للمعنى أنه من قبيل قوله إذا أحب الله عبداً إلخ
فهذا الكلام هو الحق وهو الموافق لما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه
وفي صفحة ٧٣٢ ذكر صاحب المنار أن العقل النظري الاستقلالي بالعلم [illegible]

صورة الصفحة الأولى من رسالة الشيخ ابن سحمان ـ رحمه الله ـ

محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى فيما تقدم من الدلائل التي الناطقة
والبراهين القاطعة واجماع العلماء على ذلك وفيه كفاية
لمن أصلح الله سريرته ونور بصيرته والله يقول الحق
وهو يهدي السبيل وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى
الله على أشرف المرسلين نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين ومن
تبعهم بإحسان إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

صورة الصفحة الأخيرة من رسالة الشيخ ابن سحمان ـ رحمه الله ـ

٦٨

بسم الله الر[illegible]

[illegible] عبد العزيز المانع الى جناب العالم العلامة [illegible] الشيخ سليمان بن سحمان [illegible]
[illegible] عليه نعمه وايد باصابة الحق لسانه وقلمه [illegible] عليكم ورحمة الله وبركاته [illegible]
[illegible] تحياته اما بعد فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو واشكره على ما اولاه من النعم و[illegible] من [illegible]
المكرم وصل فسر الخاطر واقر الناظر وحمدت الله سبحانه على دوام صحتكم وسلامتكم حرسكم [illegible]
[illegible] نصر الاسلام والمسلمين وقمع المبتدعة والمعطلة والمشركين ولقد اصبتم في تعليل [illegible]
[illegible] صاحب المنار وان المانع لصاحب المنار من ذلك هو فساد المعتقد حيث انه يعتقد
[illegible] الموحدين والمتسمين بالاسلام من الرافضة والخوارج والجهمية وعباد القبور
[illegible] هذا انما يردده في مجلته ويدعو اليه لا سيما في هذه السنين القريبة وهذا المشرب
[illegible] سلفية الامصار وانتسابهم الى مذهب السلف انما هو فلسفة
[illegible] للعقول قالوا انه الصواب مع قطع النظر عن ادلة النقل
[illegible] الايات وصحيح السنة [illegible] لم ينتسبوا للسلف ايمانا [illegible]
تجدهم ينصرون مذهب اهل السنة فاذا عرضت لهم دنيا من جانب المشركين نصروا [illegible]
وايدوا ضلالهم حتى ان منهم من يؤلف للسلفية والرفاعية وينصر كلا المذهبين
[illegible] وهذا من الغرابة بمكان ولكن من عرف ما عند القوم لم يستغرب ذلك ولم
يتعجب منه فالقوم فلاسفة ليسوا باهل دين ولهذا يشاهد منهم من عرفهم من ترك علمائهم
للعبادات واخراج الصلاة عن وقتها عمدا اذا عجبا ويسمون انفسهم المصلحين الا انهم هم
المفسدون ولكن لا يشعرون وينكرون النسخ في القران ويقولون لا ناسخ ولا منسوخ وقد
صرح بذلك صاحب المنار في مناره مرارا وصرح في تفسير قوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام الاية
وغيرها بان الرسول لم يؤمر بقتال الكفار لاجل ادخالهم في دين الاسلام ولا شك ان هذا القول
يدل على ظلم ائمة الاسلام المجاهدين السابقين واللاحقين والرسائل التي رايتم لشيخ الاسلام
في هذا المعنى لعلها ان تكون من وضع هذه الطائفة ولا اشكال ان القول بذلك اغلاق لباب الجهاد

صورة رسالة الشيخ ابن مانع إلى الشيخ ابن سحمان ـ رحمهما الله ـ

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن صالح الصيرامي إلى جناب الأمجد الأكرم الأخ المحب المقدم الشيخ سليمان بن سحمان سلمه الله تعالى وهداه وحفظه
وتولاه ووفقه لما يحبه الله ويرضاه وجنبه أسباب سخطه وتقلاه آمين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته موجب الخط إبلاغ جزيل
السلام والسؤال عن حالكم وأحوالنا بحمد الله جميلة جعلنا الله وإياكم شاكرين ذاكرين والخط وصل وصلك الله برضاه وتذكر سلمك
الله كلام صاحب المنار ولا شك أنه كلام مبتدع لم يقل به أحد من علماء المسلمين فيما نعلم والعقول السليمة والفطر
المستقيمة تنكر هذا ونحن ولله الحمد في غنية عن كلام صاحب المنار وغيره من أهل البدع والضلال ولكن نفوس
أكثر الخلق تقبل الباطل وتميل إليه وتفهم ما جرى من بعض الطلبة لما أن الحمود تكلم في معنى لا إله إلا الله
في وقت الشيخ عبد الرحمن رحمه الله على طريقة أهل وحدة الوجود قال بعض الناس ما عرفنا معنى لا إله إلا الله
إلا الآن وأشباه والظن بمن كان على طريقة الشيخ [illegible] وأئمة أهل الإسلام في معنى كلمة الإخلاص الذي
دل عليها القرآن بقوله تعالى ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأما كلام النووي رحمه الله
تعالى فتفهم عادته رحمه الله مع علمه وزهده في تأويل أحاديث الصفات وميله إلى طريقة الأشاعرة فالله يغفر له
والذي ندين الله أن نؤمن بالله وما جاء عن الله على مراد الله ونؤمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء عن
رسول الله على مراد رسول الله من الأسماء والصفات وننفي عنه النقائص ومشابهة المخلوقات إثباتا بلا تمثيل
وتنزيها بلا تعطيل فكما أن ذاته لا تشبه الذوات فكذلك صفاته لا تشبه الصفات وهذا هو الذي نعتقده
وندين الله به نسأل الله تعالى أن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه وأن يرينا الباطل باطلا ويوفقنا لاجتنابه
إنه على ذلك قدير والمطلوب من جنابك المسامحة من تأخر الجواب لأجل شغل الخاطر بما نحن فيه من أمور الناس
نرجو من الله الهدى والسداد هذا ما لزم وبلغ السلام الإمام المكرم وابنه المقدم عبد العزيز والأولاد وكافة آل الشيخ
وتهدي فارس والشيخ سعد ومن لدينا الأولاد والإخوان يهدون السلام والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ١٣٤٦
٢٢ ل

صورة رسالة الشيخ الصيرامي إلى الشيخ ابن سحمان ـ رحمهما الله ـ



النجدية

تشتمل على تسع كتب ورسائل (١) الاربعين النووية وشرحها للامام النووي (٢) عمدة الاحكام للحافظ عبد الغني المقدسي (٣) أصول الايمان (٤) فضل الاسلام (٥) كتاب الكبائر (٦) نصيحة المسلمين بأحاديث خاتم المرسلين — الاربعة لشيخ الاسلام المجدد محمد بن عبد الوهاب (٧) الرسالة السنية في الصلاة وما يلزمها لامام السنة احمد بن حنبل (٨) كتاب الصلاة (٩) الوابل الصيب من الكلم الطيب — كلاهما للمحقق ابن القيم رحمهم الله تعالى ورضي عنهم

أمر بطبعها بنفقته مع طائفة أخرى من كتب التوحيد والتفسير والفقه النفيسة ناصر السنة، ومحيي آثار الائمة، السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود امام نجد وملحقاتها، احياء للعلم وخدمة للدين، أثابه الله تعالى

وقف على طبعها، واشرف على تصحيحها، وعلق بعض الفوائد في حواشيها



الطبعة الثانية في

مطبعة المنار بمصر

سنة ١٣٤٢

صورة غلاف «مجموعة الحديث» التي علق عليها الشيخ رشيد رضا ـ رحمه الله ـ


هذه ثلاثة الاصول وأدلتها

« ويليها شروط الصلاة وواجباتها وأركانها وأربع قواعد »
تأليف
شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب
أجزل الله له الاجر والثواب

ويليها لمعة الاعتقاد، الهادى الى سبيل الرشاد
تأليف
الامام العالم الاوحد شيخ الاسلام موفق الدين
عبد الله بن احمد بن قدامة المقدسي
فالقصيدة الحائية لابي بكر بن أبي داود

ثم مجموع رسائل : العبودية ، الواسطة ، رفع الملام ، تنوع
العبادات ، الرد على النصيرية ، زيارة القبور ، معارج
الوصول ، المظالم المشتركة ، الحسبة في الاسلام

طبع هذا المجموع على نفقة
عيسى بن رميح عقيلي
من اهالي نجد
وقفا لوجه الله تعالى
جزاه الله خير الجزاء بمنه وكرمه

طبع بمطبعة المنار بمصر سنة ١٣٤٠

صورة رسالة «ثلاثة الأصول» مع عقيدة ابن قدامة التي علق عليها الشيخ رشيد رضا ـ رحمه الله ـ

فهرس الموضوعات